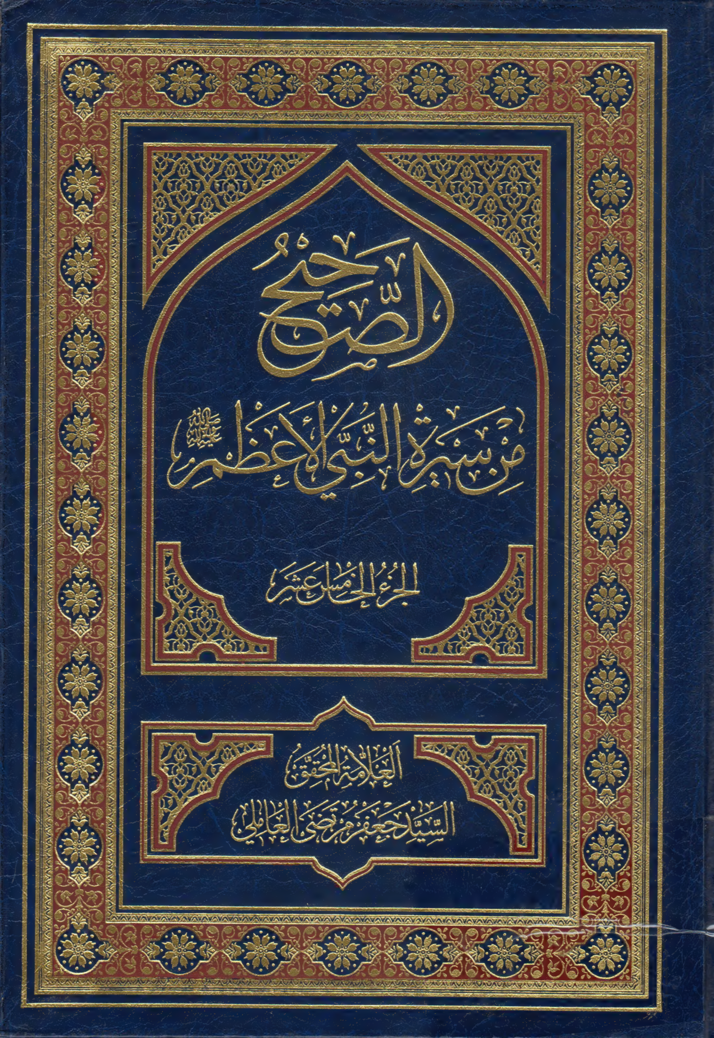

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الخامس عشر
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس عشر

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ

(الجزء الخامس عشر)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ـ ٧٧٤٠٥٢٣ـ ٠٢٥١ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

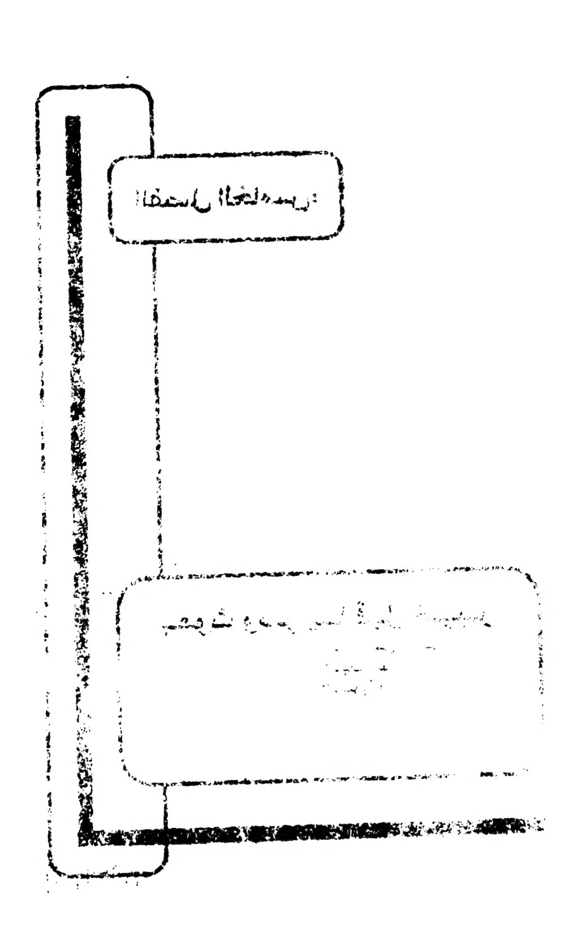
ISBN: 978 - 964 - 493 - 187 - 1



الفصل الخامس:

بعوث وسرايا قبل خيبر

١ ـ بعث علي إلى بني سعد
٢ ـ بعث زيد بن حارثة إلى أم قرفة
٣ ـ سرية ابن عتيك إلى أبي رافع
٤ ـ سرية ابن رواحة إلى ابن رزام
٥ ـ سرية زيد بن حارثة إلى مدين



١ـ بعث علي عليه السلام إلى بني سعد:

وفي شعبان سنة ست، بعث النبي «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» في مائة رجل إلى بني سعد بن بكر بفدك التي كان بينها وبين المدينة ست ليال، وفي لفظ: ثلاث مراحل.

وسببه: أنه بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أن لهم جمعاً، يريدون أن يمدوا يهود خيبر، وأن يجعلوا لهم تمر خيبر، فسار «عليه السلام» إليهم، وفي الطريق أخذوا رجلاً هناك فسألوه، فأقر أنه عين لبني سعد، وأنه مرسل من قبلهم إلى خيبر، يعرض على يهودها نصرهم مقابل التمر.. ثم دلهم على موضع تجمعهم.

فسار علي «عليه السلام» بمن معه، فأغاروا عليهم، وهم عارون بين فدك وخيبر. فأخذوا خمس مائة بعير، وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن.

وعزل علي طائفة من الإبل الجياد، صفى المغنم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيها ناقة حلوب قريبة عهد بنتاج، تدعى الحفيدة، أو الحفدة لسرعة سيرها.

ثم عزل الخمس، وقسم الباقي على السرية.

وقدم بمن معه المدينة، ولم يلقوا كيداً»[1].

وفي نص آخر: أنه قبل أن يصل إليهم نزل «عليه السلام» بمن معه محلاً بين خيبر وفدك، فوجدوا به رجلاً، فسألوه عن القوم، فقال: لا علم لي، فشدوا عليه، فأقر أنه عين لهم. وقال: أخبركم على أن تؤمنوني، فأمنوه، فدلهم[2].

ويفهم من النص:

أن أهل خيبر كانوا يتوقعون الحرب فيما بينهم وبين المسلمين، فكانوا يسعون لإقامة تحالفات مع من يحيط بهم، لضمان أن يكونوا إلى جانبهم وتقوية لموقعهم ضد المسلمين..

ولكن الحقيقة هي أكثر من ذلك، فإنهم كانوا يجمعون الرجال استعداداً لمهاجمة المدينة.

إذ يلاحظ: أن النص يقول: إن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فإن هذا معناه: أنهم يجمعون الرجال للانضمام إلى اليهود، وليكونوا معهم في عملية حربية مُتَوَقَّعَة كان اليهود يخططون لها..

ولا شك في أن تسديد هذه الضربات لمن يدبرون للحرب من شأنه أن

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٢ و ١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٧ والبحار ج٢٠ ص٢٩٣ و ٣٧٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٧.

يفقدهــم قوتهم الاقتصادية، وأن يهزمهم نفسياً، ويضعف من درجة إصرارهم على الحرب، حين يدب اليأس وتثور أمامهم شكوك قوية في قدرتهم على النيل من هذه القدرة الضاربة، بل قد لا يحصلون إلا على الهزائم، ولا يحصدون إلا الخيبة، والبوار والخسران.. الأمر الذي لا بد أن يثير أمامهم ضرورة التفكير في السعي إلى تجنب هذه الحرب التي تتنامى احتمالات خسرانهم فيها..

٢ـ بعث زيد بن حارثة إلى أم قرفة:

وفي شهر رمضان من سنة ست، بعث «صلى الله عليه وآله» زيد بن حارثة إلى أم قرفة، فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزاري، بناحية وادي القرى، على سبع ليالٍ من المدينة.

وكان سببها: أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما كانوا بوادي القرى لقيه أناس من فزارة، من بني بدر، فضربوه، وضربوا أصحابه، وظنوا: أنهم قُتلوا، وأخذوا ما كان معهم.

فقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره، ونذر زيد أن لا يغسل رأسه من جنابة حتى يغزو بني فزارة. فلما برئ من جراحته، بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم، وأمره بأن يكمن بأصحابه بالنهار، ويسير بهم بالليل، ففعل، وكان معه دليل من بني فزارة.

فعلم بنو فزارة بالأمر، فراقبوا الطريق. ولكن الدليل ـ حين لم يبق لهم إلى بني فزارة سوى مسيرة ليلة ـ ضل الطريق الذي كان بنو فزارة يرصدونه،

بواسطة ناظرٍ لهم، ينظر لهم من رأس جبل مشرف مسيرة يوم في الصباح، ويقول لهم: اسرحوا، فلا بأس عليكم. وينظر لهم مسيرة ليلة مساءً، ويقول لهم: ناموا، فلا بأس عليكم. فحين ضل الدليل عن الطريق من مسيرة ليلة، أوصلهم إلى مقصدهم من طريق آخر.

فحمدوا خطأهم الذي وقعوا فيه، وكمن زيد لهم تلك الليلة. ثم صبحهم هو وأصحابه، فكبروا، وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وكانت ملكة ورئيسه.

وفي المثل يقال: أمنع وأعز من أم قرفة؛ لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً، كلهم لها محرم. وهي زوجة مالك بن حذيفة بن بدر.

وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر.

وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فقتلها قتلاً عنيفاً، حيث ربط برجليها حبلين، ثم ربطهما بين بعيرين، ثم زجرهما، فذهبا بها، فقطَّعاها.

وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقام إليه عرياناً ـ كما يزعمون ـ يجر ثوبه حتى اعتنقه، وقبّله، وسأله، فأخبره بما ظفره الله به[1].

ولقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» سلمة بن الأكوع، فطلب منه

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٧٩ ـ ١٨١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢ و ٩٩ و ١٠٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٨.

الفتاة المذكورة، فأعطاه إياها، فأهداها «صلى الله عليه وآله» إلى خاله، الذي كان في مكة.

وقفات للتوضيح والتصحيح:

وهناك العديد من النقاط التي لابد لنا من الوقوف عندها، للتصحيح تارة، وللتوضيح أخرى، وذلك على النحو التالي:

أمير الغزوة: أبو بكر.. أم زيد؟!

ورد في صحيح مسلم وغيره، عن سلمة بن الأكوع: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا بكر ليشن الغارة على بني فزارة في وادي القرى.

قال سلمة: «وخرجت معه، حتى إذا صلينا الصبح، أمرنا، فشنينا الغارة، فوردنا الماء، فقتل أبو بكر ـ أي جيشه ـ من قَتَل. ورأيت طائفة فيهم، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم، ورميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، وفيهم امرأة ـ أي وهي أم قرفة ـ عليها قشع من أدم ـ أي فروة ـ خلقة، معها ابنتها من أحسن العرب.

فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر، فنفلني أبو بكر (رض) ابنتها، فلم أكشف لها ثوباً، فقدمنا المدينة، فلقيني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا سلمة، هب لي المرأة لله أبوك. (أي كان قد وصف لرسول الله «صلى الله عليه وآله» جمالها).

فقلت: هي لك يا رسول الله، فبعث بها رسول الله «صلى الله عليه

وآله» إلى مكة، ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين»[1].

ونقول:

إن الكلام مشكوك فيه، فإن ابن إسحاق، وابن سعد، وغيرهما يقولون: إن أمير السرية التي أخذت فيها أم قرفة، وابنتها، هو زيد بن حارثة..

واحتمل البعض ـ جمعاً بين الأمرين ـ: أن يكون هناك سريتان، اتفق فيهما لسلمة بن الأكوع أن أصاب في كل واحدة منهما بنتاً لأم قرفة، فأخذهما منه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوهب إحداهما لخاله المكي، وهي السرية التي كان أميرها زيد بن حارثة، وفدى بالأخرى أسرى المسلمين في مكة، وهي السرية التي كان أبو بكر أميرها..

ونقول:

إن هذا الوجه وإن كان يحل مشكلة بنت أم قرفة ولكنه لا يحل مشكلة أم قرفة نفسها، فإنها لا يمكن أن تؤسر وتقتل في كلتا السريتين.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧٩ و ١٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢ و ١٠٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١١٨ عن عيون الأثر ج٢ ص١٥٤ ومسند أحمد ج٤ ص٤٦ وصحيح مسلم ج٥ ص١٥١ وعن سنن أبي داود ج١ ص٦١١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٢٩ وشرح صحيح مسلم ج١٢ ص٦٨ وسنن النسائي ج٥ ص٢٠٢ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٠٠ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١٥ ونصب الراية ج٤ ص٢٥٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٧ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٢٦ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٨٨.

ولأجل استبعاد التوافق في جميع الخصوصيات لم يرتض الحلبي ذلك: إذ من البعيد أن تتعدد أم قرفة، وأن يكون لكل واحدة بنتاً من أحسن العرب، وأن يأسرهما معاً ابن الأكوع، ثم يطلبهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويرسلهما أيضاً إلى مكة.

ما كشف ابن الأكوع لها ثوباً:

والغريب في الأمر: أن يترك ابن الأكوع هذه الوليدة، التي هي من أجمل نساء العرب، فلا يكشف لها ثوباً حتى يرجع بها إلى المدينة، ويطلبها منه الرسول «صلى الله عليه وآله» مرتين أو ثلاثاً حين لقيه في السوق في يومين، فهل كان هذا نتيجة ورع من ابن الأكوع؟!

أم أنه كان لا إرب له في النساء؟

أم أن الله صرفه عن ذلك؟!

ولماذا يصرفه الله عن امرأة ستصبح لأحد مشركي مكة؟!..

القسوة والبشاعة في قتل أم قرفة:

وذكروا: أن زيد بن حارثة أمر بقتل أم قرفة، لأنها كانت تسب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٨٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٣٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٣والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣٤.

وذكروا في كيفية قتلها ما تقدم: من أنهم ربطوا حبلين برجليها، وربطوهما إلى بعيرين، وزجروهما فشقاها نصفين..

ولكننا لا يمكن أن نصدق ذلك، فقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى عن المثلة، إما في غزوة أحد ـ حسبما تقدم في الحديث عنها ـ وإما في قضية أصحاب اللقاح، حسبما تقدم في سرية كرز بن جابر..

ولا نرى أن زيداً يرضى بمخالفة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مخالفة صريحة، ولو أنه رضي بذلك فسيجد في جيشه من يعترض عليه، ويشتكيه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولا بد أن يصدر منه «صلى الله عليه وآله» ما يدل على عدم رضاه بهذا الأمر، إن لم يصل الأمر إلى تأنيب الفاعلين، وتقبيح ما صدر منهم.

مصير بنت أم قرفة:

وقد زعم ابن الأكوع: أن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب منه بنت أم قرفة فوهبها له.. فأرسلها إلى مكة ففدى بها جماعة من المسلمين..

مع أن رواية أخرى تقول: إنه فدى بها مسلماً واحداً[1].

ونص آخر يقول: إنه أرسلها هدية إلى خاله، حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بمكة[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٠٠ وعن الإصابة ج٤ ص١٩٧ و ٢٥١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧١ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٨٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٧ والسيرة النبوية لابن =

مع أن سلمة قد قال للنبي «صلى الله عليه وآله» حينما طلب منه الجارية: «رجوت أن أفدي بها امرأة منا في بني فزارة، فأعاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكلام في مرتين، أو ثلاثاً، فعرف أنه «صلى الله عليه وآله» يريدها، فوهبها له..».

وفي نص آخر: «لقيني رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السوق، فقال: يا سلمة، هب لي المرأة.

فقلت: يا رسول الله، قد أعجبتني، وما كشفت لها ثوباً.

فسكت، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله «صلى الله عليه وآله» في السوق، ولم أكشف لها ثوباً، فقال: يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك.

فقلت: هي لك يا رسول الله الخ..»[1].

فما هذا الإصرار من النبي «صلى الله عليه وآله» على استيهاب جارية يريد صاحبها أن يفدي بها أسيرة من أقاربه؟!

= هشام ج٤ ص١٠٣٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٢ و ١٠٠ ومسند أحمد ج٤ ص٤٦ و ٥١ وصحيح مسلم ج٥ ص١٥١ وسنن أبي داود ج١ ص٦١١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٢٩ وشرح صحيح مسلم ج١٢ ص٦٨ وسنن النسائي ج٥ ص٢٠٢ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٠٠ والمعجم الكبير ج٧ ص١٥ ونصب الراية ج٤ ص٢٥٩ والطبقات الكبرى ج٢ ص١١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٢ ص٩٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٥١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٧.

ولماذا يعيد «صلى الله عليه وآله» الكلام مرتين أو ثلاثاً؟! مع أن فداء الأسير من الأقارب ـ خصوصاً إذا كانت امرأة ـ أولى من الهدية إلى الخال المقيم على الشرك في مكة.. خصوصاً، وأنه قد كان بالإمكان أن يهيء له هدية أخرى تكون من مال نفس المهدي، لا من مال رجل آخر لم يتنازل عن جاريته إلا بعد الإصرار وربما حياءً وخجلاً من رسول الله!!

ولا ندري، لماذا أصر «صلى الله عليه وآله» على الاستيهاب ولم يعرض عليه أن يبيعها له!! ألم يكن هو الأولى والأنسب بمقامه «صلى الله عليه وآله»؟!

سوء أدب ووقاحة:

قالوا: ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء إلى بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقرع الباب، فخرج إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عرياناً، يجر ثوبه، واعتنقه، وقبله وسأله، فأخبره بما ظفَّره الله تعالى به[1].

ونقول:

١ ـ إنه ليس هناك أي داع لخروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى زيد على هذه الحالة، إذ ليس ثمة ما يشير إلى وجود أمر مستعجل، أو غير

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص ١٨١ والجامع الصحيح ج٤ ص١٧٤ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٤٣٤ ونصب الراية ج٦ ص١٥٤ وكنز العمال ج١٠ ص٥٦٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٥ ص٣٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٩ و ٤٢٧ وعيون الأثر ص١٠٨ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦٦ وعن فتح الباري ج١١ ص٥١.

عادي يمنعه من تناول ثوبه، ووضعه على عاتقه في ثوان قليلة.

٢ ـ هل كان «صلى الله عليه وآله» يستقبل، ويقبل ويعانق كل عائد من الغزو، وخصوصاً بهذه الحرارة؟ وبهذه العجلة؟!

أم أنه كان يعانق ويقبل خصوص المنتصر الذي جاء بالغنائم والأسرى؟

أم أن هذه خصوصية لزيد بن حارثة دون كل من عداه، حتى علي بن أبي طالب «عليه السلام»؟! الذي لم يجد هذه المعاملة حينما عاد من فتح خيبر، أو حينما عاد من قتل عمرو بن عبد ود العامري.. أو في فتح حنين، أو في حرب بدر، وأحد.. وغير ذلك.

أم أن لهذه الغزوة ـ غزوة أم قرفة ـ خصوصية عنده «صلى الله عليه وآله»؟ وما هي تلك الخصوصية؟!

٣ ـ إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشد حياءً من العذراء في خدرها، فكيف يخرج إلى زيد بن حارثة عرياناً يجر ثوبه، ثم يعانقه ويقبِّله..

٤ ـ لماذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» عرياناً هل كان يغتسل؟ أو كان يمارس حقه الطبيعي مع زوجته؟! أو كان بصدد تبديل ملابسه؟!

إن ذلك كله مما يأنف الناس من الإيحاء به للآخرين، أو أن يسوقهم إلى أن يتصوروه عنهم، فكيف برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

٣ ـ سرية ابن عتيك إلى أبي رافع:

وفي شهر رمضان من سنة ست، كانت سرية عبد الله بن عتيك، لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بخيبر.

وقيل: كان ذلك في ذي الحجة سنة خمس.

وقيل: في جمادى الآخرة سنة ثلاث.

وكان أبو رافع ممن حزَّب الأحزاب يوم الخندق.

وأرسل «صلى الله عليه وآله» مع ابن عتيك أربعة رجال هم: عبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وخزاعي بن الأسود، ومسعود بن سنان. وأمرهم بقتله، فقتلوه[1].

وقد تقدم الحديث عن هذه السرية في أوائل الجزء السادس، فراجع.

٤ ـ سرية ابن رواحة إلى ابن رزام اليهودي:

قالوا: وفي شوال من سنة ست، كانت سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير (أو اليسير) بن رزام (أو رازم) اليهودي بخيبر.

وسببها: أنه لما قَتَل أبو رافع ابنَ أبي الحقيق، أمَّرت يهود عليها أسيراً هذا، فسار في غطفان وغيرهم يجمع لحرب النبي «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٣ والبحار ج٢٠ ص١٣ و ٢٠٣ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٢٣ وج٥ ص٢٦ و ٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٢٢ وج٩ ص٨٠ وعن مقدمة فتح الباري ص٢٨٨ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٦٢ و ٢٦٣ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٠٨ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٢٠٤ و ٢٠٥ ودلائل النبوة ص١٢٥ والثقات ج١ ص٢٤٧ وأسد الغابة ج١ ص٨١ و ٨٣ وج٤ ص٣٥٨ وعن الإصابة ج١ ص٢٢٣ وتاريخ المدينة ج٢ ص٤٦٥ و ٤٦٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٨ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص١٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٥٦ و ١٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٤١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٠٢ و ١٠٤.

ليغزوه في عقر داره بزعمه، فبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؛ فوجه ابن رواحة في ثلاثة نفر، في شهر رمضان سراً، فسأل عن خبره، وعربه، ثم رجع، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك..

فندب «صلى الله عليه وآله» الناس، فانتدب مع ابن رواحة ثلاثون رجلاً، فساروا إلى أسير، فقالوا له: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعثنا إليك لتخرج إليه، يستعملك على خيبر، ويحسن إليك، فاستشار اليهودَ، فأشاروا عليه بعدم الذهاب، وقالوا: ما كان محمد ليستعمل رجلاً من بني إسرائيل.

قال: بلى قد ملَّ، الحرب.

فحرج معهم في ثلاثين رجلاً من اليهود، مع كل رجل من المسلمين رديفه من اليهود، فلما كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن أنيس بالسيف، فسقط عن بعيره، ومالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل، ولم يصب من المسلمين أحد.

ثم قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين[1].

وفي نص آخر: أن ابن أنيس حمل اليسير على بعيره، فلما صاروا بقرقرة، على ستة أميال من خيبر، ندم اليسير على مسيره إلى رسول الله «صلى الله

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١١١ و ١١٢ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٩٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٩.

عليه وآله»، ففطن به ابن أنيس، وهو يريد السيف، فاقتحم به، فضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش في يده، فأمَّه..

ثم قتلوه مع أصحابه غير رجل واحد أعجزهم هرباً.

فلما قدم ابن أنيس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفل على شجته، فلم تقح، ولم تؤذه[1].

قال: وقطع لي قطعة من عصاه، فقال: امسك هذه معك، علامة بيني وبينك يوم القيامة، أعرفك بها؟ فإنك تأتي يوم القيامة متخصراً.

فلما دفن عبد الله بن أنيس، جعلت معه على جلده، دون ثيابه[2].

ونقول:

إننا نسجل هنا النقاط التالية:

ألف ـ التثبت في الأمر:

إن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» حين سمع بسعي أسير بن رزام لجمع غطفان لحربه «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى اتخاذ القرار بمهاجمته، بل أرسل من يتثبت له من هذا الأمر.

فلما تأكد له صحته، بادر لتسديد ضربته الوقائية، التي اقتصرت على

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١١١ و ١١٢،وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٤٠٦ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٣٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١١٢.

تدمير موقع الخطر دون سواه، فعمل على التخلص من خصوص الساعي في تأليب الناس وجمعهم لحرب المسلمين، وهو ابن رزام نفسه، أما قومه، فلم يردهم رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لاحتمال أن يكون لهم عذرهم في الانقياد لأسير، والانخداع بما كان يقدمه لهم من مبررات..

وهذا في الحقيقة: إحسان من النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم، وإعطاء الفرصة لهم لإعادة النظر في الأمور بروية وتعقل.

وهذا يدلنا: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن همه إرسال عصابات القتل، والسلب، والنهب في كل اتجاه، كما ربما يراد الإيحاء به، أو التسويق له، بل كان يريد دفع شر الأعداء عن أهل الإسلام، حينما يتضح له بصورة قاطعة أنهم بصدد تسديد ضربتهم للإسلام والمسلمين.

ب ـ استعمال أسير على خيبر:

وما ذكروه لأسير بن رزام: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن يستعمله على خيبر، غير ظاهر الوجه، لأن المفروض: أن هذه السرية كانت سنة ست، أي قبل فتح حصون خيبر بمدة طويلة، إلا إذا كان المقصود هو استعماله على حصون خيبر، التي كانت بيد اليهود، وهم لم يكونوا تحت سيطرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

بل كان جعله على خيبر يكون من قبيل تحصيل الحاصل، لأن المفروض حسب زعم الرواية: أن يهود خيبر قد أمَّروا أسير بن رزام عليهم بعد قتل ابن أبي الحقيق، فما معنى هذا العرض؟!

فلعل الصحيح: هو أن هذه السرية قد كانت بعد فتح خيبر، ويكون

اليهود الذين تفرقوا في البلاد، أو أبقاهم النبي «صلى الله عليه وآله» ليعملوا في أرض خيبر قد جعلوا عليهم ابن رزام، فسعى لنقض العهد، وجمع الجموع لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فجاءه ابن رواحة في ثلاثين رجلاً، وكان ما كان، من تطميعه بالولاية على خيبر من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ثم انتهى الأمر بقتله، وقتل من معه..

وأبقي «صلى الله عليه وآله» اليهود على أعمالهم في خيبر؛ لأنهم لم يشاركوا ابن رزام في مساعيه..

ولعل هذا أولى بالقبول من القول: بأن القضية قد حصلت قبل خيبر، وأن المقصود: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يجعله على غطفان، وغيرها من القبائل الساكنة في تلك المناطق.

أو أنهم أرادوا طمأنته إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأبى من أن يكون أميراً على خيبر، بل هو يعطيه أيضاً تفويضاً بذلك، ويستعمله عليها، فقبل ابن رزام، المتوجس خيفة من الحرب ذلك منهم، لأنه رأى أنه قد ضمن السلام والسلامة، وأبعد عن مخيلته شبح الحرب، وكابوسها المخيف والمرعب الذي رأى بعض فصوله في حروب المسلمين مع بني قينقاع، والنضير، ومع المشركين في بدر وفي أحد.

وقد يهوِّن عليه تصديق هذه المقولة: ما دخل في وهمه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ملَّ الحرب[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣.

ولكن في نص آخر قال أسير بن رزام: «بلى قد مللنا الحرب»[١].

وهذا يؤيد: أنه كان يريد أن يتخلص من شبح الحرب، التي ملها الناس من حوله.

وفي جميع الأحوال نقول: إن الأرجح هو أن تكون هذه السرية قد حصلت بعد فتح خيبر حسبما أوضحناه.

ج ـ من هو الغادر؟

وذكروا: أنهم حين ساروا برفقة أسير بن رزام «حمل عبد الله بن أنيس أسير بن رزام على بعيره، قال عبد الله بن أنيس: فسرنا حتى إذا كنا بقرقرة ثبار، وندم أسير، وأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له، ودفعت بعيري، وقلت: أغدراً أي عدو الله؟!

فدنوت منه لأنظر ما يصنع، فتناول سيفي. فغمزت بعيري، وقلت: هل من رجل ينزل يسوق بنا؟!

فلم ينزل أحد.

فنزلت عن بعيري، فسقت بالقوم، حتى انفرد لي أسير، فضربته بالسيف، فقطعت مؤخرة الرجل، واندرت عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره، وفي يده مخرش الخ..»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١١١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٩٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١١٢ وج١٠ ص٢٤ والبحار ج٢٠ ص٤١ وإعلام الورى ج١ ص٢١١.

ونقول:

إن هذا النص وأمثاله على درجة كبيرة من الغموض بل هو موضع شك وريب أيضاً.. فإنه إذا كان ابن أنيس قد فطن لغدر ابن رزام، وصرح فعله عن غدره هذا، فمن المتوقع أن يحتاط أسير لنفسه، ويتباعد عن مرافقه، ويفر منه، وأن يعلن عزمه على العودة من مسيره ذاك.

ومن جهة ثانية، نقول:

قد روي أن قتل أسير كان على يد عبد الله بن رواحة فراجع[1].

ومن جهة ثالثة، نقول:

كيف لم يسمع أحد من المرافقين، وهم ما يقرب من ستين رجلاً ما قاله ابن أنيس لرفيقه؟..

كما لم يروا ما دار بينهما من تجاذب للسيف!! وثمة أسئلة أخرى تحتاج إلى الإجابة هنا، وهي التالية:

كيف صار اليهود ردفاء للمسلمين؟! ألم يكن لدى ذلك الرئيس المطاع أعني أسير بن رزام ولدى سائر من معه، خيل، أو إبل يركبونها، حتى احتاجوا إلى الارتداف خلف أناس، كانوا إلى ما قبل ساعة يسعون لجمع الناس لحربهم؟!.

وهل فكر أولئك اليهود الرؤساء بكيفية رجوعهم، من مسيرهم ذاك؟ وهل سوف يرجعون سيراً على الأقدام؟ أم على الخيل؟ أم على الإبل؟!

وعلى أية خيل أو إبل سيعودون إلى بلادهم؟.

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤١٨.

وإذا لم يكن هناك ارتداف وكان كل واحد منهم يركب بعيره الخاص به، فكيف وصلت يد أسير بن رزام إلى سيف ابن أنيس؟.

وهل جاء ابن رواحة ومن معه في مهمتهم تلك على الخيل؟ أم على الإبل؟

فإن كانوا جاؤوا على الخيل، فمن أين جاءت الإبل؟ وإن كانوا جاؤوا على الإبل، فهل الإبل هي المراكب المناسبة لمهمات كهذه؟.

وعن قصة قتل ابن أبي الحقيق نقول:

قد تقدم: أن ابن عتيك هو الذي قتله، وقد أصيب ابن عتيك، وبانت يده فمسح النبي «صلى الله عليه وآله» عليها فلم تكن تعرف من اليد الأخرى[1].

د ـ ابن أنيس وقصة العصا:

وعن قصة العصا التي أعطاها النبي «صلى الله عليه وآله» لابن أنيس، نقول:

أولاً: إن نفس هذه الدعوى قد ادَّعاها ابن أنيس لنفسه في قضية قتل سفيان بن خالد، حيث زعم: أنه هو الذي أنجز هذه المهمة، وأعطاه النبي «صلى الله عليه وآله» العصا ليعرفه بها، ثم جعلها بين كفنه وجلده..

فهل تكررت هذه الواقعة كما يحلو للبعض أن يتخيل؟!

فإن كان الأمر كذلك، فإن نفس الحلبي الشافعي ربما تتشوق للسؤال

---

(١) البحار ج١٠ ص٤٦ وج١٧ ص٢٩٤ وج٢٠ ص٣٠٣ وراجع أيضاً: مسند أبي يعلى ج٢ ص٢٠٦ من له رواية في مسند أحمد ص٢٤١ وغير ذلك.

عن حكمة تكرير ذلك له، وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة.

ثانياً: لا ندري لماذا يحتاج ابن أنيس إلى علامة تعرّف النبي «صلى الله عليه وآله» به!! فهل يحتاج النبي حقاً في معرفته لابن أنيس إلى علامة؟!

ولماذا لا يعرفه إذا رآه، من حيث إنه يحفظ صورة وجهه في ذاكرته؟!

أم أن ذاكرته «صلى الله عليه وآله» سوف تضعف حين يدخله الله الجنة؟!

وإذا كان الأمر كذلك، فما هي العلامات التي كان «صلى الله عليه وآله» يعرف بها نساء أصحابه.

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي تحتاج إلى جواب..

٥ ـ سرية زيد بن حارثة إلى مدين:

قالوا: وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» زيد بن حارثة إلى مدين، فأصاب سبياً من أهل ميناء، وهي السواحل، فبيعوا، ففرقوا بين الأمهات وأولادهن. فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم يبكون، فقال: ما لهم؟!

فأخبر خبرهم.

فقال: لا تبيعوا إلا جميعاً[1].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٦ ودعائم الإسلام ج٢ ص٦٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٥١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٠٦.

تحفظ على سرية مدين:

ونقول:

إن لنا تحفظاً على هذه السرية، يتلخص في أن «**مدين**» هي قرية شعيب، وقد سميت باسم مدين بن إبراهيم، وكان بينها وبين مصر ثمان مراحل[1]. ولكنها لم تكن في سلطة فرعون.

وفي معجم ما استعجم: أنها بلد بالشام، معلوم، تلقاء غزة. وهو منزل جذام، وشعيب النبي المبعوث إلى أهل مدين أحد بني وائل، من جذام[2].

والسؤال هو:

كيف استطاع زيد أن يخترق كل تلك التجمعات السكانية، وكانت كلها معادية له ولدينه، ويقطع هذه المئات من الأميال، ولا يعارضه أحد من أهل الشرك والكفر، الذين كانوا في تلك المفاوز والقفار النائية، والتي قد يكون لقيصر الروم حساسية خاصة تجاه غزوها، كما ظهر في قضية غزوة مؤتة.

ثم هو يحارب أهل مدين، ويأسر النساء والأطفال من أهل ميناء، ثم لا ينجد هؤلاء المنكوبين أحد من أهل نحلتهم، ومن هم على دينهم..

إننا، وإن كنا لا نستطيع أن نعتبر هذه التساؤلات دليلاً قاطعاً على النفي، ولكنها ترشد إلى لزوم التريث في الحكم القاطع بصحة هذه النقولات.

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٥ عن أنوار التنزيل.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٥عن معجم ما استعجم.

إحترام المشاعر الإنسانية:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بعدم التفريق بين الأم وولدها في البيع. والذي نريد أن نوجه النظر إليه هو:

أن هناك اختلافاً في النظرة إلى هذا الكائن الإنساني، وفي مبررات تكريمه، أو إهانته، ينشأ عنها اختلاف في التعامل معه في هذا الاتجاه أو ذاك أيضاً.

فقد تعطى القيمة للإنسان على أساس العصبيات العرقية أو القومية، وقد تبنى العلاقة بالإنسان على أساس المنفعة والمصلحة، أو اللذة العاجلة. وما إلى ذلك..

وهناك من يعطي القيمة للإنسان استناداً إلى مجرد كونه كائناً بشرياً وحسب.

ولكن القيمة في الإسلام تستند إلى عنصرين أساسيين:

أحدهما: كونه بشراً ونظيراً لك في الخلق.

والثاني: كونه أخاً لك في الدين.

وفَقْدُ أحد هذين العنصرين لا يلغي الحق الثابت له من خلال توفر العنصر الآخر.. وإن اختلفت طبيعة هذا الحق الثابت، بالنسبة إلى كل واحد منهما..

وعلى هذا الأساس نقول:

إنه إذا فقد الالتزام الديني لدى الإنسان، واتجه نحو ممارسة العدوان، فإن ذلك، وإن كان يسلبه الحق الذي ينشأ عن الالتزام الديني، ولكنه لا يستطيع أن يسقط الحق الثابت له بالاستناد إلى بشريته، وإلى نوع خلقته وتكوينه.

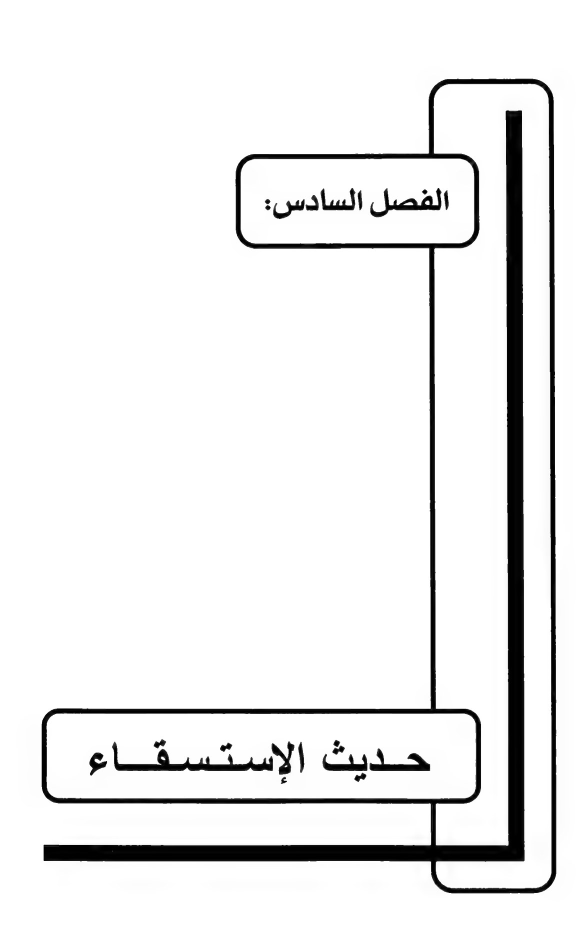
فمن يؤسَرُ أو يُسْبى، نتيجة ظروف الصراع معه، من أجل امتلاك حرية

التدين التي يسعى لسلبها منك، وإن كان يحرم الحقوق التي تثبتها الأخوة الدينية، ولكن الحقوق التي يثبتها له كونه نظيراً في الخلق، لا يمكن إسقاطها..

ولذلك نهى النبي «صلى الله عليه وآله» عن التفريق بين الأم وولدها، وفرض أن لا يباعا إلا جميعاً، حسبما تقدم.

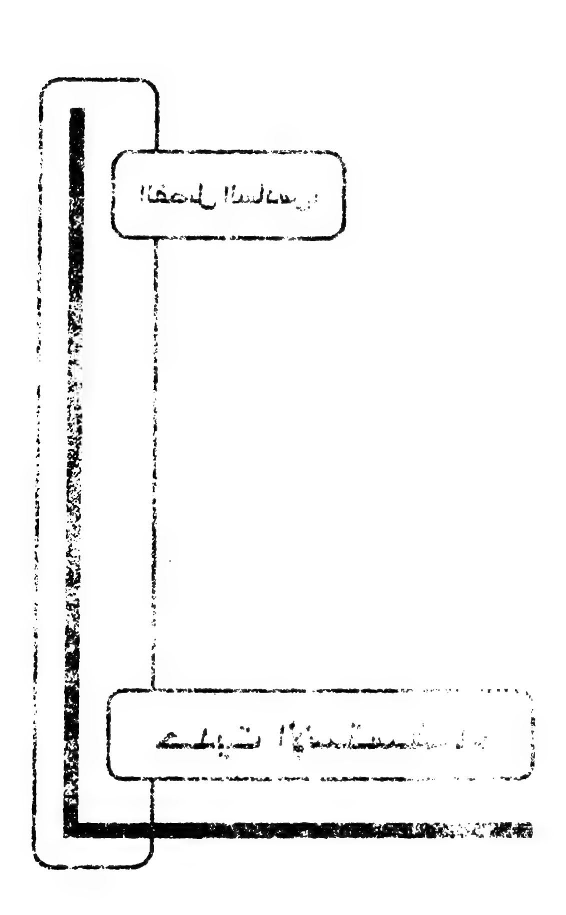
ولهذا نقول:

إن نهي النبي «صلى الله عليه وآله» عن هذا التفريق ليس مجرد قرار شخصي، أو نتيجة توهج عاطفي، بل هو حكم إلهي مستند إلى مبرراته الموضوعية، وينطلق من طبيعة النظرة إلى الحقوق، وإلى مناشئها..



الفصل السادس:

حـديث الإسـتـسـقــاء



حديث الاستسقاء:

وفي شهر رمضان من سنة ست استسقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأهل المدينة فمطروا، فقال «صلى الله عليه وآله»: أصبح الناس مؤمناً بالله، كافراً بالكواكب.

وذلك لأن الناس كانوا قد قحطوا، فطلبوا منه «صلى الله عليه وآله» أن يستسقي لهم، فخرج، ومعه الناس يمشون بالسكينة والوقار، إلى المصلى، فصلى بهم ركعتين، يجهر بالقراءة فيهما، وقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى، والثانية بفاتحة الكتاب، وهل أتاك حديث الغاشية..

ثم استقبل الناس بوجهه، وقلب رداءه، لكي ينقلب القحط إلى الخصب، ثم جثا على ركبتيه، ورفع يديه، وكبر تكبيرة قبل أن يستسقي، ثم قال: اللهم اسقنا وأغثنا غيثاً مغيثاً، وحياءً ربيعاً.. الخ..

فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب، فالتأم بعضه إلى بعض، ثم أمطرت سبع أيام بلياليهن، فأتاه المسلمون، وقالوا: يا رسول الله، قد غرقت الأرض، وتهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادع الله تعالى أن يصرفها عنا.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو على المنبر حتى بدت نواجذه، تعجباً لسرعة ملالة بني آدم. ثم رفع يديه، ثم قال:

حوالينا، ولا علينا، اللهم على رؤوس الظراب، ومنابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الآكام.

فتصدعت عن المدينة حتى كانت مثل ترس عليها، كالفسطاط، تمطر مراعيها، ولا تمطر فيها قطرة[1].

ثم قال: لله أبو طالب، لو كان حياً لقرت عيناه، من الذي ينشدنا قوله!

فقام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله، كأنك أردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله يردى محمد ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أجل.

فقام رجل من كنانة يترنم، ويذكر هذه الأبيات:

لك الحمد والشكر ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقنا دعوة إليه وأشخص منه البصر

ولم يك إلا كقلب الرداء وأسرع حتى رأينا المطر

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٤ وراجع: مناقب أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٨٢ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٩٢ و ٤٣١ وعن فتح الباري ج٢ ص٤٢٥ و ٤٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٤٤٠ و ٤٤٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٠٠ والأحاديث الطوال ص٧١ وكتاب الدعاء للطبراني ص٥٩٧ وراجع: المعجم الأوسط ج٧ ص٣٢١.

دفـاق الـغـرائـل جـم البعاق	أغـاث بـه عـلـيـنـا مـضر
وكـان كـما قـالـه عمه	أبـو طـالـب أبـيض ذو غـرر
بـه الله يـسـقـيـه صـوب الغمام	وهـذا الـعـيـان لـذاك الخـبر
فـمـن يـشـكـر الله يـلـق المزيد	ومـن يـكـفـر الله يـلـق الـعـبر[1]

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات، هي التالية:

الاستسقاء أكثر من مرة:

إن مراجعة النصوص التاريخية يفيد: أنه «صلى الله عليه وآله»، قد استسقى أكثر من مرة، إحداها حين رجع من تبوك في سنة تسع، بطلب من وفد بني فزارة[2].

وسيأتي الحديث عنها في موضعه إن شاء الله تعالى، وبيان ما فيها من روايات مكذوبة تضمنت التجسيم، ونسبة الضحك إلى الله سبحانه، وغير ذلك من أكاذيب، وترهات وأباطيل، وفيها أيضاً الكثير من الجرأة والوقاحة،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ص١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٤٤٠ و ٤٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٢ و ٢٣٥ وأمالي المفيد ص٣٠٥.

(٢) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص١٤٣ وطبقات ابن سعد ج٢ ص٩٢ وج١ ص٢٩٧.

وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠٥ و ٩٦ وج٥ ص١٠٣ وعن فتح الباري ج٢ ص٤٢٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٠٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٧١.

فيما ينسبونه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه تنبأ بأن أبا لبابة يقوم عرياناً، يسد ثعلب مربده وغير ذلك..

اللهم حوالينا ولا علينا:

واللافت هنا: أن الناس حين استمر المطر أسبوعاً كاملاً طلبوا من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أن يدعو الله بأن يكف بعضاً من ذلك عنهم، فدعا الله بقوله: «اللهم حوالينا ولا علينا»، فانجابت السحابة عن المدينة، واستمر المطر ينهمر على أطرافها..

وتحكى هذه الحادثة في مختلف وقائع الاستسقاء، التي رويت.. وهي شاهد على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استجاب لهم، وتصدى للتصرف في أمور التكوين، ولكن بطريقة الطلب من الله تعالى، فجاءت الاستجابة الإلهية متوافقة مع إرادته «صلى الله عليه وآله». ولتكن هذه القضية شاهداً لما اصطلح عليه العلماء، بالولاية التكوينية للمعصوم، والتي تعني أن تكون إرادته «عليه السلام» في سلسلة العلل لحدوث أمثال هذه الأمور.

وقد أوضحنا هذا الأمر في كتابنا خلفيات كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام»، فيمكن للقارئ أن يرجع إليه ويطلع عليه..

لا يرفع يديه إلا في الاستسقاء:

وقد ذكرت بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، حين استسقى رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، ودعا.. وكان لا يرفع يديه في

شيء من الدعاء إلا في الإستسقاء[1].

ونقول:

أولاً: إن رواية الاستسقاء التي تقدم ذكرها لم تذكر: هل أنه «صلى الله عليه وآله» في الركعة الأولى قد كبر بعد قراءة الحمد والسورة خمس تكبيرات، وقنت خمس قنوتات، ولا أنه قد كبر في الركعة الثانية أربع تكبيرات وقنت أربع قنوتات، مع أن هذا هو ما يميز هذه الصلاة عما عداها، لأنها ليست مجرد ركعتين كصلاة الصبح، ولا شيء أكثر من ذلك.

ثانياً: إن الأحاديث دلت على أنه «صلى الله عليه وآله»، كان يرفع يديه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٤ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٢ ومسند أحمد ج٢ ص٣٧٠ وج٣ ص١٨١ وسنن الدارمي ج١ ص٣٦١ وعن صحيح البخاري ج٢ ص٢١ وج٤ ص١٦٧ وصحيح مسلم ج٣ ص٢٤ وعن سنن أبي داود ج١ ص٢٦٠ وسنن النسائي ج٣ ص١٥٨ و ٢٤٩ والمستدرك للحاكم ج١ ص٣٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢١٠ و ٣٥٧ وشرح صحيح مسلم ج٦ ص١٩٠ وعن فتح الباري ج٢ ص٣٤٢ و ٤٢٢ وشرح سنن النسائي ج٣ ص١٥٨ والديباج على مسلم ج٢ ص٤٦٩ وتحفة الأحوذي ج٩ ص٢٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٣٧٠ ومسند أبي يعلى ج٥ ص٣١١ و ٣٣٣ و ٣٣٩ و ٣٤٧ و ٣٩٩ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٣٣ وج٣ ص١٤٧ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١١٣ وكتاب الدعاء ص٥٩٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٥٥ و ٦٣ ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص١٧٧ وإرواء الغليل ج٣ ص١٤١ وعن الكامل ج٦ ص٣٧٣ وتاريخ بغداد ج٢ ص٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٢ ص١٥ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص٣٨٩ وسير أعلام النبلاء ج١٣ ص٢٥٣ وذكر أخبار أصفهان ج١ ص١٤١ والبداية والنهاية ج٦ ص١٠٠.

في الدعاء كثيراً، وقد ذكر الصالحي الشامي أنه يوجد في صحيحي البخاري ومسلم، أو في أحدهما: نحو ثلاثين حديثاً صرح بذلك[1].. فكيف بما في غيرهما من كتب الحديث والسيرة؟!

عبد المطلب يستسقي برسول الله ﷺ:

وقد ذكر الشهرستاني: أنه لما أصاب أهل مكة ذلك الجدب العظيم، وأمسك السحاب عنهم سنتين أمر عبد المطلب ولده أبا طالب أن يحضر المصطفى «صلى الله عليه وآله»، وهو رضيع في قماط. فوضعه على يديه، واستقبل الكعبة، ورماه إلى السماء، وقال: يا رب، بحق هذا الغلام[2].

ورماه ثانياً وثالثاً، وكان يقول: بحق الغلام، اسقنا غيثاً مغيثاً، دائماً هاطلاً.

فلم يلبث ساعة أن طبق السحاب وجه السماء، وأمطر حتى خافوا على المسجد.

وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللامي، الذي منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ثم ذكر أبياتاً من القصيدة[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٣٩٦ وراجع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ مادة: رفع.

(٢) الغدير ج٧ ص٣٤٦.

(٣) الملل والنحل ج٣ ص٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١١٩ والغدير ج٧ ص٣٤٦ وعن فتح الباري ج٢ ص٤١٢.

ولكن من يلاحظ لامية أبي طالب يجد أنها تشير إلى أحداث وقعت بعد نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. الأمر الذي يدل على أنه رحمه الله لم ينظمها دفعة واحدة، بل هو قد نظم بعض مقاطعها في زمن أبيه عبد المطلب، ثم أتمها في أزمنة لاحقة، بعد بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أبو طالب يستسقي بالرسول ﷺ ثلاث مرات:

هذا.. **وقد روي**: أن أبا طالب استسقى برسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً في صغره، لما تتابعت عليهم السنون، فأهلكتهم، فخرج به «صلى الله عليه وآله» إلى أبي قبيس، وطلب السقيا بوجهه، فسقوا، فقال يمدحه «صلى الله عليه وآله»:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل[1]

والظاهر: أنه كرر إنشاد هذه الأبيات، بعد أن كان قد قالها حين استسقاء عبد المطلب به.

وروى ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة، قال: «قدمت مكة، وقريش في قحط، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١ ص٤٨٩ عن ابن سعد، والطبراني، وشرح الأخبار ج٣ ص٢٢٣ وأمالي المفيد ص٣٠٤ والخرائج والجرائح ج١ ص٥٩ والعمدة ص٤١٢ والطرائف ص٣٠١ والصراط المستقيم ج١ ص٣٣٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٩٥ وحلية الأبرار ج١ ص٨٤ والبحار ج١٩ ص٣ و ٢٥٥ وج٣٥ ص١٦٦ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٥٣ وأبو طالب حامي الرسول ص١٠٦ و ١٠٨ و ١١١ والغدير ج٧ ص٣٣٩.

وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى.

فقال شيخ وسيم، حسن الوجه، جيد الرأي: أنى تؤفكون، وفيكم بقية إبراهيم، وسلالة إسماعيل؟!

قالوا: كأنك عنيت أبا طالب؟

قال: إيها.

فقاموا بأجمعهم، وقمت معهم، فدققنا عليه بابه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه إزار قد اتشح به، فثاروا إليه، فقالوا: يا أبا طالب، أقحط الوادي، وأجدب العيال! فهلم فاستسق لنا!!

فخرج أبو طالب، ومعه غلام، كأنه شمس دجنة، تجلت عليه سحابة قتماء، وحوله أغيلمة. فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأضبعه الغلام، وما في السماء قزعة. فأقبل السحاب من ههنا وههنا، فأغدق واغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب النادي والبادي.

وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة الأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل

وقال ابن سعد: حدثنا الأزرق، حدثنا عبد الله بن عون، عن عمرو بن سعيد: أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز مع ابن أخي، يعني النبي «صلى الله عليه وآله»، فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت: يا بن أخي قد عطشت. وما قلت له ذلك، وأنا أرى عنده شيئاً إلا الجزع، قال: فثنى وركه.

ثم قال: يا عم عطشت؟

قلت: نعم.

فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا أنا بالماء، فقال: اشرب، فشربت.

وله طرق أخرى، رواها الخطيب، وابن عساكر»[1].

عمر يتوسل ويستسقي بعم الرسول ﷺ:

وقد صرحت الروايات أيضاً: بأن عمر بن الخطاب استسقى بعد وفاة الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وتوسل بالعباس عم النبي «صلى الله عليه وآله»، ومعه غيره من بني هاشم، وطلب العباس من الناس أن لا يخالطوهم وقال مخاطباً عمر بن الخطاب: «لا تخلط بنا غيرنا».

فكان من دعاء عمر بن الخطاب في الاستسقاء قوله: اللهم إنا توجهنا (أو نتوسل، أو نتقرب) إليك بعم نبيك[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٢ ص١٣٧ وراجع: إرشاد الساري ج٢ ص٢٢٧ وشرح بهجة المحافل ج١ ص١١٩ والسيرة النبوية لدحلان ج١ والسيرة الحلبية ج١ والمواهب اللدنية ج١ ص٤٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٨٦ و ١٢٤ والغدير ج٧ ص٣٤٦ عن أكثر من تقدم وعن طلبة الطالب ص٤٢ وأبو طالب حامي الرسول ص١٨٣ و ١٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٧ ص٢٧٤ وج١٤ ص٥١ واقتضاء الصراط المستقيم ص٣٣٨ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣٤ ومآثر الأنافة ج١ ص٩١ وفتح الباري ج٢ ص٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ وكنز العمال ج١٦ ص١٢٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ٣٠ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢٧٩ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٩٩ وتذكرة الفقهاء ج١ ص١٦٧ والأوائل لأبي هلال العسكري ج١ ص٢٥٦ والبيان والتبيين ج٣ ص٢٧٩ وذخائر العقبى ص٢٠٠ و ٢٣٦ والأغاني ج١١ ص٨١ والعقد الفريد ج٤ ص٦٤ والنهاية =

وذلك كله، وكثير سواه يوضح لنا: أن مشروعية التوسل بالأنبياء، والأولياء «عليهم السلام» كانت من المرتكزات الأولية لدى المسلمين، يعرفها الكبير والصغير فيهم، فلا معنى ولا مبرر لمكابرة أهل الباطل، وخصوصاً الناصبة منهم، بالإصرار على المنع من ذلك، واعتباره شركاً أو كفراً!!

نظرة أبي طالب لرسول الله ﷺ:

وبعد.. فإن الكل يعلم: أن من يعاشر إنساناً مدة طويلة، ويطلع على حالاته المختلفة، ويتلمس فيه الضعف والقوة، والمرض، والصحة، والملالة،

= لابن الاثير ج٢ ص٣٣ وج٤ ص٩٤ والأسماء والصفات للبيهقي ج١ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ص٣١٩ وج٤ ص١٩ وج٣ قسم ١ ص٢٣٢ وج٥ ص١٠٧ وربيع الأبرار ج١ ص١١٩ و ١٣٤ وغريب الحديث لابن قتيبة ج٣ ص١٨٢ والفتوحات الإسلامية لدحلان ج٢ ص٣٨٠ وأسد الغابة ج٣ ص١١١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٩٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٥٢ وينابيع المودة ص٣٠٦ والسنن الكبرى ج٣ ص٣٥٢ والرصف للعاقولي ص٤٠٠ وعن البحار ج٢ ص٣٤ وج٥ ص٢٥ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٥٣٨ وتأويل مختلف الأحاديث ص٢٣٥ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٣٨ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١١١ والمعجم الأوسط ج٣ ص٤٩ والفائق في غريب الحديث ج٣ ص١١٥ والدرجات الرفيعة ص٩٦ وتاريخ خليفة بن خياط ص٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦١ و ٣٦٣ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٩١ و ٩٣ و ٩٧ وتاريخ المدينة ج٢ ص٧٣٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٠٣.

والضجر، والأريحية والانشراح، والحزن، والسرور.

ويراه في حالات الغضب والرضا، والتبذل والترسل، والانقباض، والانبساط، والجدية، والترسم، واللعب، واللهو، والعمل، والمثابرة، والنشاط، والكسل، والفراغ، والشغل، وما إلى ذلك، فإن كل من يرى هذه الحالات في إنسان ما، سوف تتضاءل وتنكمش، وقد تتلاشى وتندثر الهالة التي ربما تبهر الناس في ذلك الإنسان، حتى إنه قد لا يبقى لديه سوى بعض الإعجاب بلفتة جمال هنا، أو بلمحة ذكاء هناك!!

ولكن الأمر بالنسبة لأبي طالب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان مختلفاً تماماً، فقد كان اطلاع أبي طالب على جميع أحوال النبي «صلى الله عليه وآله»، وأدق خصوصياته يزيد من درجات تقديسه له، ويضاعف مراتب إعجابه به، وانبهاره بأنوار حقيقته، وتجليات فضائله، وميزاته، إلى الحد الذي يجعل ذلك الشيخ الكبير يرى هذا الفتى اليافع وسيلته إلى الله وشفيعه، الذي يبلغه حاجاته، ورائده وقائده، ومثله الأعلى، حتى إنه ليستسقي به مرة بعد أخرى، وينشئ به قصيدته اللامية التي بهرت بأنوارها الساطعة، وبلألائها اللامع كل من سمعها، أو قرأها. بل هي قد أخذت بمجامع القلوب، وهيمنت على المشاعر، وأنست بباهر أنوارها حتى القلوب التي غرقت في ظلمات النصب والانحراف عن بني هاشم، وكل من له بهم أدنى صلة أو رابطة، حتى إن ابن كثير يصف هذه القصيدة العصماء، بقوله:

«قلت: هذه قصيدة عظيمة، بليغة جداً، لا يستطيع يقولها إلا من نسبت إليه. وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها

جميعها إلخ..»[1].

وبعد، فإن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لله در أبي طالب: إنما يريد به أن در أبي طالب وعطاءه هذا، كان خالصاً لله تعالى.

وهو كلام فيه المزيد من الثناء، والتأكيد على صحة ما رتبه عليه من نتيجة، وهي أن أبا طالب لو كان حياً لقرت عيناه برؤية استجابة الله دعاء نبيه، وظهور المعجزة على يديه.

وهذا يدل على حرص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أن تقر عين أبي طالب حتى وهو في قبره، بظهور الإيمان والإسلام على أهل الشرك والإلحاد والطغيان.

وما دام أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحب لهذه القصيدة أن تذكر في محافل أهل الإيمان، فإنني أحب أن أثبتها هنا: ليرغم بها أنف الشانئ والناصب، ولتقر بها عين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعين أبي طالب، وعين ابنه أسد الله الغالب. وعين من هو لشفاعته طالب، والقصيدة هي التالية:

خليلي ما أذني لأول عاذل ... بصغواء في حق ولا عند باطل

خليلي إن الرأي ليس بشركة ... ولا نهنهٍ عند الأمور التلاتل

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

وقد حالفوا قوماً علينا أظِنَّةً ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

(١) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤١٣ هـ) ج٣ ص٧٤.

صبرت لـم نفسي بسمـراء سمحــةٍ   وأبيضٍ عضب من تـراث المَقَـاوِل
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي   وأمسكت من أثـوابـه بالـوصـائل
قيـامـاً مـعـاً مسـتـقبـلين رتـاجـه   لدى حيث يقضِي نسكه كل نـافـل
وحيث ينيخ الأشعرون[1] ركـابهـم   بمفضى السيول من أساف ونـائـل
مـوسَّمـةِ الأعـضـاد أو قـصـراتِهـا   محبَّسـة بـين الـسَّـديـس وبــازل
تـرى الـودْع فـيـهـا والرُّخام وزينةً   بـأعنـاقهـا معقودة كـالعثـاكـل[2]
أعـوذ برب الناس من كـل طـاعن   عـلـيـنـا بـسـوء أو ملـح بباطـل
ومن كـاشـح يسـعـى لنا بمعـيـبة   ومن ملحق في الـديـن ما لم نحاول
وثور ومـن أرسـى ثـبـيراً مـكـانـه   وراقٍ لـيـرقـى في حـراء ونـــازل
وبالبيت ركن البيت من بطن مكـة   وبـالله إن الله لـيـس بـغـــافــــل
وبالحجر المسـود إذ يمسـحـونـــه   إذا اكتنفوه بالـضحى والأصـائـل
وموطئ إبراهيم في الصخرة وطـأة   على قـدمـيـه حـافـيـاً غـير نـاعل
وأشواط بيـن المـروتـين إلى الصفـا   ومـا فـيـهـما من صـورة وتمـاثــل
ومن حج بيت الله من كـل راكـب   ومـن كـل ذي نـذر من كل راجل
وبـالمـعـشر الأقصى إذا عمدوا لــه   ألال إلى مـفـضـى الشراج القوابل
وتـوقـافـهـم فـوق الجبال عشيـــة   يقيمون بالأيدي صـدور الرواحل

(١) وهم: الحجاج الذين وفروا شعورهم ليحلقوها في حجهم.

(٢) العثكول: عرق النخل.

وليلة جَمع والمنازل في منى ... وما فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه ... سراعاً كما يفزعن[١] من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يأمون قذفاً رأسها بالجنادل
وكندة إذ ترمي الجمار عشية ... تجيز بها حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له ... وردا عليه عاطفات الذلائل
وحطمِهم سمر الرماح مع الظبى ... وإنقاذهم ما ينتقي كل نابل
ومشيهم حول البَسال وسرحه ... وسلميّه وخد النعام الجوافل[٢]
فهل فوق هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقي الله عادل
يطاع بنا أمر العدا ودَّ أننا ... يسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلّا أمرَكم في بلابل
كذبتم وبيت الله نُبْزى[٣] محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
أبيت بحمد الله ترك محمد ... بمكة أسلمه لشر القبائل
وقال لي الأعداء قاتل عصابة ... أطاعوه، وابغه جميع الغوائل
نقيم على نصر النبي محمد ... نقاتل عنه بالظبي والعواسل[٤]

---

(١) يخرصن: خ ـ ل.

(٢) البسال: اسم موضع، والسرح: شجر لا شوك فيه، والسَّلمى: نبات.

(٣) أي: نغلب عليه.

(٤) القنابل: طوائف الخيل والناس، وفي مجمع البيان ج٤ ص٢٨٨ هكذا:

أقيم على نصر النبي محمد ... أقاتل عنه بالقنا والقنابل

ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب رَدْعَه[١] ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً[٢] ... علينا وتأتي حجةٌ بعد قابل
وما ترك قوم ـ لا أبا لك ـ سيداً ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال[٣] اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره[٤] ... إلى بغضنا إذ جزآنا لآكل
جزت رحم عنا أسيداً وخالداً ... جزاء مسيء لا يؤخر عاجل
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ ... ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم[٥] ... ولم يرقبا فينا مقالة قائل

---

(١) الردع: العنق، ويركب ردعه: أي يسقط على رأسه.

(٢) المجرَّم: التام الكامل، والحجة: السنة.

(٣) الثمال: الملجأ.

(٤) ورهطه: خ ـ ل، والمراد بالبكر: المولود الأول، وأسيد: هو ابن أبي العاص بن أمية.

(٥) أطاعا بنا الغاوين في كل وجهة خ ـ ل.

كما قد لقينا من سبيع ونوفل ... وكلٌ تولى معرضاً لم يجامل
فإن يُلفَيا أو يُمْكِنِ الله منهما ... نَكِلْ لهما صاعاً بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا ... ليظعننا في أهل شاء وجامل(١)
يناحي بنا في كل ممسى ومصبح ... فناج أبا عمرو بنا، ثم خاتِل
ويؤلي لنا بالله ما إن يغشنا ... بلى قد تراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كلَّ تلعة ... من الأرض بين أَخْشَبٍ فمجادل(٢)
وسائل، أبا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكنت امرءاً ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل
فلست أباليه على ذات نفسه ... فعش يا بن عمي ناعماً غير ماحل
وعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذي دغاول
وقد خفت إن لم تزدجرهم وترعووا ... تلاقي ونلقى منك إحدى البلابل
ومر أبو سفيان عني معرضاً ... كما مر قيل من عظام المقاول
يفر إلى نجد وبَرْدِ مياهه ... ويزعم أني لست عنهم بغافل
وأعلم أن لا غافل عن مساءة ... كذاك العدو عند حق وباطل
فميلوا علينا كلكم إن ميلكم ... سواء علينا والرياح بهاطل
يخبِّرنا فعل المناصح أنه ... شفيق ويخفي عارمات الدواخل

---

(١) أي: أنه يرحلهم في أهل الشياه والجمال.

(٢) المجادل: القصور.

أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة ... ولا عند تلك المعظمات الجلائل

ولا يوم خصم إذ أتوك ألدةً ... أولى جدل مثل الخصوم المساجل

أمطعم إن القوم ساموك خطة ... وإني متى أوكل فلست بوائل[1]

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلاً ... عقوبة شر عاجلاً غير آجل

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني خلف قيضاً بنا والغياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل

وكان لنا حوض السقاية فيهم ... ونحن الذرى منهم وفوق الكواهل

فما أدركوا زحلاً ولا سفكوا دماً ... وما خالفوا إلا شرار القبائل

بني أمة مجنونة هندكية ... بني جمح عبيد قيس بن عاقل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا ... علينا العدى من كل طِمْلٍ وخامل

وحث بنو سهم علينا عديَّهم ... عدي بن كعب فاحتبوا في المحافل

يعضُّون من غيظ علينا أكفهم ... بلا ترةٍ بعد الحمى والتواصل

وشأيظ كانت في لؤي بن غالب ... نفاهم إلينا كل صقر حلاحل

ورهط نفيل شر من وطأ الحصى ... وألأم حاف من معد وناعل

فعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل

فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت أحاديث وائل

---

(١) الوائل: الملتجي.

لعمري لقد وهّنتم وعجزتم — وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
وكنتم حديثاً حِطْبَ قدر فأنتم — ألان حِطابُ أقدر ومراجل
ليهن بني عبد المناف عقوقها — وخذلانها وتركها في المعاقل
فإن يك قوم سرهم ما صنعتم — ستحتلبوها لقحة غير باهل
فأبلغ قصياً أن سينشر أمرنا — وبشِّر قصياً بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلاً قصياً عظيمة — إذن ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضرباً خلال بيوتهم — لكنا أُسى عند النساء المطافل
فإن تك كعب من لؤي تجمعت — فلا بد يوماً مرة من تزايل
وإن تك كعب من كعوب كبيرة — فلابد يوماً أنها في مجاهل
وكنا بخير قبل تسويد معشر — هم ذبحونا بالمدى والمقاول
فكل صديق وابن أخت نعده — لعمري وجدنا غبَّه غير طائل[1]
سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة — براء إلينا من معقَّة خاذل
بني أسد لا تُطْرِقَنَّ على القذى — إذا لم يقل بالحق مقول قائل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب — زهير حساماً مفرداً من حمائل
أَشَمُّ من الشُّمِ البهاليل ينتمي — إلى حَسَبٍ في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد — وإخوته دأب المحب المواصل

---

(١) لعمري وجدنا عيشه غير زائل. خ ـ ل.

فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً على رغم العدو المخابل [1]

فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل

وأيده رب العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقه غير زائل

فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل

لكنا تبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازل

وداستكم منا رجال أعزة ... إذا جردوا أيمانهم بالمناصل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

رجال كرام غير مِيلٍ نماهم ... إلى العز آباء كرام المخاصل [2]

وقفنا لهم حتى تبدد جمعهم ... وحُسِّرَ عنا كل باغ وجاهل

شباب من المطَّلِّبين وهاشم ... كبيض السيوف بين أيدي الصياقل

بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم ... ضواري أسود فوق لحم خرادل

ولكننا نسلٌ كرام لسادة ... بهم يعتلي الأقوام عند التطاول

سيعلم أهل الضغن أيي وأيهم ... يفوز ويعلو في ليال قلائل

وأيهم مني ومنهم بسيفه ... يلاقي إذا ما حان وقت التنازل

ومن ذا يمل الحرب مني ومنهم ... ويحمد في الآفاق في قول قائل

---

(١) المخابل: الفاسد.

(٢) المخصل: السيف القطّاع. يقال: سيف كريم، أي: لا يُفلُّ في الحرب.

فأصبح منا أحمد في أرومة — تقصر منها سورة المتطاول
كأني به فوق الجياد يقودها — إلى معشر زاغوا إلى كل باطل
وجُدْتُ بنفسي دونه وحميته — ودافعت عنه بالذرى والكلاكل
ولا شك أن الله رافع أمره — ومعليه في الدنيا ويوم التجادل
كما قد أري في اليوم والأمس جده — ووالده رؤياهما خير آفل[1]

---

(١) راجع المصادر التالية لتجد أكثر هذه القصيدة، أو بعض أبياتها: خزانة الأدب للبغدادي ج٢ ص٥٩ ـ ٧٥ والروض الأنف ج١ ص١٧٤ ـ ١٨٠ وبحار الأنوار ج٣٥ ص١٦٥ ـ ١٦٧ والغدير ج٧ ص٣٣٨ ـ ٣٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١٧٢ ـ ١٧٦ والبداية والنهاية ج٣ ص٥٣ ـ ٥٧ وديوان شيخ الأبطح أبي طالب للمهزمي العبدي ص٢ ـ ١٢ والدرة الغراء ص١٢٠ ـ ١٣٥، وراجع: سيرة ابن إسحاق ص١٥٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٣١٩ و ٣٢٠ والملل والنحل للشهرستاني ج٢ ص٢٤٩ وإيمان أبي طالب ص١٨ ـ ٢٢ و ٣٧ وإرشاد الساري ج٢ ص٢٧ والحماسة لابن الشجري ص١٧ و ١٨ وبلوغ الإرب للآلوسي ج١ ص٣٢٦ و ٣٢٧ والحجة ص٢٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي، ومجمع البيان ج٤ ص٢٨٨ وزهرة الأدباء للنقدي والتبيان ج٣ ص١٠٨ والكافي ج١ ص٤٤٩ وغير ذلك كثير.



من الحديبية إلى فتح مكة

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الباب الأول

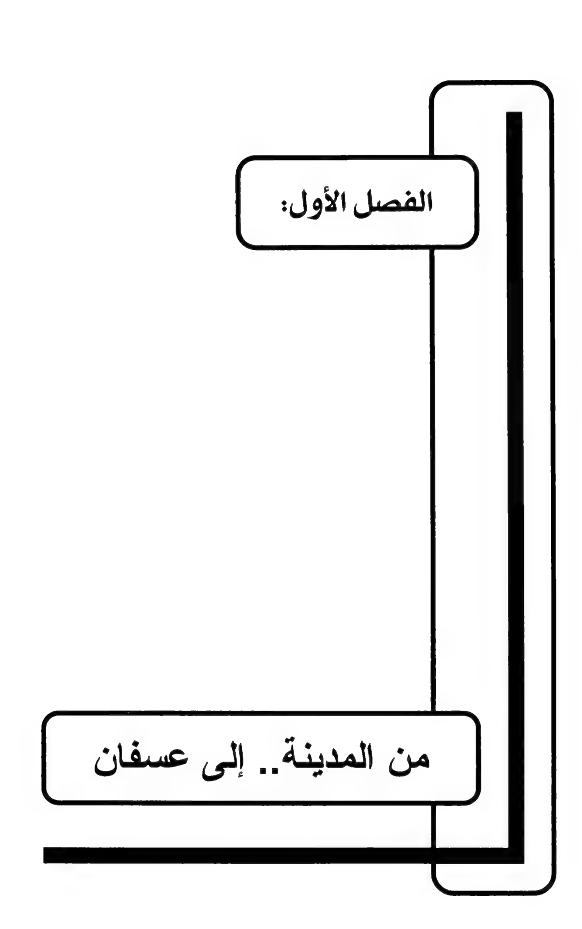
حتى بيعة الرضوان

الفصل الأول: من المدينة.. إلي عسفان
الفصل الثاني: من عسفان.. إلي الحديبية
الفصل الثالث: حابس الفيل.. وحقوق الحيوان
الفصل الرابع : تعمد صنع المعجزة
الفصل الخامس: اتصالات.. ومداولات
الفصل السادس: عثمان في مكة

[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الأول:

من المدينة.. إلى عسفان



الحديبية: اسماً وموقعاً:

الحديبية بتخفيف الياء، تصغير حدباء، وهي اسم بئر أو شجرة، سمي باسمها المكان الذي تقع فيه، قرية قريبة من مكة، أكثرها واقع في الحرم، وهناك المسجد المعروف بمسجد الشجرة، وبين الحديبية والمدينة تسع مراحل وبينها وبين مكة مرحلة واحدة، أي تسعة أميال[1].

التحرك نحو الحديبية:

ومجمل الحديث في أمر الحديبية: أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» رأى في منامه: أنه دخل مكة هو وأصحابه، آمنين، محلقين رؤوسهم، ومقصرين. وأنه دخل البيت، وأخذ مفتاحه، وأدى عمرته، وعرَّف مع المعرفين[2] (أي جعل على الناس عرفاء).

فلما أخبر «صلى الله عليه وآله» أصحابه بما رأى فرحوا، وظنوا أنهم يدخلون مكة في عامهم ذاك. ثم أخبرهم أنه يريد الخروج للعمرة، فتجهزوا

---

(١) الإستبصار ج٢ ص١٧٧ ومعجم البلدان ج٢ ص٢٢٩.

(٢) راجع: تفسير مجاهد ج٢ ص٦٠٣ ومعاني القرآن ج٦ ص٥١١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣.

للسفر، واستنفر «صلى الله عليه وآله» العرب إلى ذلك وأهل البوادي من الأعراب حول المدينة، من أَسْلَمَ: من غفار، وجهينة، ومزينة، وأسلَمْ، ثم خرج «صلى الله عليه وآله» معتمراً.

وكان خروجه من منزله بعد أن اغتسل ببيته، ولبس ثوبين، وركب راحلته القصوى من عند بابه، وأحرم هو وغالب من معه من ذي الحليفة، بعد أن صلى ركعتين في المسجد هناك. وبعض أصحابه أحرم بالجحفة. ثم ركب راحلته، من باب المسجد، وانبعثت به وهو مستقبل القبلة.

وكان خروجه «صلى الله عليه وآله» في ذي القعدة.

وقيل: خرج في شهر رمضان.

وخرجت أم سلمة، وأم عمارة، وأم منيع، وأم عامر الأشهلية، ومعه المهاجرون والأنصار، ومن لحق بهم من العرب، وأبطأ عنه كثير منهم وسلك طريق البيداء.

وساق «صلى الله عليه وآله» معه الهدي، سبعين بدنة. وبعد أن صلى الظهر في ذي الحليفة أشعر عدة منها، وهي موجهات إلى القبلة في الشق الأيمن من سنامها. ثم أمر ناجية بن جندب (وفي معالم التنزيل: ناجية بن عمير) فأشعر الباقي، وقلدهن، أي علق برقابهن كل واحدة نعلاً.

وأشعر المسلمون بدنهم، وقلدوها.

وكان الناس سبع مائة رجل.

وقيل: ألفاً وأربع مئة.

وهناك أقوال أخر سوف نشير إليها إن شاء الله تعالى.

وسار حتى بلغ عسفان[1].

وقفات مع ما تقدم:

وقبل أن نتابع الحديث عن هذا الحدث الكبير نلقي نظرة على بعض الخصوصيات والأمور التي تذكر من بداية خروج النبي «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى حين وصوله إلى عسفان.

فنقول:

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩ و ١٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢١ و ٣٢٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٧٥ وطبقات ابن سعد ج٢ ص٧٢ والمنتظم ج٣ ص٢٦٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص٨٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥١٧ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٧٠ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٦٩ وجوامع السيرة النبوية لابن حزم ص١٦٤ والإكتفاء ج٢ ص٢٣٣. وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم٢ ص٣٤وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) (ط سنة ١٤١٠ هـ) ص٣٦٤ و ٣٦٥ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢٢٤ وعيون الأثر (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج٢ ص١١٣ و ١١٤ والسيرة النبوية لدحلان (ط سنة١٤١٥ هـ) ج١ ص٤٨١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣ و ٣٤، وراجع: النص والإجتهاد ص١٦٦ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٣٥ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٩٠ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٧٤ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٦ ونصب الراية ج٤ ص٢٣٨ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٠ و ٢٠٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص٤٨ وأسد الغابة ج٢ ص٩٣ والإصابة ج١ ص٤٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٣.

الخروج إلى العمرة:

وأول ما ما يواجهنا من ذلك هو دلالات هذا التحرك الجديد، الذي يدلنا على الأمور التالية:

١ ـ إن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» محرماً، معظماً للبيت، زائراً له، من شأنه أن يطمئن أهل مكة، ومن حولها إلى أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد الحرب في تحركه هذا، وأن بإمكانهم أن يشعروا بالأمن من هذه الجهة.

ولكن ذلك لا يمنع من أن يعتبر هذا التحرك في الوقت ذاته تحدياً لزعماء الشرك، وإقداماً جريئاً، بل هو الغاية التي ما بعدها غاية في الجرأة.. على أمرٍ يستبطن كسر عنفوان الشرك، وهو يدل على شعور المسلمين بالقوة والعزة، إلى حد أنهم يقتحمون على عدوهم داره، ولا يخشونه.

٢ ـ وفيه أيضاً تأكيد على حق الناس بمقدساتهم، وبممارسة عباداتهم بحرية تامة، وفق ما يعتقدونه وحسبما ثبت لهم.

٣ ـ وفيه أيضاً إظهار لقريش على أنها باغية ومعتدية، وأنها لا تملك من المنطق والحجة ما يبرر لها ذلك، بل حجتها في هذا البغي هو ما تتوسل به من قوة وقهر، وما تمارسه من ظلم وعدوان..

٤ ـ والأهم من ذلك هو كسر هيبة الشرك والمشركين، وقريش بالذات في المنطقة كلها، وإفساح المجال للناس للاعتقاد بأن بإمكانهم التفكير بعيداً عن الضغوط التي يمارسها عليهم الآخرون، وأن بإمكانهم أن يختلفوا مع قريش وأن يخالفوها إذا وجدوا الحق في خلافها.

٥ ـ إن الناس حين يشعرون بقوة هذا الدين، فإنهم إن لم يتجرأوا على الدخول فيه، سوف تكون لهم الجرأة على الدخول في تحالفات معه، خصوصاً

القبائل القريبة من المدينة، وسيتريثون كثيراً في اتخاذ قرار التحالف مع أعدائه، والدخول إلى جانبهم، في حروبهم ضده.

فائدة المنامات:

وقد ذكرت النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى في المنام: أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين، محلقين رؤوسهم، مقصرين، وأنه دخل البيت، وأخذ مفتاحه، الخ..

وقد تحققت رؤيا الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» ولكن في عام آخر وقد أشار القرآن إلى ذلك حين قال: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً**﴾.

كما أن في القرآن حديثاً عن الرؤيا وعن تأويلها، في أكثر من موضع. وذلك مثل: ما حكاه سبحانه عن رؤيا إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام: أنه يذبح ولده إسماعيل وتأويلها. ورؤيا يوسف أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر وتأويلها.

ومن المعلوم: أن رؤيا الأنبياء «عليهم السلام» هي طرائق الوحي الإلهي إليهم.

وتحدث القرآن الكريم أيضاً: عن رؤيا صاحبي السجن وتأويل يوسف الصديق «عليه السلام» لها.

ورؤيا عزيز مصر ﴿**سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ**﴾.. ثم تأويل يوسف لهذه الرؤيا..

فالرؤيا وتأويلها، وارتباطها بالواقع الخارجي، أمر ثابت لا مرية فيه، ولا شبهة تعتريه إذا كانت رؤيا من نبي أو وصي، وقد تصدق وقد تكون أضغاث أحلام، إذا كانت من غيره.

نعم.. إن ذلك كله مما لا مجال لدفعه، ولا للنقاش فيه.. وفي النصوص القرآنية، والنبوية، وكذلك ما روي عن الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، الكثير مما يؤيده ويدل عليه..

وقد ذكروا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان كثير الرؤيا. ولا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[1]. وما ذلك إلا لأن الرؤيا هي من

---

(١) البحار ج٥٨ ص١٨٢ وج١٨ ص١٩٥ و ٢٢٧ وج٧٠ ص١٠٣ ومكارم الأخلاق ص٢٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٤٢ والنص والإجتهاد ص٤٢٠ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢١ وأضواء على الصحيحين ص٢٤٢ ومسند أحمد ج٦ ص١٥٣ و ٢٣٢ وعن صحيح البخاري ج١ ص٣ وج٦ ص٨٧ وج٨ ص٦٧ وعن صحيح مسلم ج١ ص٩٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٦ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٢ ص١٩٧ وفتح الباري ج١٢ ص٣١٨ والديباج على مسلم ج١ ص١٨٢ ومسند أبي داود الطيالسي ص٢٠٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٢١ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٣١٤ وراجع كتاب الأوائل لابن أبي حاتم ص٨٨ والذرية الطاهرة النبوية ص٣٤ وأسباب نزول الآيات ص٥ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢٠ ص١١٨ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢٥ وج٤ ص٥٦٤ والدر المنثور ج٦ ص٣٦٨ والثقات ج١ ص٤٩ وأسد الغابة ج١ ص١٨ وج٥ ص٤٣٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص١١١٧ وسير أعلام النبلاء ج١٧ ص٦٣٠ والبداية والنهاية ج٣ ص٥ و ٧ و ٩ و ١٤٢ وج٤ ص٢٥٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص٤٧٦ وج٢ ق٢ ص٦ والعدد =

طرائق الوحي للأنبياء «عليهم السلام»، حسبما تقدم.

والرؤيا هي من وسائل هداية البشر، وتذكيرهم بالله، وهي رحمة إلهية لهم، ولأجل ذلك تجد أنه حتى الذي لا يبالي كثيراً بأمور دينه يحدثك عن أنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله»، أو رأى أحد الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»، أو رأى الجنة، أو النار، أو غير ذلك مما من شأنه أن يذكِّره بالله، وبالآخرة.

كما أن الكثير من هؤلاء يتأثرون بما يرونه فيتوب بعضهم إلى الله تعالى، ويؤوب إليه سبحانه، ويعيد النظر في حساباته.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يدل على ذلك أيضاً، فقد روي عن الإمام أبي جعفر «عليه السلام»: أن الرؤيا الصالحة من البشارات المقصودة في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**..﴾[1].

وعن فائدة الرؤيا ودورها في هداية الناس، وفي تذكيرهم نقول:

روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: «إذا كان العبد على معصية الله عز وجل، وأراد الله به خيراً، أراه في منامه رؤيا تروعه، فينزجر بها عن تلك المعصية، وإن الرؤية جزؤ من سبعين جزءاً من النبوة»[2].

= القوية ص٣٤١ وعن عيون الأثر ج١ ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٣٨٥ و ٣٨٧ و ٤٠٤ وج٢ ص١٠٦ وج٣ ص٤٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص١٥ و ١٦ وج٢ ص٢٢٨ و ٢٣٢.

(١) البحار ج٥٨ ص١٥٢ وراجع: مجمع البيان ج٥ ص١٢٠.

(٢) الإختصاص ص٢٤١ وهناك نصوص مختلفة ومتنوعة دلت على ذلك فراجع: البحار ج٥٨ ص١٦٧ إلى آخر ذلك الفصل.

لماذا الصدق والكذب في الرؤيا؟!:

ويدل على خصوصية التدبير الإلهي فيما يتعلق بارتباط الرؤيا بالواقع، وصدقها تارة، وعدم صدقها أخرى ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال للمفضل:

«فكر يا مفضل في الأحلام، كيف دبر الأمر فيها!! فمزج صادقها بكاذبها؛ فإنها لو كانت كلها تصدق، لكان الناس كلهم أنبياء..

ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له.

فصارت تصدق أحياناً، فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها، أو مضرة يتحذر منها. وتكذب كثيراً، لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد»[1].

إذا تم الإيمان رفعت الرؤيا:

وجاء في الحديث الذي ذكر قصة الحسن بن عبد الله، وأنه اهتدى على يد أبي الحسن موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، قوله: «وكان قبل ذلك يرى الرؤيا الحسنة، وترى له، ثم انقطعت عنه الرؤيا. فرأى ليلة أبا عبد الله «عليه السلام» فيما يرى النائم؛ فشكى إليه انقطاع الرؤيا، فقال: لا تغتم، فإن المؤمن إذا رسخ في الإيمان رفع عنه الرؤيا»[2].

وهذا يشير إلى أن الهداية إذا تمت لم يعد للرؤيا حاجة.

---

(١) البحار ج٥٨ ص١٨٣ وج٣ ص٨٥ وتوحيد المفضل ص٤٣ وراجع: مستدرك سفينة البحار ج٢ ص٨٤ وج٤ ص١٩.

(٢) البحار ج٥٨ ص١٨٩ وج٤٨ ص٥٣ وبصائر الدرجات ص٢٧٥.

وهذا في غير ما يراه الأنبياء «عليهم السلام»، حيث إن رؤياهم صلوات الله وسلامه عليه من طرائق الوحي إليهم، حسبما أشرنا إليه.

سبب وضع الرؤيا:

عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن «عليه السلام»، قال: إن الأحلام لم تكن فيما مضى من أول الخلق، وإنما حدثت.

فقلت: وما العلة في ذلك؟!

فقال: إن الله عز ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه، فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته.

فقالوا: إن فعلنا كذا، فما لنا؟! فوالله، ما أنت بأكثرنا مالاً، ولا بأعز عشيرة.

فقال: إن أطعتموني أدخلكم الله الجنة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النار.

فقالوا: وما الجنة؟ وما النار؟!

فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟!

فقال: إذا متم.

فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً..

فازدادوا له تكذيباً، وبه استخفافاً.

فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام، فأتوه فأخبروه بما رأوا، وما أنكروا من ذلك.

فقال: إن الله عز وجل ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا. هكذا تكون

أرواحكم إذا متم، وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتى تبعث الأبدان[1].

وآخر كلمة نقولها هنا هي: أن الكثيرين ممن قد يظن ظان بأنهم قد عاشوا في بيئة الانحراف، ولم يصل إلى مسامعهم النداء الإلهي، ولم يكن هناك من يذكِّرهم بالله تعالى، ويخوِّفهم من عقابه، ويرشدهم إلى جزيل ثوابه، ويعرِّفهم على فواضل نعمائه، وبديع صنعه، وباهر آياته وآلائه.. ويلفت نظرهم إلى ألطافه ورحماته، ونعمه، وبركاته..

إن هؤلاء لا يمكن الجزم بأن الله تعالى لم يُرِهِم في منامهم، أو في يقظتهم، ما يرشدهم إليه، ويدلهم عليه.. فإن لله الحجة البالغة، والبراهين الساطعة، والآيات البينات، والدلالات الباهرات..

رؤيا رسول الله ﷺ هي المحور:

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على: أن من المعجزات الكبرى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» هي رؤياه في مناسبة الحديبية، التي كانت هي الإطلاقة القوية، وهي العامل الأعمق تأثيراً في صناعة هذا الحدث الفريد، الذي غيَّر وجه التاريخ..

لقد بدأ النبي «صلى الله عليه وآله» كل إنجازه العظيم، وكل عملية التغيير بهذه الرؤيا، التي أثرت على روحيات أصحابه ومعنوياتهم، ونقلتهم إلى أجواء

---

(١) البحار ج٥٨ ص١٨٩ و ١٩٠ وج٦ ص٢٤٣ وج١٤ ص٤٨٥ والكافي ج٨ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج١١ ص٤٧٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٤١٠ وقصص الأنبياء للجزائري ص٥١٥.

جديدة فيها الكثير من الصور الرائعة، التي باتت تراود خواطرهم، ويحتاج الربط فيما بينها إلى نظام علاقات تتبلور فيه خصائصها، وتنسجم فيه ميزاتها، وتتعانق ملامحها، وتتجاذب أطياف السعادة آفاقها الرحبة..

وهذه الرؤيا بالذات، وطريقة تداولها، هي التي أربكت حركة النفاق وفضحت المنافقين..

ووضعت إيمان أهل الإيمان على المحك، فنجح من نجح عن جدارة واستحقاق.

وأخفق من أخفق عن تقصير، وعن قلة تدبير، وخطل رأي، وخمول ضمير..

هذا بالإضافة إلى أن هذه الرؤيا قد جرَّت أهل الشرك والكفر إلى مزالق خطيرة، لم يحسبوا لها حساباً، ووضعتهم في مواقع الحيرة والتيه، حتى أظهر الله الحق، وأهل الحق. وفتح الله لنبيه فتحاً مبيناً، فتح به القلوب، وأزال كل رين وريب منها وعنها، وكشف عن الأبصار وعن البصائر كل الغشاوات، وبطلت الترهات، وفُضِحت الأضاليل، والأباطيل، وأسفر الصبح لذي عينين.

فكانت هذه الرؤيا ـ المعجزة ـ هي الحجة البالغة، والبرهان القاطع، والبلسم الشافي، ولله الحمد..

إستنفار العرب.. ومراسم السفر:

وعن الحركة العملية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

١ ـ إنهم يقولون: قد اغتسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل

الشروع في السفر، ولبس ثوبين، وركب راحلته من عند باب بيته..

ولعل هذه التصرفات التي لم تعهد منه في سائر أسفاره، هي للتأكيد على أن هذا السفر يختلف عن غيره مما سبقه، فهو سفر له حرمته، وله مراسمه الخاصة به، التي تتوافق مع حالة التعظيم والتقديس لبيت الله عز وجل، من حيث إنه يمهد لإطلالة على واحة من العبادات الروحية بما يناسبها من حركات، وتصرفات..

وقد ظهر من رؤياه التي أخبر بها أصحابه، ومن إعلانه لوجهة سيره، أن الهدف هو أداء مراسم العمرة، ما يؤكد هذه الحقيقة، ويزيل أي احتمال في أن تكون هناك أهداف قتالية، وعمليات حربية..

بل إن قوله في رؤياه: إنه يعرِّف مع المعرِّفين، أي أنه يحضر عرفة، دليل قاطع على أن المراد ليس هو العمرة، وإنما هو أداء مراسم الحج التي تتضمن الوقوف بعرفات. وليس في العمرة ذلك.

فإخباره لهم: أنه يريد العمرة دليل على أن هذا السفر ليس هو التعبير لتلك الرؤيا التي أخبرهم بها. فما معنى امتناعهم عن الإحلال حينما أمرهم بذلك؟! وما معنى استدلالهم عليه بتلك الرؤيا التي تضمنت إسقاط دعواهم هذه بصورة دقيقة وصريحة؟!

وقد أكد هذه الأجواء أنه «صلى الله عليه وآله» قد أحرم من ذي الحليفة، وصلى بالمسجد الذي بها ركعتين، وركب من باب المسجد هناك، وانبعثت به راحلته، وهو مستقبل القبلة، وأشعر البدن هناك وهي موجهات إلى القبلة، وقلدها، وكذلك فعل المسلمون معه.

فهذه الأجواء كلها تشير إلى أنه لا يريد حرب أحد، فإن المحرم لا يحارِب.

٢ ـ وكل ذلك يجعل مشركي مكة أمام خيار صعب، ومحرج، فإن البيت للناس كلهم، وهؤلاء القوم قد جاؤوا لزيارة بيت ربهم، فكيف يمكن دفعهم عنه، فضلاً عن مواجهتهم بالحرب؟! بل كيف يمكن منعهم من تأدية مناسكهم، ولو من دون قتال؟!

إن ذلك سيفضح قريشاً بين العرب، وسوف يقلل من مستوى الثقة بها، وسيظهر المسلمين أنهم مظلومون وممنوعون من أبسط حقوقهم..

خصوصاً، وأن هذا الإجراء قد جاء في الأشهر الحرم التي يمنع القتال فيها، من كل أحد. وقد كانت قريش بالذات بحاجة إلى هذه الأشهر، من أجل مراجعة علاقاتها مع المحيط الذي تعيش فيه، ثم من أجل تجاراتها في موسم الحج، والتأكيد على ارتباطاتها، وعلاقاتها وتحالفاتها مع القبائل الوافدة.. ليكون لها بذلك بعض القوة في حربها مع محمد «صلى الله عليه وآله» الذي لم يزل يسجل عليها النصر تلو النصر، ولم تزل تخسر مواقعها لصالحه، وينحسر نفوذها عنها ليحتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مواقع هذا النفوذ، ولكن دون أن تتمكن من انتزاع تلك المواقع منه، لأنه يحتلها بالدين، وبالإيمان، ويكون التزام الناس معه من موقع التقديس له، والطاعة لله تعالى، لا لأجل المصالح الفردية، والفئوية، أو القبلية، ولا لغير ذلك من غايات دنيوية..

٣ ـ والأمرُّ والأدهى بالنسبة لقريش: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جاءها بجموع كثيرة من العباد، ومن مختلف القبائل، ومن كثير من البلاد، ليكونوا شهوداً على ما تمارسه من ظلم واضطهاد ليس ضد النبي «صلى الله عليه وآله» وحسب، وإنما ضدهم جميع الذين أتوا معه، لا لذنب أتوه إليها،

بل لمجرد أنهم يقولون: ربنا الله..

عامل النبي ﷺ على المدينة:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

وقيل: أبا رهم، كلثوم بن الحصين.

وقيل: نميلة بن عبد الله الليثي..

وقيل: استعمل ابن أم مكتوم وأبا رهم جميعاً، فكان ابن أم مكتوم على الصلاة، وكان أبو رهم حافظاً للمدينة[1].

ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استعمل ابن أم مكتوم على المدينة عدة مرات.. مع أن هذا الرجل كان ضريراً، فاختيار هذا الرجل الضرير بالذات يشير إلى أن كونه أعمى لا يسلب منه الأهلية للتصدي للأمور حتى الحساسة منها، إذا كان فقد بصره، أو ابتلاؤه بأية عاهة أخرى، لا يمنع من قيامه بما يوكل إليه من مهام. فما معنى تعطيل طاقاته، وهدر قدراته لأجلها؟!

وربما يزيد هذا الأمر وضوحاً إذا كان قد تصدى ابن أم مكتوم للصلاة وغيرها من شؤون الناس.. وأوكل أمر الحراسة والحفظ إلى أبي رهم، فإنه لا يشترط سلامة النظر في إمامة الجماعة، ولا في تقريب وجهات النظر لحل

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٩ والسيرة النبوية لدحلان (ط سنة ١٤١٥ هـ) ج١ ص١٨١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج٣ ص١٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣.

خلافات الناس..

أسلم وغفار، وسائر العرب:

والذي نلاحظه هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استنفر العرب، والأعراب حول المدينة بما فيهم أسلم وغفار، وجهينة، ومزينة..

وقد حدثنا عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ..**﴾[1].

أن المراد بهذه الآية: جهينة، وأشجع، وأسلم، وغفار[2] وزاد بعض المفسرين مزينة[3].

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٧١ عن ابن المنذر وتفسير النسفي ج٢ ص١٤٢ والسراج المنير للشربيني ج١ ص٦٤٦ والبحار ج٢٢ ص٤١ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص١١٤ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص٩١ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٠٨ وفتح القدير ج٢ ص٤٠١، وورد ذلك أيضاً في: أسباب النزول للواقدي ص١٧٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٨ ص٢٤٠، وقال المعتزلي في شرح النهج: وليست هذه الآية عامة في كل الأعراب بل خاصة ببعضهم وهم جهينة وأسلم، وأشجع، وغفار، فراجع: ج١٣ ص١٨١.

(٣) جوامع الجامع ج١ ص٦٢٧ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٤٠ وتفسير أبي السعود ج٤ ص٩٧ وروح البيان ج٣ ص٤٩٣ ومجمع البيان ج٥ ص٦٦ وراجع: فتح القدير ج٢ ص٣٩٨ و ٤٠١ عن عكرمة، بإضافة مزينة، والبحار ج٢٢ ص٤١ وتفسير مجمع البيان ج٥ ص١١٤ وأسباب نزول الآيات ص١٧٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٧١ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٢٠٨.

وهذا هو ما قاله المفسرون أيضاً، وزاد الثعالبي على هؤلاء: مزينة، وعصية، ولحيان[1].

فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا هذه القبائل وغيرها للمشاركة معه في سفره ذاك، فإن ذلك يستبطن رفع مستوى الأمن لسكان المدينة في مدة غيابه «صلى الله عليه وآله»، لأنه إذا كان لكل تلك القبائل جماعات تحت سمع وبصر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن الذين يبقون في ديارهم منهم سوف لن يجرؤوا على مهاجمة المدينة، وهم يعلمون أن طائفة من قبيلتهم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وتحرك المنافقين في غيابه «صلى الله عليه وآله» ليس بالأمر المستبعد ففي غزوة تبوك اضطر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن يبقي علياً «عليه السلام» مكانه في المدينة خوفاً من أن يتحرك المنافقون في غيبته حركة خطيرة على مستوى الأمن العام للمدينة وأهلها..

هذا كله.. لو فرضنا: أن الذين رافقوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرته تلك هم خصوص الخلَّص من مؤمني تلك القبائل، أو خليطاً منهم ومن المنافقين، أما إذا كان المنافقون هم الذين رافقوه «صلى الله عليه وآله» لأسباب، ومطامع معينة، فإن احتمالات مهاجمة الباقين الذين هم في الأكثر مؤمنون ستصبح ضئيلة، وبلا مبرر.

والنتيجة ـ على كلا الحالين ـ هي: أن هذا التدبير النبوي كان على درجة كبيرة من الأهمية، والواقعية.

---

(١) تفسير الثعالبي ج٢ ص١٥٠.

وسيكون من يتولى المدينة في غياب رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير مطالب بكثير من الجهد في الحراسة والحفظ..

لماذا تثاقل الأعراب عنه؟!

ذكرت النصوص: أن جماعات من الأعراب الذين كانوا حول المدينة، وكذلك غيرهم قد تثاقلوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خشيةً من قريش أن يحاربوه، أو أن يصدوه عن البيت، كما صنعوا، وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصحابه، فنقاتلهم؟!

واعتلُّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم، وأنه ليس لهم من يقوم بذلك. فأنزل الله تعالى تكذيبهم في اعتذارهم هذا، فقال: ﴿**يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**..﴾[1].

وذكرت النصوص أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» سلك طريق البيداء، ومر فيما بين مكة والمدينة بالأعراب من بني بكر، ومزينة، وجهينة، فاستنفرهم فتشاغلوا بأموالهم، وقالوا فيما بينهم: يريد محمد يغزو بنا إلى قوم معدين في الكراع والسلاح، وإنما محمد، وأصحابه أكلة جزور، لن يرجع محمد وأصحابه من سفرهم هذا أبداً، قوم لا سلاح معهم ولا عدد[2].

ونقول:

١ ـ ظاهر كلامهم هذا: أنهم أناس يحبون أنفسهم، ويهتمون بمصالحهم، وأن إيمانهم ليس خالصاً، ولا صحيحاً، لأنهم قد اتخذوا

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٠٢.

قرارهم بعدم المسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين وجدوا أن أعداءه أقوياء إلى حد أنهم غزوه في عقر داره، وقتلوا أصحابه..

٢ ـ إنهم قد صرحوا: بأن دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم للعمرة هي في واقعها دعوة لهم للمشاركة في الحرب.

٣ ـ إنهم يريدون الإبقاء على خط الرجعة إلى التفاهم مع قريش، إن كانت هي المنتصرة في نهاية الأمر، مع كونهم آمنين جانب المسلمين لإظهارهم: أنهم على دينهم.

ولكن الله قد فضحهم بما أنزل من آيات تحكي قصتهم، وتشير إلى مكرهم هذا، وتدل عليه، لكي لا يظنوا أنهم قد خدعوا الله ورسوله، ولكنه سبحانه لم يوصل الأمور إلى نقطة اللاعودة، بل هو يبقي الباب مفتوحاً، والمجال مفسوحاً أمامهم لإعادة النظر في حساباتهم، مقدماً لهم: بإخباراته الغيبية عما أسروه من تزوير وتدبير ماكر، الدليل المقنع لهم: بأن هذا النبي «صلى الله عليه وآله»، متصل بالله العالم بالسرائر، والواقف على ما في القلوب والضمائر، ليسهل عليهم أمر التوبة والعودة إليه.

عدد المسلمين:

قالوا: «وكان الناس سبع مائة رجل.

وقيل: كانوا أربع عشرة مائة.

وقيل: خمس عشرة.

وقيل: ست عشرة.

وقيل: كانوا ألفاً وثلاث مائة.

وقيل: وأربع مائة.

وقيل: وخمس مائة وخمسة وعشرين.

وقيل: ألف وسبع مائة.

وقيل: ألف وثمان مائة»[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٢ والمواهب اللدنية (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وجوامع السيرة النبوية لابن حزم ص١٦٤ والمنتظم ج٣ ص١٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) (ط سنة ١٤١٠ هـ) ص٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢٢٤ وعيون الأثر (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج٢ ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢١ و ٣١٣ والسيرة النبوية لدحلان (ط سنة ١٤١٥ هـ) ج١ ص٤٨١ و ٤٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٧١ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٦٩ ـ ١٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٧٠ و ٧١ ومسألتان في النص على علي ج٢ ص٢٤ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٣ و ٤٨ و ٢٩٠ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص٢٩٠ و ٢٩١ وج١ ص٦٦ وشرح معاني الآثار ج٤ ص١٧٤ ونصب الراية ج٤ ص٢٣٨ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص١٩٧ و ٢٠٠ و ٢٠٩ والدر المنثور ج٦ ص٢٤٤ و ٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٨ و ١٩٤ و ١٩٥ وعن صحيح البخاري ج٤ ص١٧٠ وج٥ ص٦٢ و ٦٣ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٩٠ وج٦ ص٢٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٣٥ وج٦ ص٣٢٦ وج٩ ص٢٢٣ وعن فتح الباري ج٦ ص٤٦٧ وج٧ ص٣٣٩ وج١٠ ص٨٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٢٧ وج١٤ ص٤٧٩ ودلائل النبوة ص١٢٠ والطبقات الكبرى ج١ ص١٧٩ وج٢ ص٩٩ و ١٠٠ وتاريخ خليفة بن خياط ص٤٨ =

ونقول:

قد يقال: إن الرواية القائلة: إن الذين ساروا معه كانوا سبع مائة رجل هي الراجحة، فقد روى البخاري، وغيره عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «اكتبوا لي كل من تلفظ بالإسلام، فكتب حذيفة بن اليمان له ألفاً وخمس مائة رجل».

وفي رواية: ونحن ما بين الست مائة إلى السبع مائة.

قال الدماميني: قيل: كان هذا عام الحديبية[1].

وإنما رجحنا رواية السبع مائة، لأن المفروض: أن كثيراً من العرب وكذلك غيرهم من الأعراب حول المدينة، وكذلك جماعات من أهل المدينة أنفسهم، لم يسيروا معه «صلى الله عليه وآله» في وجهه ذاك، حسبما قدمناه..

مع ملاحظة: أن كثيرين ممن أسلموا كانوا في أرض الحبشة آنئذٍ.

ومع ضرورة إبقاء جماعة قادرة على حراسة المدينة في غيابه «صلى الله عليه وآله».

= و ٤٩ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٢٨٦ و ٢٨٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٢ وتأويل مختلف الحديث ص٢١٩ ودلائل النبوة ص١٢١ ونظم درر السمطين ص٧١ وكنز العمال ج١٢ ص٣٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٤٣٦.

(١) راجع: صحيح البخاري ج٢ ص١١٦ وصحيح مسلم ج١ ص٩١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٨٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٣٧ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٥١ و ٢٥٢ وج١ ص٢٢٠ ـ ٢٢٣ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١٥ ص٦٩.

هل المدينة في خطر؟!

ويبقى أمام الباحث أمر هام، وهو أنه لابد من اكتشاف العناصر الأساسية، التي من خلالها انطلق القرار النبوي بدعوة الناس إلى العمرة، والخروج من المدينة بمعظم العناصر القادرة على الحماية، والمؤثرة في حسابات القوة والضعف، حتى خلت المدينة أمام الطامعين والطامحين، والحاقدين والموتورين من قبائل الشرك في المنطقة..

وخلت أيضاً أمام يهود خيبر، الذين يبعدون عنها حوالي ثمانين ميلاً، والذين قد يقال: إنهم كانوا قادرين على دخول الحرب مع الإسلام والمسلمين بعشرة آلاف مقاتل، إن لم يكن من اليهود وحدهم، فمنهم ومن القبائل المتحالفة معهم في المنطقة..

واليهود من أشد الناس حقداً على الإسلام، بعد أن رأوا ما حل بإخوانهم بني النضير ، وقينقاع، وقريظة..

فكيف أمكن أن يتخذ النبي «صلى الله عليه وآله» قراره بالخروج بأكثر المقاتلين إلى هذه المسافات البعيدة، وترك المدينة في هذا المحيط المعادي، الذي يتربص بها الدوائر؟!.

ولعلنا نستطيع أن نجيب على هذه التساؤلات على النحو التالي:

١ ـ أما بالنسبة لقبائل العرب المحيطة بالمدينة فإن السرايا الكثيرة التي حركها الرسول «صلى الله عليه وآله» قبل الحديبية مباشرة لضرب القوة المعادية، والمتآمرة والمتربصة بهم شراً قد حسمت الأمور مع هؤلاء الأعداء، بصورة تامة.. وقد أضعفتهم وشلت حركتهم من الناحية الاقتصادية.. وأرعبتهم، وأسقطت كبرياءهم، وجعلتهم يعيشون حالة اليأس من إمكانية

النيل من هذه القوة الضاربة، وأدركوا أن التمادي في التصدي لها لا يفيد إلا تعريض أنفسهم للمزيد من النكبات، والبلايا، والرزايا.

فالرأي الصواب هو: أن ينأوا بأنفسهم عن التعرض لها، حتى حينما تخلو ربوعها من المقاتلين، لأن مهاجمتهم للمدينة سوف يصاحبه تعرضهم لمن تبقّى فيها من النساء، والأطفال، وسبيهم، واستلاب أموالهم، ذلاً شاملاً، وعقاباً صارماً وحازماً، لا طاقة لأحد به، فقد عوَّدهم المسلمون: أنهم يلاحقون من يعتدي عليهم، وينزلون به القصاص العادل ولا يستطيع أن يفوتهم في كل زمان ومكان..

٢ ـ وأما بالنسبة لليهود فالأمر لا يختلف عن ذلك أيضاً..

وقد جرب إخوانهم من بني النضير، وقينقاع وقريظة، نقض العهود، والتحدي والتعدي على المسلمين، فنزلت بهم الضربات الماحقة والساحقة، في مرات ثلاث، كانت كل واحدة أقسى عليهم من سابقتها..

ولا يزال يهود خيبر، وتيماء وغيرهما يعيشون الهلع من أن يكون مصيرهم هو نفس مصير أولئك.. وقد نبههم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصورة قوية وحاسمة حينما جربوا القيام بخطوات عملية تؤدي إلى توجيه ضرباتهم للمسلمين، فقد أنزل المسلمون ضربتهم القاضية بزعمائهم الغادرين، الذين تصدوا لهذا الأمر.. فقتلوا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق وأسير بن رزام.. وغيرهما ممن تقدم الحديث عنهم في هذا الكتاب.

٣ ـ ومن جهة أخرى، فإن التجارب قد أظهرت لهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يترك لهم ولا لغيرهم ثغرة ينفذون منها تمكنهم من الإيقاع بالمسلمين بسهولة، بل هو يراعي أدق التفاصيل، ولا يهمل الاحتياط لأي طارئ.

وأظهرت الوقائع في بدر، وأُحد، والخندق وغيرها: كيف تحول ما كان يراه الناس يتعرض للبوار والدمار، والفناء المحتم، إلى نصر مؤزر، وفتح مبين، ومدهش.

من أجل ذلك كله: فإنهم كانوا غير مستعدين للمغامرة معه، بل لابد من حساب الأمور بدقة، ولابد لهم من رصد خططه «صلى الله عليه وآله»، حتى لا تنتهي الأمور إلى مفاجآت ماحقة لهم..

كما أن عليهم أن يعرفوا: أن القوة الضاربة والمقاتلة لم يصبها أي وهن أو ضعف، بل هي لو عرفت أنهم قد اعتدوا على من خلَّفوه من نساء وأطفال وأموال، سوف يتضاعف حماسها، واندفاعها لإنزال أقسى الضربات بهم. وقد رأى الناس من هذا الجيش العجائب في الحالات العادية، فكيف إذا تطورت الأمور على هذا النحو المثير.

وذلك كله يوضح: أن لا خوف على المدينة من أحد في غياب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لو استمرت غيبته شهراً، أو شهرين أو أكثر..فلا معنى لخوف الأعراب، ولا معنى لأن يتصوروا أن محمداً وأصحابه اكلة جزور لقريش، وأنه لن يرجع هو وأصحابه من سفره هذا إلا إذا كان ثمة من يبث الشائعات، ويخوف الناس لمصلحة قريش.

حضور المنافقين في الحديبية:

لقد اعتقد كثير من المنافقين: أنه ليس من مصلحتهم أن يكونوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» في سفره ذاك، لأن ظواهر الأمور تشير إلى: أن مشركي مكة لن يمكِّنوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دخول مكة،

وأن الحرب واقعة بينهم وبين المسلمين لا محالة.. وليس من مصلحتهم تعريض أنفسهم لأخطار جسام في مناطق بعيدة عن بلادهم؛ لأن الدائرة ستدور على المسلمين؛ من أجل ذلك صاروا يتعللون بأعذار واهية تتعلق بأشغالهم، وبأموالهم، وأهليهم..

ولكن بعضهم قد خرج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك السفر ربما اعتماداً على علاقاته بمشركي مكة، وإحساسه بالأمن من جهتهم، لو أنهم انتصروا في الحرب.. مع شعوره بضرورة الحضور؛ لأن زعامته وموقعه لا يسمح له بالتخلف، ويجعله محرجاً أمام أقرانه، وأمام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وربما لغير ذلك من أسباب..

هذا هو سلاحهم:

قالوا: «ولم يكن مع المسلمين سلاح إلا السيوف في القُرُب. والسيوف هي سلاح المسافر، وقال عمر بن الخطاب:

أتخشى يا رسول الله من أبي سفيان، وأصحابه، ولم تأخذ للحرب عدتها؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: لست أحب أن أحمل السلاح معتمراً. وكان معهم مائتا فرس»[1].

وذكر الطبري: أنه لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالهدي، وانتهى إلى ذي الحليفة (وهو موضع مسجد الشجرة، حيث يحرم أهل المدينة، يقع على بعد ستة أميال من مسجد النبي «صلى الله عليه وآله») قال

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٧٣.

عمر: يا رسول الله، تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟

قال: فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، فلم يدع فيها كراعاً ولا سلاحاً إلا حمله، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل الخ..

ثم ذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل خالداً إلى عكرمة، فحاربه فهزمه حتى أدخله حيطان مكة[1].

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير صحيح لأن خالداً لم يكن قد أسلم حينئذٍ بل كان لا يزال على الكفر، ويحارب مع أهل مكة، ويقود جيوشهم. وكان طليعة خيل المشركين ومعه مائتا فارس في الحديبية[2].

ثانياً: قد صرحت النصوص: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأخذ معه من السلاح إلا السيوف في القرب[3]، وهي سلاح المسافر.

ونقول أيضاً:

١ ـ إن من الواضح: أن ما يقوله وما يفعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» حجة ودليل، على الأحكام، وعلى السياسات، وعلى الاعتقادات، وعلى المفاهيم، وعلى كل ما يمكن استفادته منه بطرق الاستفادة والدلالة التي يرضاها العقلاء بما هم عقلاء. ولم تزل البيانات الإلهية والنبوية تتوالى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٢.

(٢) الإصابة ج١ ص٤١٧ وصحيح البخاري وجميع المصادر التي ذكرناها في الهامش الأول في هذا الفصل، وكذلك المصادر التي ستأتي في الفصول التالية. وراجع أيضاً: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦.

(٣) راجع جميع المصادر التي تحدثت عن غزوة الحديبية.

وتؤكد قولاً وعملاً على أن للبيت حرمته، ولمكة شرفها، ومكانتها.

وهذا بالذات هو ما يفسر لنا قوله «صلى الله عليه وآله» لعمر بن الخطاب، حين سأله عن ذلك: لست أحب أن أحمل السلاح معتمراً..

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» قد أبدى أي تسامح في هذا الأمر ـ ولو بإظهار السلاح في حال اعتماره ـ لوجدت الظلمة والطغاة لا يكتفون بحمل السلاح، وإخافة الناس، وإنما هم يسفكون الدم الحرام، ويستحلون البلد الحرام في الشهر الحرام!! بسبب، وبدون سبب!!

٢ ـ إن اللافت هنا: هو مطالبة عمر بن الخطاب نبي الرحمة بإشهار سلاحه، والاستعداد للحرب، في حين أننا لم نجد غيره قد طالب بمثل ذلك.. فهل خاف عمر على نفسه من بطش قريش؟!

أم أنه رأى أن عدم الاستعداد للحرب يخالف طريقة العقلاء الذين يحتاطون في مثل هذه المواقف؟! فأراد أن يعرف إن كان للنبي «صلى الله عليه وآله» تدبير آخر، يستطيع أن يدفع به غائلة قريش، ويحبط مساعيها العدوانية؟!

أو أنه اعتقد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان غافلاً حقاً عن هذا الأمر الخطير، فأراد أن يوجه نظره إليه، ليعدَّ للحرب عدتها قبل فوات الأوان، وقبل أن يحدث ما لم يكن بالحسبان؟!

أو أنه احتمل أن في الأمر سراً، وأن الأمور تسير وفق تدبير غيبي ومعجزة إلهية.. فأراد أن يطمئن إلى واقعية هذا الاحتمال..

إننا نترك تحديد ما هو الراجح من هذه الاحتمالات إلى القارئ الكريم الذي سوف يختار ما يتوافق مع ما عرفه في هذا الرجل من خصائص، ومن

طبائع، وسمات.

عين لرسول الله صلى الله عليه وآله:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث من ذي الحليفة عيناً له من خزاعة، يقال له: بسر بن سفين، يخبره عن قريش[1] وجعل عباد بن بشر في عشرين راكباً من المهاجرين والأنصار طليعة له[2].

وقد كان بسر بن سفين حديث عهد بالإسلام؛ لأنه أسلم في شوال، فاختاره عيناً لأن من رآه لا يظن به ذلك لعدم اشتهار إسلامه.

والاستفادة من العيون والأرصاد لمعرفة تحركات العدو، والتحرز من أن يأخذهم العدو على حين غفلة هو مقتضى الحزم والحكمة.

وأما جعل الطلائع، فللأمن من غائلة الكمائن، من أجل أن تُشاغل الطليعة ذلك الكمين، حتى إذا بلغ الخبر الجيش، فإنه يتأهب لمعالجة الموقف، بالقوة اللازمة، والخطة المناسبة..

نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله:

وفي بعض المحال أقبلوا نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص١٦ والمواهب اللدنية (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ص٣٦٦ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٢ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص١٦ والمنتظم ج٣ ص٢٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤.

بين يديه ركوة يتوضأ منها، فقال: ما لكم؟!

قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نشربه، ولا ماء نتوضأ منه إلا ما في ركوتك.

فوضع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده في الركوة. فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة أمثال العيون[1].

قال جابر: فشربنا، وتوضأنا، ولو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[2].

وقالوا: «وإنما لم يخرجه «صلى الله عليه وآله» بغير ملابسة ماء في إناء، تأدباً مع الله تعالى؛ لأنه المنفرد بابتداع المعدومات من غير أصل»[3].

ونقول:

إن إظهار الكرامة الإلهية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس أمراً عشوائياً، بحيث يكون بمناسبة وبلا مناسبة.. بل هو أمر هادف، يراد منه أيضاً الربط على القلوب، وصيانة الإيمان من التعرض للاهتزاز في مواجهة التحديات الكبرى، والكوارث والأزمات الحادة، التي تتمخض عن نكبات تزعزع وتزلزل، وتبعث اليأس والهزيمة في النفوس.

ثم يراد منه أيضاً: إزالة الشبهة، في حين تحجز المحاذير المختلفة عن التصريح ببعض الحيثيات والغايات لبعض المواقف، بسبب حساسية

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٩ وعيون الأثر (ط سنة ١٤٠٦ هـ) ج٢ ص١١٤.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠ وعيون الأثر ج٢ ص١١٤.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص١٠.

الظرف تارة، ولتلافي سوء استفادة الأعداء من ذلك أخرى، وربما يكون ذلك بسبب عدم توفر المستوى المطلوب من الوعي، وعدم توفر حسن تقدير الأمور، والعجز عن التدقيق في مناشئها وفي غاياتها، وإدراك ذلك وتوظيفه في حركة الواقع بصورة سليمة وقويمة..

فلا يبقى ثمة من وسيلة تحفظ للمؤمنين إيمانهم، حين تختلط عليهم الأمور سوى أن يتلمسوا بوجدانهم، ويشعروا بكل وجودهم، وأن يحسوا بكل قواهم الباطنية، ويشاهدوا بأم أعينهم حقيقة اللطف الإلهي، والكرامة الربانية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليكون هذا الارتباط بالغيب عن طريق الحواس الظاهرية هو الضمانة لحفظ التوازن في الباطن.. بعد أن عجزت عقولهم عن الإمساك بأسباب هذا التوازن، بسبب فقدها لبعض ما يفيدها في ذلك..

وقد كانت الأمور في غزوة الحديبية ـ بما تفرضه الخصوصيات والأحوال ـ تتجه نحو اتخاذ قرار يصعب فهمه على الكثيرين، ويصعب أيضاً توضيح مناشئه وغاياته.. ونتائجه. كما أن أصحاب الأهواء والأغراض الدنيئة، وخصوصاً من أهل النفاق، قد يجدونها فرصة سانحة لإشاعة شبهاتهم، ونشر أباطيلهم، بنحو يصعب رتق الفتق الذي قد يتمكنون من إحداثه، بسبب استغلالهم السيء لظرف صعب ودقيق.

وقد أظهرت الوقائع: أنه حتى الذين يزعمون أنهم في مواقع القرب من موقع القرار قد أعلنوا تشكيكاً خطيراً، حين كان الرسول «صلى الله عليه وآله» يكتب الكتاب في الحديبية حسبما سيأتي توضيحه.. فكانت هناك سياسات إلهية دقيقة تقضي بحفظ وحدة الناس، وترسيخ إيمانهم، وتقوية

يقينهم، وقد بدأت بإخبار الناس بأمر الرؤيا التي رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بدخوله مع أصحابه مكة على النحو الذي وصفه لهم.

ولكن كانت هناك أمور أيضاً لابد من إبقائها على حالة من الغموض، ليمكن الوصول إلى أفضل النتائج، وحفظ مستوى الاندفاع لدى أصحابه «صلى الله عليه وآله» ومن جاء معه، وإثارة أجواء تتسم بالقوة والتفاؤل فيما بينهم، وكذلك إثارة أجواء صعبة، وحساسة لدى مشركي قريش، تختلط فيها الحيرة بالدهشة، مع إثارة جو من الإبهام والغموض، الذي لا يسمح لقريش بالكثير من المناورة والحركة..

ومن هذه الأمور: أن لا يخبرهم في بداية الأمر بأن الذي رآه سوف لا يتحقق في مسيره ذاك، بل هو سيتحقق في وقت لاحق..

وطبيعي أن يكون لظهور هذا التأجيل في تحقق الرؤيا لأصحابه وقعاً غير عادي، قد لا يمكنهم معه حفظ ذلك المستوى من الصفاء والاندفاع، والحيوية، والسكينة والطمأنينة.. التي تمكنهم من متابعة الموقف بقوة وفاعلية. مع ملاحظة: أنه لا توجد أية مصلحة في كشف كل الحقيقة لهم، بل قد يكون ضرر ذلك عظيماً وجسيماً.

فكان لابد من تدخل الغيب الإلهي، والسعي إلى تجسيده لهم، لكي يتلمسوه ويحسوا به بوجدانهم، ومشاعرهم، وبكل كيانهم ووجودهم، ليكون هو الحافظ والحامي لهم، من تسويلات نفوسهم، ومن وسوسات الشياطين، ومن كيد المنافقين.

فكان نبع الماء من بين أصابعه الشريفة هو أحد مفردات ربطهم بذلك الغيب كما هو ظاهر.

لا أقبل هدية مشرك:

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قدم الهدي. وسار، فلقي في طريقه طائفة من بني نهد، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا. وأهدوا له لبناً من نعمهم.

فقال: لا أقبل هدية مشرك.

فابتاعه المسلمون منهم(١).

ونقول:

قد تقدمت الإشارة: إلى هذا الأمر في الفصل الذي تحدثنا فيه عن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه..

ونعود فنذكر القارئ هنا: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد عاش في كنف عبد المطلب أولاً، ثم في كنف أبي طالب، وقد كان لهما الأيادي البيضاء عليه «صلى الله عليه وآله».. فلولا أنهما كانا على رأس أهل الإيمان في زمانهما لم يجعل الله تعالى لهما نعمة عند النبي «صلى الله عليه وآله»، تستحق الجزاء منه «صلى الله عليه وآله».

والذي يثير العجب هنا: أنه رغم كون أبي بكر مسلماً، ورغم كون النبي «صلى الله عليه وآله» يقبل الهدية من المسلم، فإنه لم يقبل الناقة من أبي بكر في ليلة الهجرة إلا بالثمن، مع أنه «صلى الله عليه وآله» كان بأمس الحاجة إليها، ليتمكن من النجاة عليها من كيد قريش.

فهل كان «صلى الله عليه وآله» يخشى من أن يمنَّ عليه أبو بكر بهذا العطاء؟!..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤.

أم أنه قد أشفق على أبي بكر أن يرزأه شيئاً من ماله؟!..

أم أنه وجد في هذا المال شبهة، فأراد أن يتحرز من الارتطام بها؟!

أم أن للقضية منحى آخر، لابد من صرف النظر عن إظهاره، والتدقيق في البحث عنه؟!..

لا ندري، غير أننا نقول:

إننا لسنا بحاجة إلى أن ننتظر المزيد من الدلالات والإشارات إلى واقع الأمر لكي ندري!!

هل يجوز أكل لحم الضب؟!:

وحين التقى النبي «صلى الله عليه وآله» ببني نهد، ابتاع المسلمون ـ كما زعموا ـ منهم ثلاثة أضبة، فأكل منها قوم قبل أن يحرموا، وأما المحرمون، فسألوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنها، فقال: «كلوا، فكل صيد البر لكم حلال في الإحرام، تأكلونه، إلا ما صدتم، أو صيد لكم»[1].

ونقول:

أولاً: إن الرواية قد صرحت: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أباح لهم أن يأكلوا ما سألوه عنه، معللاً ذلك بأن أكل صيد البر حلال في الإحرام، إلا ما صادوه أو صيد لهم..

ولكن يجب أن يكون مفهوماً: أن في الرواية درجة من الإبهام، إذ ليس فيها تصريح بها أباح لهم أكله.. بل جاء الجواب في كلامه «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤.

وآله» تابعاً للسؤال، ولم يذكر في الرواية أية صيغة للسؤال المطروح.

فإن كانوا قد قالوا له: هل يجوز لنا أن نأكل الضب ونحن محرمون؟ فإن الجواب يكون هو أن أكل الضب مباح حال الإحرام..

وإن كانوا قد قالوا: هل يجوز لنا أكل الصيد حال الإحرام؟ فالجواب يكون بإباحة ذلك لهم.

والمناسب لطبيعة الحال هو السؤال الثاني؛ لأنهم إنما يشكُّون في جواز أكل الصيد حال الإحرام، سواء أكان ضباً أم غيره، فليس لخصوصية كونه ضباً أية مدخلية في شكهم هذا، بل الإحرام هو السبب في شكهم بجواز أكل ما يصطاد لهم. ولأجل ذلك جاء الجواب موافقاً لهذه الحقيقة، حيث قال: كل صيد البر لكم حلال في الإحرام، إلا ما صدتم أو صيد لكم..

ويشهد لذلك قوله: «كل صيد البر لكم حلال» فإن المقصود حلية الصيد الذي يكون جامعاً لشرائط الحلية في نفسه، إذ لا إشكال في عدم حلية أكل لحم الخنزير، حتى لو اصطاده المحلون منهم.

ثانياً: روى مسلم، عن ابن عباس، قال: أهدت خالتي أم حفيد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» سمناً، وأقطاً، وأضباً، فأكل من السمن والأقط، وترك الضب تقذراً الخ..[1].

فإذا كانت قذارة الضب إلى هذا الحد، فإن ذلك يجعله من الخبائث التي لا يجوز أكلها..

---

(١) صحيح مسلم ج٦ ص٦٩ وراجع: سنن ابن ماجة (مطبوع بحاشية السندي) ج٢ ص٢٩٦ و ٢٩٧ وراجع: صحيح البخاري (ط المكتبة الثقافية) ج٩ ص١٩٧.

خصوصاً إذا علمنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أُخْبِر بأن ما يهم بمدِّ يده إليه، هو ضب؛ رفع يده، ولم يأكل.

وقد زعموا: أنه سئل عن ذلك، فقال: لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه[1].

ولأجل ذلك قالوا: إن من يقول بحرمته يقول: كان هذا (يعني عدم التحريم) قبل نزول قوله تعالى: ﴿..وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ..﴾ والضب من جملته، لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يستقذره[2].

ثالثاً: قد رووا أيضاً عن جابر، قال: أتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بضب، فأبى أن يأكل منه، وقال: لا أدري، لعله من القرون التي مسخت[3].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رجل: يا رسول الله، إنا بأرض مَضَبَة، فما تأمرنا؟ أو فما تفتينا؟

قال «صلى الله عليه وآله»: ذكر لي: أن أمَّةً من بني إسرائيل مسخت.

فلم يأمر، ولم ينه.

قال أبو سعيد: فلما كان بعد ذلك قال عمر: إن الله عز وجل لينفع به غير واحد، وإنه لطعام عامة هذه الرعاء، ولو كان عندي لطعمته، إنما عافه رسول الله «صلى الله عليه وآله»[4].

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٦ ص٦٨ وسنن الدارمي ج٢ ص١٢٨ وعن البخاري (ط المكتبة الثقافية) ج٧ ص١٧٦ وص١٢٩، كتاب الصيد والذبائح باب ٣٣ والموطأ كتاب الإستئذان، وأحمد في مسنده، والنسائي، وأبي داود.

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجة ج٢ ص٢٩٧.

(٣) صحيح مسلم ج٦ ص٧٠ وراجع: سنن ابن ماجة (بحاشية السندي) ج٢ ص٢٩٦.

(٤) صحيح مسلم ج٦ ص٧٠ وراجع: سنن ابن ماجة (بحاشية السندي) ج٢ ص٢٩٧.

وسأل عنه أعرابي النبي «صلى الله عليه وآله» مرتين، فلم يجبه، وأجابه في الثالثة، فقال: يا أعرابي، إن الله لعن، أو غضب على سبط من بني إسرائيل، فمسخهم دواب، يدبون في الأرض، فلا أدري لعل هذا منها، فلست آكلها، ولا أنهى عنها[1].

وعن ثابت بن وديعة، قال: أتي النبي «صلى الله عليه وآله» بضب، فقال: أمة مسخت[2].

وفي توضيح ذلك نقول:

ألف: إنه يستوقفنا هنا زعمهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: لا أدري، لعله من القرون التي مسخت.. فإننا لا نشك في كونه كلاماً محرفاً؛ لأن النبي «صلى الله عليه وآله» معصوم عن النسيان، وعن القول بغير علم.. ولم يكن الله تعالى ليحجب عن نبيه علماً ينفعه، أو تحتاج الأمة إلى معرفة حكمه، فلا معنى لما يذكرونه من إحجامه «صلى الله عليه وآله» عن الأمر والنهي، استناداً إلى عدم معرفته بالحقيقة. ولا معنى لاعترافه بالجهل في أمر يحتاج الناس إلى معرفة حكمه، وتحديد الموقف منه.

ب: إننا نستطيع أن نقول: إن المسوخ، وإن كانت لا تعيش أكثر من ثلاثة أيام، بعد مسخها، ولكن المهم هو أن تلك المخلوقات التي مسخت على صورتها، يراعى في أحكامها هذه الحقيقة، ومن ذلك عدم جواز أكلها.

ج: وعن المسخ على صورة الضب نقول: روي عن النبي «صلى الله

---

(١) صحيح مسلم ج٦ ص٧٠.

(٢) سنن الدارمي ج٢ ص٢٧ وفي هامشه عن أبي داود، والنسائي، وأحمد، والبيهقي.

عليه وآله»: أن رجلاً من الأعراب كانت خيمته على ظهر الطريق، وكان إذا مرت به قافلة تسأله عن الطريق إلى مقصدها، يرشدها إلى خلاف ذلك المقصد، فإن أراد القوم المشرق ردهم إلى المغرب، وإن أرادوا المغرب ردهم إلى المشرق، وتركهم يهيمون[1].

وهذا يناسب ما يقال عن الضب من أنه لا يهتدي لجحره، ويضرب في تحيره المثل.. وقد كان الرجل الممسوخ لا يرشد الناس إلى طريقهم، ويشير عليهم بما يحيرهم، ويتركهم يهيمون.

د: وأخيراً.. فإن الرواية التي ذكرناها قد ذكرت عن عمر بن الخطاب: أنه كان يصر على تحليل أكل الضب، وإقناع الناس بذلك، وتذليل الصعوبات أمامهم فيه.

ولعل رغبته هذه هي التي دعت الآخرين إلى ترجيح فتوى التحليل، والتخفيف من حدة دلالة النصوص المانعة، والله هو العالم.

والرجوع إلى أهل البيت «عليهم السلام» في مثل هذه الأمور، وفي كل الأمور هو الصحيح، وهو المتعَيِّن، فإن أهل بيت النبوة أدرى، والاتباع لهم أصوب وأحرى.

أكلات محرمة على المحرم وعلى غيره:

ورووا: أنه أهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حمار وحشي وهو بالأبواء، أو بودَّان، فرده على صاحبه، فلما رأى ما في وجهه، قال: إنَّا لم نرده

---

(١) البحار ج٦٢ ص٢٢٧ عن الإختصاص.

عليك إلا أنَّا حرم[١].

وأهدى بعض الأعراب من ودان: معيشاً، وعتراً، وضغابيس، فجعل «صلى الله عليه وآله» يأكل الضغابيس والعتر، وأعجبه، وأدخل على أم سلمة منه الخ..[٢].

ونقول:

إن كان المراد بالضغابيس هو صغار الثعالب، فلا شك في عدم صحة هذه الرواية؛ لأن أكل الثعلب حرام.

وإن كان المراد بها الضبع، أو أية دابة أخرى يحرم أكلها فكذلك.

وأما إن كان المراد بها صغار القثاء[٣]، أو غيره من النباتات التي تؤكل، فلا إشكال..

وأما العتر، فإن كان المراد به الذبيحة، فإن الذابح إذا كان مشركاً، فلا يجوز الأكل من ذبيحته أيضاً..

علي عليه السلام ساقي العطاشى في الجحفة:

قال الشيخ المفيد: روى إبراهيم بن عمر، عن رجاله، عن فايد مولى عبد الله بن سالم، قال: لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا، حتى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥ وعن البخاري ج٤ ص٣١ رقم ١٨٢٥ و ٢٥٧٣ وعن صحيح مسلم ج٢ ص٨٥٠ والنسائي، ومالك، والترمذي.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥.

(٣) ترتيب القاموس ج٣ ص٢٨.

إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم!

فقال له النبي «عليه وآله السلام»: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال له النبي «عليه السلام»: «لم رجعت»؟.

فقال: والذي بعثك بالحق، ما استطعت أن أمضي رعباً.

فدعا رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما فأرسله بالروايا، وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه، لما رأوا من رجوع من تقدمه.

فخرج علي «عليه السلام» بالروايا حتى ورد الحرار[1] فاستقى، ثم أقبل بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ولها زجل[2].

فكبر النبي «صلى الله عليه وآله» ودعا له بخير»[3].

ونقول:

١ ـ إن هذين الرجلين اللذين أرسلهما النبي «صلى الله عليه وآله» بالروايا لم يثبتا أمام هواجس الخوف التي انتابتهما، ولم يلقيا بالاً، ولا أعارا اهتماماً لكل تلك المعجزات التي أظهرها لهم رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) الحرار: جمع حرة، وهي أرض ذات أحجار سود نخرة. الصحاح ج٢ ص٦٢٦.

(٢) الزجل: رفع الصوت الطرب. لسان العرب ج١١ ص٣٠٢.

(٣) الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢١ و ١٢٢ والبحار ج٢٠ ص٣٥٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٣ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ والإصابة ج٣ ص١٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٨٨ وكشف اليقين ص١٣٩.

وآله».. حيث يفترض أن يدفعهما التفكر فيها، والتفاعل معها إلى خوض اللجج، وبذل المهج في سبيل تحقيق ما رغب إليهما النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» في تحقيقه، فكانت نفساهما أحب إليهما من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وكان علي «عليه السلام» على العكس منهما، قوياً في ذات الله، مؤثراً رضا الله ورسوله على كل ما في هذه الدنيا من زبارج وبهارج.

٢ ـ إن هذه الحادثة تذكّرنا بما جرى بعد ذلك في خيبر، حينما ذهب الرجلان ـ أبو بكر أولاً، وعمر ثانياً ـ بأمر الرسول «صلى الله عليه وآله» لمناجزة اليهود، ثم رجعا منهزمين مع من معهما، يجبن بعضهم بعضاً.

ويذكّرنا أيضاً: بما جرى قبل ذلك في بني قريظة، حيث ذهب نفس الرجلين أيضاً ـ أعني أبا بكر وعمر ـ لمناجزة اليهود، ثم رجعا مع من معهما منهزمين، يجبن بعضهم بعضاً.

٣ ـ وإن كتمان اسم الرجل الثاني الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» بالروايا، ورجع خائفاً منهزماً بأوهامه وهواجسه، يثير فضولنا، وتأخذنا الاحتمالات والظنون فيه يميناً وشمالاً.. خصوصاً مع ما عرفناه وألفناه من تستر هؤلاء القوم على أسماء من يحبونهم، حين يجدون أن التصريح بها يضر بسمعتهم وبمكانتهم.

حديث الثقلين:

قالوا: ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الجحفة أمر بشجرة، فقمَّ ما تحتها، فخطب الناس، فقال: «إني كائن لكم فرطاً، وقد تركت فيكم

ما إن أخذتم به لن تضلوا أبداً: كتاب الله، وسنة نبيه»[1].

ونقول:

إن كان هذا هو حديث الثقلين الشائع والذائع، الذي أحرج أهل السنة، فأخرجهم عن جادة الإنصاف والاعتدال فهو النص المحرف له، أو هو نص آخر، يشبهه، زعموا: أنه هو، من أجل إبطال الحق، وتأييد الباطل. فخاب فألهم، وطاش كلمهم. وتوضيح هذا الأمر يحتاج إلى بعض التفصيل، الذي لا مجال له في سياق كهذا، غير أننا نقول:

١ ـ الثقل: بفتح القاف، أم بسكونها:

الظاهر: أن كلمة «**الثقلين**» هي بفتح الثاء المشددة والقاف بعدها.

قال ابن حجر الهيثمي: «سمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» القرآن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦ وفي هامشه عن البخاري ج٤ ص١٢ وعن صحيح مسلم ج٢ ص٨٦١ والحديث في الموطأ (بشرح السيوطي) ج٢ ص٢٠٨ كتاب القدر والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٦٠٣ وفيض القدير ج٣ ص٣٤٠ ومستدرك الحاكم ج١ ص٩٣ وتنبيه الغافلين ص٤٣ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣٠٢ والكامل ج٤ ص٦٩ والضعفاء للعقيلي ج٢ ص٢٥١ والعلل ج١ ص٩ وكمال الدين ص٢٣٥ والبحار ج٢٣ ص١٣٢ وكنز العمال ج١ ص١٧٣ ـ ١٨٧ والجامع الصغير ج١ ص٥٠٥ و ٥٠٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١١٤ والجامع لأخلاق الرواة ج١ ص١٦٦ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٦٠ والعهود المحمدية ص٦٣٥ وطبقات المحدثين بإصبهان ج٤ ص٦٨ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٤٠٣ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٠٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٩.

وعترته ثَقَلين، لأن الثَّقَل كل نفيس خطير مصون. وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن العلوم الدينية، والأسرار والحكم العلية، والأحكام الشرعية؛ ولذا حث رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم.

وقيل: سميا ثِقْلين، لثقل وجوب رعايتهما»[1].

أو رعاية حقوقهما، قال الشريف الرضي في المجازات النبوية: تسمية الكتاب والعترة بالثقلين، وواحدهما ثقل، وهو متاع المسافر الذي يصحبه إذا رحل، ويسترفق به إذا نزل، فأقام عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة مقام رفيقيه في السفر، ورفاقه في الحضر، وجعلهما بمنزلة المتاع الذي يخلفه بعد وفاته[2].

٢ـ النص الصحيح والصريح:

إنه لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية، والحكم بأنها هي حديث الثقلين المعروف وهي رواية: «كتاب الله، وسنة نبيه» بل المعتمد عند جهابذة العلم والرواية هو حديث الثقلين المروي بأسانيد صحيحة، وله نصوص متقاربة، منها ما ورد في صحيح مسلم، من أنه «صلى الله عليه وآله» قال في غدير خم:

«يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب. وإني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، خذوا بكتاب الله واستمسكوا به ـ فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي. أذكِّركم الله في أهل بيتي،

---

(١) الصواعق المحرقة ص٢٢٦ و ٢٢٧ وراجع تيسير الوصول.

(٢) المجازات النبوية ص٢١٨.

أذكّركم الله في أهل بيتي الخ..» أو نحو ذلك(١).

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣ وتيسير الوصول ج١ ص١٦ والنهاية في اللغة لابن الأثير ج٣ ص١٧٧ والصواعق المحرقة، والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٢١ و ٦٢٢ والطرائف ص١١٤ ـ ١٢٢ ومسند أحمد ج٥ ص١٨٢ و ١٨٩ و ١٩٠ وج٤ ص٣٧١ و ٣٦٦ وج٣ ص١٧ و ٢٦ و ١٤ و ٥٩ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٨ و ١١٠ و ١٠٩ و ٥٣٣ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) والدر المنثور ج٢ ص٦٠ والمعجم الكبير ج٥ ص١٨٦ و ١٨٧ وج٣ ص٦٣ و ٦٦ ونوادر الأصول ص٦٨ وكنز العمال (ط أولى) ج١ ص٤٨ وتهذيب الكمال ج١٠ ص٥١ وتحفة الأشراف ج٢ ص٢٧٨ ومشكاة المصابيح ج٣ ص٢٥٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٣١٠ والسنة لابن أبي عاصم ص٦٢٩ و ٦٣٠ والسنن الكبرى ج٢ ص١٤٨ ومصابيح السنة ج٢ ص٢٠٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٦ و ٢٠٩ وج٧ ص٩ وكشف الأستار عن زوائد البزار ج٣ ص٢٢١ وسمط النجوم العوالي ج٢ ص٥٠٢ وتهذيب اللغة للأزهري ج٩ ص٧٨ ولسان العرب ج٤ ص٥٣٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٥٦ و ١٦٣ وترجمة الإمام أمير المؤمنين من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ص٤٥ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٨ ونظم درر السمطين ص٢٣١ و ٢٣٢ والمنهاج في شرح صحيح مسلم ج١٥ ص١٨٠ وفيض القدير ج٣ ص١٤ وشرح المواهب اللدنية ج٧ ص٥ و ٨ والمرقاة في شرح المشكاة ج٥ ص٦٠٠ ونسيم الرياض في شرح الشفاء ج٣ ص٤١٠ وعن أشعة اللمعات في شرح المشكاة ج٤ ص٦٧٧ وذخائر العقبى ص١٦ وغرائب القرآن ج١ ص٣٤٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٤ والخصائص للنسائي ص٣٠ وكفاية الطالب ص١١ و ١٣٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٤ وأسد الغابة ج٢ ص١٢ وج٣ ص١٤٧ وحلية الأولياء ج١ ص٣٥٥ وتذكرة الخواص ص٣٣٢ والعقد الفريد والسراج المنير في شرح الجامع الصغير ج١ ص٣٢١ وشرح الشفاء =

= للقاري (مطبوع بهامش نسيم الرياض) ج٣ ص٤١٠ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج١ ص٩٦ و ١٠١ وج٢ ص٣٩٠ وج٥ ص٩٥ وعن تفسير الرازي ج٣ ص١٨ وعن تفسير النيسابوري ج١ ص٣٤٩ وتفسير الخازن ج١ ص٢٥٧ وج٤ ص٩٤ و ٢١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١١٣ وج٣ ص٤٨٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٣٠ وفضائل الصحابة ص٢٢ وتحفة الأشراف ج١١ ص٢٦٣ و ٢٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٠ وج١٠ ص١١٤ ومسند ابن الجعد ص٣٩٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص١١٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٥١ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٢٩٧ و ٣٠٣ ومسند ابن خزيمة ج٤ ص٦٣ والمعجم الصغير ج١ ص١٣١ و ١٣٥ والمعجم الأوسط ج٣ ص٣٧٤ وج٤ ص٣٣ والغدير ج١ ص٣٠ و ١٧٦ وج٣ ص٢٩٧ وج١٠ ص٢٧٨ وفدك في التاريخ ص٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٥٠٨ وج٣ ص٨٦ وأمان الأمة من الاختلاف ص١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٢ و ١٣٥ ونهج السعادة ج٣ ص٩٦ وج٨ ص٤١٧ ومسند الإمام الرضا ج١ ص١٠٦ و ١٠٨ ودرر الأخبار ص٤٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص٣٥٨ و ٥٥٣ ومواقف الشيعة ج١ ص٣٣ وج٣ ص٤٧٤ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٥ وتفسير العياشي ج١ ص٥ وتفسير القمي ج١ ص١٧٣ وج٢ ص٣٤٥ والتبيان ج٩ ص٤٧٤ وتفسير مجمع البيان ج٧ ص٢٦٧ وج٩ ص٣٤٠ وكشف اليقين ص١٨٨ و ٤٢٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦ وج١٢ ص٢٣٢ و ٣٩٦ وتفسير جوامع الجامع ج١ ص٤١١ والتفسير الصافي ج١ ص٢١ وج٢ ص٦٩ وتفسير الميزان ج١ ص١٢ وج٣ ص٨٦ وج١٦ ص٣١٩ وج١٧ ص٤٥ والكنى والألقاب ج١ ص٢٦٢ وشواهد التنزيل ج٢ ص٤٢ واختيار معرفة الرجال ج١ ص٨٥ وج٢ ص٤٨٤ و ٤٨٥ والدرجات الرفيعة ص٤٥١ والضعفاء للعقيلي ج٢ ص٢٥٠ وج٤ ص٣٦٢ والكامل ج٦ ص٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٢٥٨ وج٤١ ص١٩ وج٥٤=

= ص٩٢ وسير أعلام النبلاء ج٩ ص٣٦٥ وكشف الغمة ج٢ ص١٧٢ ونهج الإيمان ص٢٠٢ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٧٩ وحياة الإمام الرضا للقرشي ج١ ص٩ ولمحات في الكتاب والحديث والمذهب للصافي ص١٣٧ ومجموعة الرسائل ج١ ص٥٦ و ١٨٩ وج٢ ص٤٧ و ٤٩ و ٥١. وراجع: بصائر الدرجات ص٤٣٣ و ٤٣٤ ودعائم الإسلام ج١ ص٢٨ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٣٤ و ٦٨ والخصال ص٦٦ والأمالي للصدوق ص٥٠٠ وكمال الدين وتمام النعمة ص٦٤ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٧٨ ومعاني الأخبار ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج١ ص٣٤ وج٥ ص١٦٦ والوسائل ج١ ص٢ وج١٨ ص١٩ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٣٥٥ وج٧ ص٢٥٥ وج١١ ص٣٧٤ وكتاب سليم بن قيس ص٢٠١ ومسند الرضا ص٦٨ و ٢١٠ ومناقب أمير المؤمنين ج١ ص١٤٨ وج٢ ص١١٢ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٠ والمسترشد للطبراني الشيعي ص٥٥٩ ودلائل الإمامة ص٢٠ والهداية الكبرى ص١٨ وشرح الأخبار ج١ ص٩٩ وج٢ ص٣٧٩ و ٥٠٢ وج٣ ص١٢ ومائة منقبة ص١٦١ والإرشاد ج١ ص٢٣٣ والأمالي للمفيد ص١٣٥ والأمالي للطوسي ص١٦٢ و ٢٥٥ و ٥٤٨ والإحتجاج ج١ ص١٩١ و ٢١٦ و ٣٩١ وج٢ ص١٤٧ و ٢٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٣ والعمدة لابن البطريق ص٦٨ و ٦٩ و ٩٨ و ١٠٢ و ١١٨ والتحصين ص٦٣٦ وسعد السعود لابن طاووس ص٢٢٨ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٤٢ والطرائف لابن طاووس ص١١٤ و ١١٥ ومشكاة الأنوار ص١١ والصراط المستقيم ج٢ ص٣٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٧ والفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص٥٤٩ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٢٨ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٨٢ وبحار الأنوار ج٢ ص١٠٠ و ١٠٤ و ٢٢٦ و ٢٨٥ وج٥ ص٢١ وج١٠ ص٣٦٩ وج١٦ ص٣٣٧ وج٢٢ ص٣١١ و ٤٧٦ وج٢٣ ص١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ =

رواة الحديث من الصحابة:

وقد ذكر السخاوي: أن حديث الثقلين هذا مروي عن:

١ ـ أبي سعيد الخدري.

٢ ـ زيد بن أرقم.

٣ ـ جابر.

٤ ـ حذيفة بن أسيد الغفاري.

= و ١١٣ و ١١٧ و ٥٢٦ وج٢٣ ص١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٦ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ وج٢٤ ص٣٢٤ وج٢٥ ص٢٣٧ وج٢٨ ص٢٦٢ و ٢٨٧ وج٣٠ ص٥٨٨ وج٣١ ص٣٧٦ و ٤١٥ وج٣٥ ص١٨٤ وج٣٦ ص٣١٥ و ٣٣١ و ٣٣٨ وج٣٧ ص١١٤ و ١٢٩ وج٤٧ ص٣٩٩ وج٨٦ ص١٣ و ٢٧ ونور البراهين ج١ ص٣٨٤ وكتاب الأربعين للماحوذي ص٤١ و ٦٨ والعوالم (الإمام الحسين) ص٦٠٥ و ٧٣٤ ومناقب أهل البيت ص٨٢ و ١٧٣ و ١٧١ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٢٧ و ٢٨ و ٣٠ و ٥٨ وج٢ ص٣ و ٨ و ٤٧ والنص والإجتهاد ص١٣ والمراجعات ص٧٢ و ٧٣ و ٢٦٢ والسقيفة للمظفر ص١٨٨، وراجع: كتب اللغة مادة ثقل، مثل: القاموس المحيط، وتاج العروس، والمناقب المرتضوية ص٩٦ و ٩٧ و ١٠٠ و ٤٧٢ ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي ص٥٢٠. ونقله: الشيخ محمد قوام الدين الوشنوي في حديث الثقلين عن أكثر من تقدم، وعن الصواعق المحرقة ص٧٥ و ٧٨ و ٩٩ و ٩٠ و ١٣٦ وعن ينابيع المودة ص١٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ٩٥ و ١١٥ و ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٣٠١ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٠ وعن فردوس الأخبار للديلمي ونقله صاحب العبقات عن عشرات المصادر الأخرى، فراجع حديث الثقلين ص٢٢ ـ ٢٩ فراجع.

٥ ـ خزيمة بن ثابت.

٦ ـ سهل بن سعد.

٧ ـ ضميرة.

٨ ـ عامر بن أبي ليلى.

٩ ـ عبد الرحمن بن عوف.

١٠ ـ عبد الله بن عباس.

١١ ـ عبد الله بن عمر.

١٢ ـ عدي بن حاتم.

١٣ ـ عقبة بن عامر.

١٤ ـ علي «عليه السلام».

١٥ ـ أبي ذر.

١٦ ـ أبي رافع.

١٧ ـ أبي شريح الخزاعي.

١٨ ـ أبي قدامة الأنصاري.

١٩ ـ أبي هريرة.

٢٠ ـ أبي الهيثم بن التيهان.

٢١ ـ أم سلمة.

٢٢ ـ أم هاني بنت أبي طالب.

٢٣ ـ رجال من قريش[1].

---

(١) حديث الثقلين للوشنوي ص١٣ عن الإستجلاب لشمس الدين السخاوي.

وقد زاد صاحب العبقات على ما تقدم؛ الأسماء التالية:

٢٤ ـ الحسن بن علي «عليه السلام».

٢٥ ـ سلمان الفارسي (المحمدي).

٢٦ ـ حذيفة بن اليمان.

٢٧ ـ زيد بن ثابت.

٢٨ ـ عبد الله بن حنطب

٢٩ ـ جبير بن مطعم

٣٠ ـ البراء بن عازب

٣١ ـ أنس بن مالك

٣٢ ـ طلحة بن عبيد الله

٣٣ ـ سعد بن أبي وقاص

٣٤ ـ عمرو بن العاص

٣٥ ـ سهل بن سعد

٣٦ ـ أبا أيوب الأنصاري

٣٧ ـ فاطمة الزهراء «صلوات الله وسلامه عليها»

٣٨ ـ أبا ليلى الأنصاري[1].

حديث الثقلين متواتر:

وقد صرحوا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال هذا القول في

---

(١) حديث الثقلين ص١٤ عن عبقات الأنوار المجلد الخاص بحديث الثقلين.

مواطن عديدة، فقد قاله في عرفة في حجة الوداع، وقاله في المدينة في مرضه الذي توفي فيه. وقاله في غدير خم، وقاله بعد انصرافه من الطائف[1].

وقد صرحوا: بأنه مروي عن نيف وثلاثين صحابياً[2].

وقد ظهر مما تقدم: أنه مروي عن ما يقرب من أربعين.

وقد اعتبر ابن حجر الهيثمي الحديث المروي عن ثمانية من الصحابة متواتر[3]، فكيف إذا كان مروياً عن ثمانية وثلاثين صحابياً؟! أو أكثر حسبما ذكرناه.

وسنتي وعترتي متوافقان:

إن من الواضح: أن حديث: «كتاب الله وعترتي» متواتر.

وأما حديث: «وسنتي» فليس كذلك، فلو كانا متعارضين لوجب تقديم المتواتر.

على أن حديث «كتاب الله وعترتي» لا ينافي حديث «وسنتي».. بل هما حديثان مستقلان لا يضر أحدهما بالآخر، ولو سلمنا ارتباطهما فهو ارتباط لا يضر، حيث يكون أحدهما موضحاً، أو مقيداً للآخر، ويكون المعنى:

أن سنة الرسول «صلى الله عليه وآله» التي يوصي بها هي التي تنقلها العترة، وهي التي تحفظ من الضلال؛ لأن العترة معصومة، عن الخطأ

---

(١) الصواعق المحرقة (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ص١٤٨ و ١٤٩.

(٢) راجع: الصواعق المحرقة (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ص١٤٨ و ١٤٩ والجامع الصحيح للترمذي ج٢ ص٢٢٠ و ٢٢١.

(٣) الصواعق المحرقة (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ص٢١.

والسهو والنسيان، وعن كل نقص وعيب، وخلاف..

أما السنة التي يأتي بها أمثال: أبي هريرة أو سمرة بن جندب، أو كعب الأحبار، أو عمرو بن العاص، أو معاوية وأضرابهم، فلا يؤمن عليها من أن تكون قد تعرضت للتحريف، أو التزييف..

فيكون في هذين الحديثين دلالة على الحجة، وعلى طريق ثبوتها..

أسرار في حديث الثقلين:

١ ـ وحديث الثقلين نفسه يدل على عصمة العترة «عليهم السلام»، لأنه «صلى الله عليه وآله» جعلها عدلاً للقرآن، في كون التمسك بها يوجب الأمن من الضلال، فلو كانوا «عليهم السلام» يسهون، أو يخطئون، أو ينسون، أو يكذبون ـ والعياذ بالله ـ أو يحتمل ذلك في حقهم لم يكن التمسك بهم من موجبات الأمن من الضلال عن الحق..

٢ ـ قد أكد هذا الحديث أن هذه العصمة لهم ثابتة ومستمرة إلى حين الورود على الحوض، وهو يدل على بقائهم في موقع الهداية للأمة ما دامت الدنيا باقية، وذلك إنما يكون ببقائهم فيها بصورة فعلية، وعلى قيد الحياة، تماماً كما هو الحال بالنسبة لبقاء القرآن..

٣ ـ إن هذا لا يكون إلا ببقاء إمامتهم وحضورهم.. وليكن هذا أحد الإرشادات إلى حياة الإمام المهدي «عليه السلام» إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

قال الهيثمي: «في أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك إلى يوم القيامة. كما أن الكتاب العزيز

كذلك»[1].

٤ ـ يضاف إلى ذلك: أنه لو جاز عليهم الخطأ لفارقوا القرآن، مع أن هذا الحديث يقول: إنهما لن يفترقا حتى يردا على النبي «صلى الله عليه وآله» الحوض..

٥ ـ إن التعبير بأن القرآن والعترة لن يفترقا.. يعطي: أن القرآن يكون مع العترة ويصدقهم، ولا يكون مع غيرهم في مقابلهم أبداً، وأنه لا يتضمن أي شيء يخالف أقوالهم، وأفعالهم، كما أنهم هم أيضاً لا يفارقون القرآن..

وهذا معناه: أن القرآن والسنة يحتاجان إلى حافظ ومبين، يشرحهما، ويبين ناسخهما من منسوخهما، والمحكم من المتشابه فيهما، ويكشف عن غوامضهما، وينفي تحريفات المبطلين عنهما..

٦ ـ لو كان الرجوع إلى الكتاب والسنة من دون رجوع للعترة يحفظ الأمة من الضلال، لم يختلف الناس بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يتفرقوا إلى عشرات الفرق، ولم يختلفوا في أحكامهم واعتقاداتهم و.. و.. الخ..

كما أنه لو كان الرجوع إلى الكتاب والسنة من دون العترة كافياً، لم يبق معنى لقوله تعالى: ﴿..فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] فإنه إذا وجب السؤال، وجاء الجواب، فلابد من الأخذ به، والعمل على طبقه،

---

(١) الصواعق المحرقة (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ص١٤٩، وراجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ص٣١٠ ونور الأبصار ص٢٨ وينابيع المودة (ط سنة ١٣٠١ هـ) ج٢ ص٤١٤.

(٢) الآية ٤٣ من سورة النحل.

وهذا يستلزم ثبوت العصمة للمسؤول، إذ لولا ذلك لجاز أن يخطئ في الإجابة، ولا معنى لإيجاب الأخذ بالخطأ، ولا لإيجاب العمل به..

من هم العترة؟!

ومن الواضح: أن المقصود بالعترة ليس جميع أقارب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل المراد بهم قد بيَّنه «صلى الله عليه وآله» بقوله: «**وعترتي أهل بيتي**» كما صرحت به النصوص الكثيرة لحديث الثقلين.

وذلك يشير: إلى ما ورد في آية التطهير، التي أثبتنا أن المراد بأهل البيت «عليهم السلام» فيها هم: «**أهل بيت النبوة**» وقد دل حديث الكساء، وحديث الأئمة بعدي اثنا عشر وغيرهما، على أنهم: فاطمة، وعلي، والحسنان.. ثم الأئمة التسعة من ذرية الحسين «عليهم السلام»، فراجع كتابنا: «**أهل البيت في آية التطهير**».

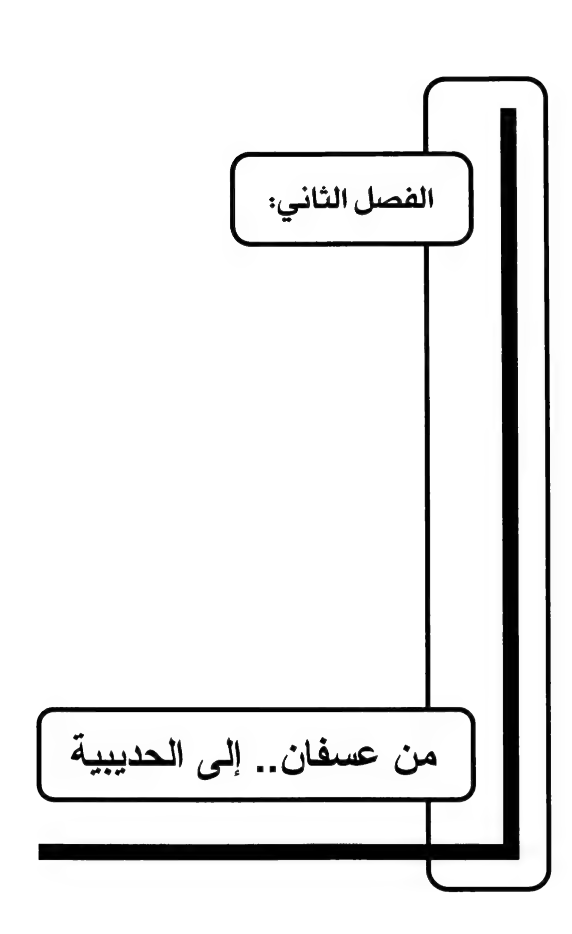
وأخيراً: فقد قال السمهودي: «وهذا الخبر يفهم منه وجود من يكون أهلاً للتمسك من أهل البيت والعترة الطاهرين في كل زمان»[1].

وقد ذكر العلامة الوشنوي كلاماً يفيد في توضيح هذا المعنى فراجع[2].

---

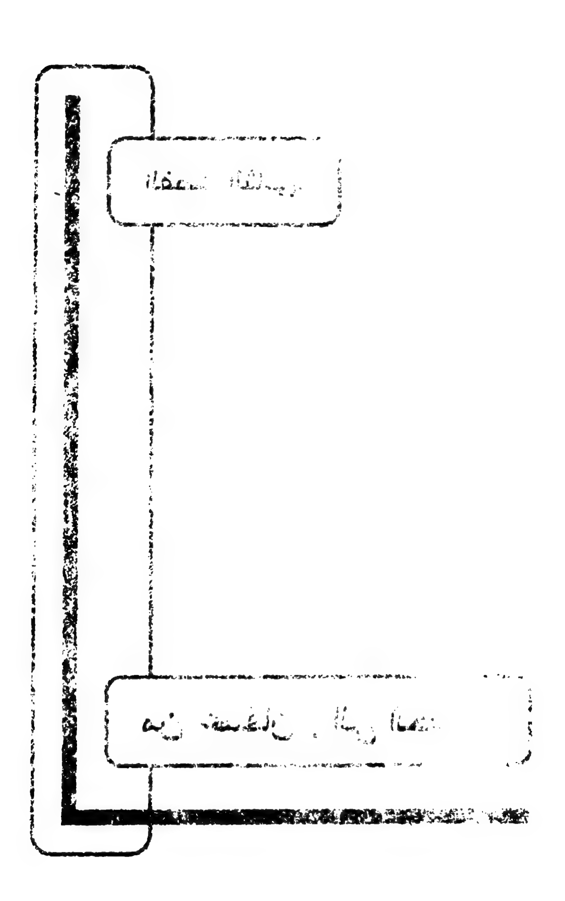
(١) حديث الثقلين للعلامة الوشنوي ص٢٢ عن السمهودي.

(٢) حديث الثقلين للعلامة الوشنوي ص١٩ فما بعدها.



الفصل الثاني:

من عسفان.. إلى الحديبية



بداية:

في هذا الفصل نذكر أولاً النصوص التي ذكرها المؤرخون وكتَّاب السيرة، ثم نعقبها ببعض التوضيحات، أو التصحيحات، أو المناقشات، التي نرى أن من المفيد الاطلاع عليها..

والنصوص هي التالية:

إطلاق الصرخة في مكة:

قال الصالحي الشامي وغيره: روى الخرائطي في الهواتف، عن ابن عباس، قال: لما توجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد مكة عام الحديبية، قدم عليه بِشِر بن سفيان العتكي، فقال له: «يا بشر، هل عندك علم أن أهل مكة علموا بمسيري»؟[1].

فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني لأطوف بالبيت في ليلة كذا وقريش في أنديتها، إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس ـ ليلة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالمسير ـ بصوت أسمع أهل مكة:

هـيـوا لِـصَـاحِـبِـكُـمْ مِثْلي صَحَـابَتِهِ   سِيرُوا إليه وكونوا معشراً كُرَمَا

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦ و ٣٧ والإصابة ج١ ص٤٢٩.

بعد الطواف وبعد السعي في مهل وأن يَحُوزَهُمُ من مكة الحَرَمَا[1]

شاهت وجوهكم من معشر تكل لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة، واجتمع المشركون، وتعاقدوا ألا يدخل عليهم بمكة في عامهم هذا.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «هذا الهاتف سَلْفَعُ. شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله (تعالى) إن شاء الله عز وجل».

فبينما هم كذلك إذ سمعوا من أعلى الجبل صوتاً، وهو يقول:

شاهت وجوه رجال حالفوا صَنَمَا وخاب سَعْيُهُمُ ما قَصَّرَ الهِمَمَا

إني قتلت عدو الله سَلْفَعَةً شيطان أوثانكم سحقاً لمن ظلما

وقد أتاكم رسول الله في نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما[2]

قالوا: ولما بلغ المشركين خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» راعهم ذلك، فاجتمعوا وتشاوروا، فقالوا: أيريد محمد أن يدخلها علينا في جنوده معتمراً، فتسمع العرب أنه قد دخل علينا عنوة، وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا؟! والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف.

ثم قدموا خالد بن الوليد في مائتي فارس إلى كراعِ الغميم، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم، وخرجوا إلى بَلْدَح، وضربوا بها القباب والأبنية، ومعهم النساء والصبيان، فعسكروا هناك، وأجمعوا على منع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دخول مكة ومحاربته،

---

(١) الموافق لقواعد اللغة هو «الحرمُ» بالرفع.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦.

ووضعوا العيون على الجبال، وهم عشرة أنفس يوحي بعضهم إلى بعض الصوت الخفي: فعل محمدٌ كذا وكذا، حتى ينتهي إلى قريش بِبَلْدَح[١].

ورجع بشر بن سفيان الذي بعثه «صلى الله عليه وآله» عيناً له من مكة، وقد علم خبر مكة والقوم، فلقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغدير الأشطاط وراء عُسْفَان فقال: يا رسول الله!! هذه قريش سمعت بمسيرك، فخرجوا ومعهم العُوذُ المَطَافِيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدمها إلى كراع الغميم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله تعالى عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهره الله (تعالى) أو تنفرد هذه السالفة»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٥٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ والنص والإجتهاد ص١٦٧ والكامل ج٢ ص٧٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٧ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٣ وكنز العمال ج٤ ص٤٣٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٩ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٧٢، والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٣.

النبي ﷺ يشاور أصحابه:

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

«أما بعد: يا معشر المسلمين، أشيروا عليَّ، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم»؟.

وقال: «فإن قعدوا، قعدوا موتورين محروبين، وإن يأتونا تكن عُنُقاً ـ وفي لفظ: عيناً ـ قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه»؟.

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): الله ورسوله أعلم، يا رسول الله إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ونرى أن نمضي لوجهنا، فمن صدنا عن البيت قاتلناه.

ووافقه على ذلك أسيد بن الحضير.

وروى ابن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه، ومحمد بن عمر عن شيوخه: أن المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) قال بعد كلام أبي بكر:

إنَّا والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فسيروا على اسم الله»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١١١ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١٠٩ والمصنف للصنعاني ج٥ =

صلاة الخوف:

ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، فصف خيله فيما بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين القبلة، فأمر «صلى الله عليه وآله» عباد بن بشر فتقدم في خيله، فقام بإزائه، فصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فأذن بلال، وأقام، فاستقبل النبي «صلى الله عليه وآله» القبلة، وصف الناس خلفه، فركع بهم ركعة وسجد، ثم سلم، فقاموا على ما كانوا عليه من التعبئة.

فقال خالد بن الوليد: قد كانوا على غِرَّة، لو حملنا عليهم أصبنا منهم. ولكن تأتي الساعة صلاة أخرى هي أحب إليهم من أنفسهم وأبنائهم.

فنزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية: **﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾**[1].

= ص٣٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٦٤ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٧ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٥.

(١) الآية ١٠٢ من سورة النساء.

فحانت صلاة العصر، فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الخوف[١].

النبي ﷺ يخالف العدو في الطريق:

روى البزار بسندٍ رجاله ثقات، عن أبي سعيد الخدري مختصراً، ومحمد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٨ وج٨ ص٢٥٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٠٧ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٥١٨ والبحار ج٢٠ ص٣٤٨ وج٨٣ ص١١٠ والنص والإجتهاد ص١٦٥ وراجع: مسند أحمد ج٤ص٥٩ و ٦٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٥٤ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٥٠٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٩٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٣٥١ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٩٦ والمنتقى من السنن المسندة ص٦٨ وشرح معاني الآثار ج١ ص٣١٨ والمعجم الكبير ج٥ ص٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ وسنن الدارقطني ج٢ ص٤٧ وكنز العمال ج٨ ص٤١٥ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٠ والتبيان ج٣ ص٣١١ وتفسير مجمع البيان ج٣ ص١٧٧ والتفسير الصافي ج١ ص٤٩٤ وج٥ ص٣٣ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٠٦ وتفسير الميزان ج٥ ص٦٤ وج١٨ ص٢٦٤ وجامع البيان ج٥ ص٣٣٨ و ٣٤٩ ومعاني القرآن ج٢ ص١٧٩ وأحكام القرآن ج٢ ص٣٣١ وعن أسباب نزول الآيات ص١٢٠ وزاد المسير ج٢ ص١٨٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٥ ص٣٦٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٦١ وتفسير الجلالين ص٢٨٥ والدر المنثور ج٢ ص٢١١ و ٢١٤ ولباب النقول ص٧٠ وفتح القدير ج١ ص٥٠٩ وتهذيب الكمال ج٣٤ ص١٦١ والبداية والنهاية ج٤ ص٩٣ و ٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٥٧.

بن عمر عن شيوخه، قالوا: لما أمسى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «تيامنوا، في هذا العَصَل.

وفي رواية اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحَمْض، فإن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة»[1].

كره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يلقاه، وكان بهم رحيماً، فقال: «تيامنوا فأيكم يعرف ثنية ذات الحنظل»؟

فقال بريدة بن الحُصَيْب الأسلمي: أنا يا رسول الله عالم بها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اسلك أمامنا».

فأخذ بريدة في العصل ـ قبل جبال سَرَاوِع ـ قبل المغرب، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، فسلك بريدة بهم طريقاً وعراً أجرل[2] بين شعاب، وسار قليلاً تُنَكِّبُه الحجارة،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٨ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٨ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٣ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣١ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٧ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٠ وإرواء الغليل ج١ ص٥٥ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٥ وتفسير الميزان ج١٨ ص٤٦٥ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٦ وأسد الغابة ج٤ ص١٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٠.

(٢) أجرل: الجرل الحجارة. وقيل: الشجر مع الحجارة، أنظر لسان العرب ج١ ص٦٠٣.

وتعلقه الشجر، وصار حتى كأنه لم يعرفها قط.

قال: فوالله، إني كنت أسلكها في الجمعة مراراً، فنزل حمزة بن عمرو الأسلمي، فسار بهم قليلاً، ثم سقط في خمر الشجر، فلا يدري أين يتوجه، فنزل عمرو بن عَبْدِنُهْم الأسلمي، فانطلق أمامهم حتى نظر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الثنية، فقال: هذه ثنية ذات الحنظل»؟

فقال عمرو: نعم يا رسول الله.

فلما وقف به على رأسها تحدر به.

قال عمرو: فوالله إن كان لتهمني نفسي وحدها، إنما كانت مثل الشراك فاتسعت لي حين برزت، فكانت فجاجاً لاحبة. ولقد كان الناس تلك الليلة يسيرون جميعاً معطفين من سعتها يتحدثون، وأضاءت تلك الليلة حتى كأنا في قمر[1].

وروى مسلم عن جابر مختصراً، وأبو نعيم عن أبي سعيد، وابن إسحاق عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه.

قال أبو سعيد: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان سرنا من آخر الليل حتى أقبلنا على «عقبة ذات الحنظل».

قال جابر: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من يصعد ثنية المِرار، فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل؟[2].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ج٤ ص١٦٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩ والكافي ج٨ ص٣٢٢ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٤٨ والبحار ج٢٠ ص٣٦٥ وج٨٣ ص١١١ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣١ وعن صحيح مسلم ج٨ ص١٢٣ والديباج على مسلم ج٦ ص١٣٩ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٤٧ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٩٤ والمعجم الأوسط ج٣ =

فكان أول من صعد خيل من الخزرج، ثم تبادر الناس بعد.

وقال أبو سعيد: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مثل هذه الثنية الليلة كمثل الباب الذي قال الله تعالى لبنى اسرائيل: ﴿..وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ..﴾[1]»[2].

وقال ابن إسحاق: إن المسلمين لما أن خرجوا من الأرض الصعبة، وأفضوا إلى أرض سهلة، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قولوا نستغفر الله ونتوب إليه».. فقالوا ذلك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «والله إنها لَلْحِطَّة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها»[3].

قال أبو سعيد: ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يجوز هذه الثنية الليلة أحد إلا غفر له».

فلما هبطنا نُزُلَنا فقلت: يا رسول الله، نخشى أن ترى قريش نيراننا.

فقال: لن يروكم[4].

فلما أصبحنا صلى بنا صلاة الصبح، ثم قال: «والذي نفسي بيده لقد

= ص١٧٨ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٢٢٩.

(١) الآية ٥٨ من سورة البقرة، وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩.

(٢) الآية ٥٨ من سورة البقرة، وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص١٠٣ والدر المنثور ج١ ص٧١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩.

غفر للركب أجمعين إلا رويكباً واحداً على جمل أحمر التقت عليه رحال القوم ليس منهم»[1].

وقال جابر: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر»[2].

قال أبو سعيد: فطلب في العسكر فإذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، والرجل من بني ضمرة من أهل سيف البحر، يظن أنه من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقيل لسعيد: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: كذا وكذا.

فقال له سعيد: ويحك!! اذهب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستغفر لك[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧ وعن صحيح مسلم ج٨ ص١٢٣ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٨٣ والديباج على مسلم ج١ ص١٣٩ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٤٧ و ٢٤٨ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٩٤ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٧٨ وكنز العمال ج١ ص١٠٢ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وج٣٥ ص٨٥ ومناقب أهل البيت ص٤٦٢ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٥٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦١ ومعرفة علوم الحديث ص٢١٦ وضعيف سنن الترمذي ص٥١٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥ و ٣٦ عن مسلم في صفات المنافقين رقم (١٢) والبيهقي في دلائل النبوة ج٤ ص١٠٩ وذكر ابن كثير في التفسير ج٤ ص٢٠٢ وصاحب الجمل أن هذا المنافق هو: الجد بن قيس.

وقال جابر: فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله «صلى الله عليه وآله»

فقال: والله، لأن أجد ضالتي أحب إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم[1].

وقال أبو سعيد: فقال: بعيري والله، أهم من أن يستغفر لي.

إذاً هو قد أضل بعيراً له، فانطلق يطلب بعيره بعد أن استبرأ العسكر، وطلبه فيهم، فبينا هو في جبال سراوع إذ زلقت به نعله، فتردى فمات، فما علم به حتى أكلته السباع.

قال أبو سعيد: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ: «سيأتيكم أهل اليمن كأنهم قطع السحاب. هم خير أهل الأرض»[2].

تعقيبات على النصوص المتقدمة:

ونقول:

إن لنا على النصوص المتقدمة ملاحظات عديدة، بعضها للتوضيح، وبعضها للتصحيح، نذكر منها ما يلي:

---

(١) وعن صحيح مسلم ج٨ ص١٢٣ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٨٣ والديباج على مسلم ج٦ ص١٣٩ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٤٨ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٩٤ والمعجم الأوسط ج٣ ص١٧٨ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٢٢٩ و ٢٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦ ـ ٤٠.

وفي المصادر بعض النصوص، فراجع: مسند أحمد ج٤ ص٨٢ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٥٤ وفتح الباري ج٨ ص٧٧.

لماذا عدل عن الطريق؟!:

وأما عدول النبي «صلى الله عليه وآله» عن الطريق، وعدم مواجهته طليعة المشركين التي كانت بقيادة خالد. فلعله يرجع إلى عدة أسباب..

منها: أنه لم يرد أن يواجه تلك الطليعة لكي يتجنب أي اشتباك معها، يمكن أن يدفع بالأمور إلى حيث تصبح الحرب مع قريش أمراً مفروضاً لا يمكن تجنبه، وقد يمكن لقريش أن تشيع: أن أصحابه، أو بعضهم هم الذين تسببوا بنشوب الحرب.

ومنها: أن ذلك يمثل ضربة لعنفوان قوى الشرك، حيث إن طلائعهم، وكذلك عيونهم المنتشرة في كل مكان لم تغن عنهم شيئاً..

ومنها: أنه لا يريد أن يشعر المشركون بأنهم قادرون على التحكم بقرار الحرب، وأنهم قد فرضوا عليه أن يتحرك وفق ما رسموه له، مما يعني: أن خططهم ناجحة من الناحية العسكرية.

ومنها: أنه يريد أن يربك حركتهم العسكرية، ويعرفهم: أنهم غير قادرين على التحكم في مسار الأمور، مما يعني: أن أخطار المواجهة معه لا يمكن الاستهانة بها.. وأنهم لا يستطيعون ضمان النجاح في أي شيء..

من الذي يجمع الجموع لرسول الله ﷺ؟!

قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة:

أن الخزاعي الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» عيناً له على قريش قد عاد إليه، فقال: «إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي قد جمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أشيروا عليَّ، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم، فنصيبهم؟ فإن قعدوا الخ..»[١].

فالذي جمع الجموع ـ وفق ما قاله هذا النص ـ هو قبائل عامر وكعب ابنا لؤي.. مع أن أبا سفيان هو الذي يجمع الجموع، ويريد أن يقاتل النبي «صلى الله عليه وآله» ويصده عن البيت.. فما معنى نسبة هذا الأمر إلى هؤلاء بهذا التهويل والمبالغة؟!

على أن المذكور في النص الآخر هو قريش، وأن استشارته أصحابه إنما هي حين قدم خالد بمن معه..

سلفع شيطان الأصنام:

وأما الحديث عن صرخة شيطان الأصنام «سلفع»[٢]؛ فهو حديث غريب وعجيب[٣]، إذ فيه:

أولاً: أن الأبيات المنسوبة إلى «سلفع» في غاية الركاكة والسقوط، والبيت الثاني منها ليس له لون، ولا طعم، ولا رائحة..

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي) ص٣٦٦.

(٢) مسند أحمد ج٤ ص٣٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٨ وج١٠ ص١٠٩ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧١ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٧ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦ والإصابة ج١ ص١٥١.

وكذلك الحال بالنسبة للأبيات الأخرى، إذ لا نجد معنى مقبولاً أو معقولاً لقوله في البيت الأول: «ما قصر الهما».

ثانياً: لماذا لم يقتل هذا الهاتف شيطان الأصنام قبل هذه الحادثة، فلم يقتله في حرب بدر، أو قبل الهجرة، أو في أحد، أو في حمراء الأسد، والخندق، أو غير ذلك؟!

ولماذا لم يكن سلفع الشيطان يخبر أهل مكة بتحركات رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضدهم؟!

ثالثاً: كيف علم بسر (أو بشر) بن سفيان الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» من ذي الحليفة إلى مكة عيناً له: أن صرخة الشيطان كانت ليلة مسير رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم؟ وكيف حضر في مكة ساعة هذه الصرخة؟! مع أن بسر بن سفيان لم يكن في مكة حين مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إليها؟!.

ولو فرضنا: أنه كان فيها، فكيف جاء من مكة كل هذه المسافة قبل أن يجاوز رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذا الحليفة.

وإذا كان قد عاد إليه، وكانت عودته قبل قتل سلفع، حتى أبلغه بصرخته، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يوشك أن يقتله الله.. فلماذا تأخر قتل سلفع، كل هذه المدة؟!

رابعاً: إن بسر بن سفيان هو الذي يحدث النبي «صلى الله عليه وآله» بهذه الأحداث، وهو الذي يقول: فبلغ النبي ذلك، فأخبر أن هذا سلفع يوشك أن يقتله الله إن شاء الله.

ثم قال: فبينما هم كذلك إذ صوت الهاتف الثاني الذي أخبرهم بأنه قتل

سلفعاً، فما معنى قوله: فبينما هم كذلك؟!

هل معناه: أنهم كانوا لا يزالون في مجالسهم وأنديتهم؟!

فكيف يكون ذلك الخبر قد وصل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليقول في حق سلفع ما قال؟!

فإن ظاهر قوله: بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه بلغه بالطرق العادية.

خامساً: إن كلام سلفع لم يتضمن أي خبر لقريش عن تحركات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يخبرهم في شعره بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقصدهم بالحرب، أو أنه يقصد دخول مكة.

بل غاية ما فيه: أنه يطلب منهم أن يجهزوا جيشاً يشتمل على ضِعْفِ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأن يسيروا إلى حربه، فما معنى قول الرواية: إنهم لما سمعوا ذلك الشعر «ارتجت مكة، واجتمع المشركون، وتعاقدوا: أن لا يدخل عليهم بمكة في عامهم هذا»؟!

سادساً: إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يريد إعلام قريش بمسيره، لكي يفاجئها بالأمر، ويجعلها أمام الأمر الواقع، ليربكها، ويشعرها بالعجز، والضعف، حيث يكون قد وجه لها صدمة روحية، حتى إذا استجاب لمطالبها، فإنه يكون في موقع المتفضل الرحيم بها..

نعم.. إذا كان الأمر كذلك.. فلماذا يتدخل هذا الهاتف الثاني ليفسد خطط رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو ليؤثر سلباً عليها، وذلك حين أخبر أهل مكة بمسيره «صلى الله عليه وآله» إليهم، وأنه على حال الإحرام. وما إلى ذلك؟!

بلدح أم ذو طوى؟:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن قريشاً ومن تابعها من ثقيف، وغيرها من القبائل قد تجمعوا في مكان يقال له: (بلدح)، وعسكروا هناك، ووضعوا العيون على الجبال، وتستمر الرواية لتقول: إن بسر بن سفيان الذي لقي النبي «صلى الله عليه وآله» بغدير الأشطاط، وراء عسفان قد قال للنبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: إنهم «قد نزلوا بذي طوى».

ومن الواضح: أن (بلدح) هو واد غربي مكة ـ كما يقول ياقوت[1].

وأما ذو طوى، فهو: واد في طريق التنعيم إلى مكة[2].

خيارات لو أن قريشاً تلجأ إليها!!

ويستوقفنا هنا: قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب. ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني الخ..

ونقول:

إن نظرة منصفة إلى واقع الحال تعطينا: أن هذا الكلام من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما هو إلا رسالة ذات مغزى عميق ودقيق، يريد

---

(١) معجم البلدان (ط سنة ١٣٨٨ هـ) ج١ ص٤٨٠ والبحار ج١٨ ص٣٧ ومقدمة فتح الباري ص٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٢٩٨ وج٣٩ ص٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٥٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨٢ وعن فتح الباري ج٧ ص١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٥٠٨.

الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يوصلها إلى الناس، من أجل سوقهم نحو هدف يريد أن يصل إليه، وأن يحصل عليه..

ويتضح ذلك من خلال البيان التالي:

أنه «صلى الله عليه وآله» قد بدأ كلامه بما يلتقي مع ما يعانيه الناس العاديون من شدائد اقتصادية، وضغوطات عاطفية، واجتماعية وأمنية، وخسائر في الأنفس، وفي الأموال، وفي العلاقات.. وغير ذلك..

حيث قال عن قريش: «لقد أكلتهم الحرب»!!.. مع ما في ذلك من إظهار درجة من العطف على هؤلاء الذين يظلمون أنفسهم، ويظلمون غيرهم، وهم قريش، أو على الأقل، فيه إيحاء، بأن من الممكن التجاوز عما مضى، وأن الأمور بينه وبين قريش لم تصل إلى نقطة اللا رجوع..

ثم قدم خيارات يجد فيها من يتعرض لهذه المعاناة متنفساً مقبولاً وحلاً معقولاً، ينسجم مع ما يصبو ويشتاق إليه، حب السلامة والراحة..

ولكن من الواضح: أن هذه الخيارات وإن كانت سوف تؤثر على مستوى ثقة العرب بقريش، وعلى علاقاتهم بها، ولكنها خيارات واقعية، تحمل معها الخلاص من العناء والشقاء، والبلاء وما يجري على قريش والمشركين. فإنما على نفسها جنت براقش.. وتلك هي نتائج الإثم والبغي والعدوان.

يضاف إلى ذلك: أن الأخذ بهذه الخيارات، من شأنه أن يوزع القوى، فيسهل على المظلومين مواجهة الظلم، لأن القوى حين تكون متفرقة فإنها لا تملك نفس القوة حين تكون مجتمعة، فإنه إذا قضي على قوة العرب الذين هم حول قريش فلن تنفع قريشاً قوتها.. خصوصاً مع تنامي قوة الإسلام،

واتساع رقعته، وازدياد نفوذه.

والخلاصة: أنه «صلى الله عليه وآله» يقدم لقريش خيارات، لو عملت بها، فسوف تجد نفسها في أحضان الإسلام، ولن تقوى على مقاومته، ولا تجد مناصاً من الدخول فيه، وسوف تكون بأمس الحاجة إلى حمايته، والاستظلال بظله..

فالأمور التي طرحها «صلى الله عليه وآله» لا يمكن تجاهلها، بل لابد أن يعلق في أذهان الناس شيء منها، ويثير ذلك بلابل في صدورهم، وتبدأ من ثم الاقتراحات التي تنسجم مع أجواء تلك الخيارات، فتضعف العزائم عن خوض الحروب، وتنقاد النفوس لقبول حلول تقرِّبهم من أجواء السلم، والقبول بما كان مجرد تخيله يعد جريمة وخيانة، وعاراً عندهم..

وقد كانت المبادرة إلى العمرة، وإلى الإحرام، وسوق الهدي، تهدف إلى إثارة هذه الأجواء، حيث فرض عليهم الرضا بأن يعاهدوه ويصالحوه.. ورضوا أيضاً بأن يدخل إلى الحرم، ويحج البيت في سنة لاحقة.. مع أن التفكير الذي كان سائداً إلى تلك اللحظة هو لزوم قتله، وكل من معه.. فالتنزل والقبول بما هو أدنى من ذلك يعتبر إنجازاً عظيماً.

ولا شك في أن الخيارات السابقة التي طرحها الرسول «صلى الله عليه وآله»، وتحدثنا عنها آنفاً قد أسهمت في إثارة هذه الأجواء التي ساعدت على الوصول إلى تلك النتائج الباهرة والفتح العظيم..

النبي ﷺ يستشير أصحابه:

١ ـ وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد استشار أصحابه في هذه

المناسبة أيضاً وقد أظهرت هذه المشورة أنه لم يكن لدى المسلمين ميل للقتال، ولا كانوا يتسترون بالإحرام، ويضمرون العدوان، حينما تمكنهم الفرصة. وقد كان لابد من تسجيل وإظهار هذه الحقيقة للأجيال، فلم يعد يمكن للذين لا يؤمنون أن يقولوا: إن أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» لا تعكس ما في ضميره، لأنه رجل سياسي، ومنطق السياسة التي درجوا عليها، هو المكر والخداع، وانتهاز الفرص السانحة.

٢ ـ إننا نعتقد: أن مشورة أبي بكر بعدم القتال، كانت تنسجم مع سياساته الرامية إلى تعزيز قريش، وحفظ عنفوانها، وعدم المساس برموزها، كما ظهر من مشورته في حرب بدر، سواء بالنسبة لأصل الحرب، أم بالنسبة لسعيه لإنقاذ أسرى قريش من القتل.

٣ ـ وكان لهذه التدخلات أثرها الضاغط على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمثير فيما بين المسلمين سلبيات كبيرة ومتنوعة، من حيث تأثيرها على مستوى الثقة والقناعة، ومن ثم على الطاعة والانقياد والرضا من قبل عامة المسلمين بقرارات النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ لقد كان موقف المقداد في بدر وفي الحديبية، الذي هو الإعلان بالتسليم المطلق لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، هو الموقف الصحيح والصائب، الذي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يريد له أن يتنامى وأن يشيع ويتأكد ويتجذر فيما بين المسلمين. ليصبح خلقهم وسجيتهم الظاهرة في كل حين، وكل وقت، وفي كل موقف.

٥ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله»: أترون أن نميل على ذراري هؤلاء؟ يراد به إظهار الخلق النبيل والسامي لأهل الإيمان، وأنهم يتعاملون مع

الأمور بمنطق المبادئ والقيم، لا بمنطق الأهواء والغرائز، وردات الفعل.
فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أوضح: أن هناك قبائل قد انضمت إلى قريش لتحارب معها، وتركوا ذراريهم خلفهم بلا حام ولا كفيل. وهذا خطأ فادح، لأن المفروض بالمحارب: أن يحسب حساب عدوه، ولا يدع ماله، وعياله يقعان في معرض الاستباحة!! فها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعرض الأمر على من معه، ويستدرجهم بسؤاله لهم إلى الإعلان بأنهم طوع إرادته، ورهن إشارته، ليرى الناس كيف يعفُّ ويعفو ولا يقدم على أي عمل يتناقض مع مبادئه ودينه رغم قدرته عليه.

من أجل ذلك نقول:

إن موقف المقداد هو الموقف الصحيح، فإن الإعلان بالطاعة ـ خصوصاً ـ في مثل هذه المواقف أمر مطلوب؛ حسبما أوضحناه، كما أنه يدخل الرعب واليأس في قلوب الأعداء، وتضعف توقعاتهم بزعزعة وحدة الذين جاؤوا لحربهم..

أما جواب أبي بكر، فهو يعني: أن في أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» من يتجرأ عليه، ويبادر إلى رسم الطريق له، ويطلب منه أن يكون بأمره، ورهن إشارته ويجعل نفسه في موقع من يعرف الرأي الصائب، ويتوهم أنه قد عرف ما لم يعرفه رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا الأمر يطمع العدو في المسلمين، ويدفعه إلى التفكير في التدخل في سياساتهم، بإلقاء الآراء المختلفة إليهم ليثير البلبلة في أفكارهم، ويلقي الشبهات لديهم في صوابية قرارات القيادة، ومدى إدراكها لما يجب فعله أو يجب تركه. وهذا خلل خطير وكبير تداركه المقداد «رحمه الله»، ورضي عنه وأرضاه.

الشورى في الحديبية:

وقد حاول البعض أن يدَّعي: «أن في عامة تصرفات الرسول «صلى الله عليه وآله»، ما يدل على مشروعية الشورى، وضرورة تمسك الحاكم بها.

وعمل النبي «صلى الله عليه وآله» هنا يدل على طبيعة هذه الشورى، والمعنى الذي شرعت من أجله. فالشورى في الشريعة الإسلامية مشروعة، ولكنها ليست ملزمة. وإنما الحكمة منها استخراج وجوه الرأي عند المسلمين، والبحث عن مصلحة قد يختص بعلمها بعضهم دون بعض، أو استطابة لنفوسهم.

فإذا وجد الحاكم في آرائهم ما سكنت نفسه إليه، على ضوء دلائل الشريعة الإسلامية وأحكامها أخذه، وإلا كان له أن يأخذ بما شاء، شرط أن لا يخالف نصاً في كتاب ولا سنة، ولا إجماعاً للمسلمين..

ولقد وجدنا أن النبي«صلى الله عليه وآله» استشار أصحابه في الحديبية، وأشار عليه أبو بكر بما قد علمت.

قال له: إنك يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه.

ولقد وافقه النبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر، ومضى مع أصحابه، متوجهاً إلى مكة حتى إذا بركت الناقة، وعلم أنها ممنوعة، ترك الرأي الذي كان قد أشير به عليه.

وأعلن قائلاً: والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها.

وحينئذ تحول العمل عن ذلك الرأي الذي أبداه أبو بكر إلى أمر

الصلح والموافقة على شروط المشركين، دون أن يستشير في ذلك أحداً».

إلى أن قال: فهذا «يدل أيضاً على أن الشورى إنما شرعت للتبصر بها، لا للإلزام أو التصويت على أساسها»[1].

ونقول:

إن لنا على هذا الكلام عدة ملاحظات، نذكر منها ما يلي:

١ ـ إنه ليس في تصرفات النبي «صلى الله عليه وآله» ما يدل على ضرورة تمسك الحاكم بالشورى، بل غاية ما تدل عليه: أنه يباح للحاكم أن يمارسها.

٢ ـ إنه ليس في تصرفاته «صلى الله عليه وآله» ما يدل على أن الحاكم ملزم بالأخذ بما يشيرون به عليه، فقد يأخذ بمشورة أحدهم، وقد لا يأخذ بمشورة أحد منهم أصلاً، بل يأخذ برأي نفسه.

٣ ـ إن حكمة ممارسة الشورى لا تنحصر بما ذكره ذلك البعض، بل قد تشمل إظهار نوايا بعض من يدلون بآرائهم فيها، لكي يعرف الناس تلك النوايا، ليمكنهم تمييز المخلص من غيره، والذكي من الغبي، والشجاع من الجبان، و.. و..

٤ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى رأي أحد؛ لأنه عقل الكل، ومدبر الكل، وفوق الكل. ولا يمكن أن يختص أحد بعلم شيء دونه.. فاستشارته للناس لا يمكن أن تكون لأجل معرفة الصواب من الخطأ، أو لأجل علم اختص به سواه.

---

(١) فقه السيرة (ط دار الفكر) ص٣٢٤ و ٣٢٥.

٥ ـ إن من أعظم الموبقات والجرائم في حق النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» هو القول بإمكان أن يأخذ برأي يخالف نصاً في الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، فإن هذا يدل على انتفاء صفة العصمة عنه، ومن موجبات فقد الثقة بما يقول ويفعل..

وهذا القائل الذي نحن بصدد مناقشة كلامه ليس فقط لم يستثن النبي «صلى الله عليه وآله» من هذه المقولة، بل هو قد صرح: بأنه قاصد له فيها، حيث قال بعد حوالي أربع صفحات في إشارة منه إلى عباراته الآنفة الذكر، وموضحاً مراده فيها ما يلي:

«قد علمت فيما سبق: أن تصرفات النبي «صلى الله عليه وآله» لا تكتسب قوة الحكم الشرعي، إلا إذا أقرها الكتاب بالسكوت عليها، أو التأكيد لها. ولقد أقرَّ الكتاب كل بنود المصالحة إلا ما يتعلق برد النساء إلى بلاد الكفر، فلم يقرُّه، وذلك على فرض دخوله في بنود الاتفاقية وشروطها»[1].

على أننا لم نفهم وجهاً لقوله: مخالفة الرسول «صلى الله عليه وآله» للسنة، فإن السنة هي نفس قول النبي «صلى الله عليه وآله» وفعله وتقريره..

كما أننا لم نفهم الوجه في مخالفة النبي «صلى الله عليه وآله» للإجماع، وكيف يمكن أن يتحقق ذلك.

وهذا يسقط الحقيقة التي تقول: إن قول الرسول «صلى الله عليه وآله» وفعله وتقريره حجة بنفسه على العباد، كما أنه يثير الشك والشبهة في ما يصدر عنه «صلى الله عليه وآله»، ويحتاج نفس قوله وفعله إلى مراجعة على

---

(١) فقه السيرة ص٣٢٩.

أهل الاختصاص والاجتهاد لإجراء مقارنة بينه وبين الآيات، والاطلاع على الإجماعات التي قد تكون في حياته، أو تنشأ بعد وفاته، ليتم عرض كلامه عليها، وقياسه عليها!!

٦ ـ وأما ما زعمه هذا القائل: من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخذ برأي أبي بكر أولاً، ثم لما بركت الناقة، وعلم أنها ممنوعة ترك ذلك، وتحول إلى أمر الصلح والموادعة.

فهو غير صحيح: فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شاورهم، وسمع مشورة أبي بكر، ومشورة المقداد، ثم قال: امضوا على بركة الله، فليس في كلامه أية دلالة على ما عقد العزم عليه، بل بقي متمسكاً بقوله: إنه لم يأت لقتال أحد، بل جاء للعمرة وزيارة البيت، وقال: «إن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم ، فإن شاؤوا ماددتهم مدة، أو يخلو بيني وبين الناس، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا الخ..».

فلماذا ينسب هذا الرجل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أمراً لم يكن؟

ولماذا يريد أن يظهر الخطأ والتقلب والاختلاف في مواقف الرسول «صلى الله عليه وآله».. من دون أي شاهد أو دليل إلا ما تنسجه يد التعصب لفريق بعينه، حتى لو أدى ذلك: إلى الاستهانة به «صلى الله عليه وآله»؟!

عباد بن بشر.. وصلاة الخوف:

وقد تقدم أيضاً زعمهم: أن خالداً دنا حتى نظر إلى رسول الله ، فأمر

«صلى الله عليه وآله» عباد بن بشر فتقدم في خيله، فقام بإزاء خالد، فصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى النبي «صلى الله عليه وآله» بهم ركعة، ثم قاموا الخ..»[1].

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك، استناداً إلى ما يلي:

أولاً: إن خالد بن الوليد لا يجرؤ على التقدم إلى حد أن يصف خيله قبالة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذا كان معه مائتا راكب فقط، وكان المسلمون أضعاف هذا العدد..

ثانياً: ما معنى: أن يصل خالد ويصف خيله بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين القبلة؟!

وأين كانت خيل المسلمين في هذه اللحظة؟!

وكيف لم تبادر للوقوف في وجهه بمجرد ظهوره؟!

ولماذا لم تمنعه من أن يصف خيله؟!

ثالثاً: إذا كانت خيل المسلمين بقيادة عباد بن بشر قد اصطفت بإزاء خالد، فمعنى ذلك: أن المسلمين ملتفتون إلى عدد أفراد من معه، عارفون بمواقعه، مراقبون له.

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢١١ عن عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والدارقطني، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي عياش الزرقي.

وفي الدر المنثور: عن الترمذي وصححه، وابن جرير عن أبي هريرة، وفي الدر المنثور أيضاً ج٢ ص٢١٣ عن البزار، وابن جرير، والحاكم وصححه عن ابن عباس.

فما معنى قول خالد، حين رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يصلي بمن معه: «قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم، أصبنا منهم»؟.

رابعاً: أين كان علي بن أبي طالب «عليه السلام» عن ساحة القتال آنئذٍ؟!

ولماذا قدم النبي «صلى الله عليه وآله» عباد بن بشر، ولم يقدم علياً، الذي كانت تخشاه قريش كل الخشية؟!

ألم يكن علي «عليه السلام» هو القائد العام في تلك الغزوة، كما كان في غيرها؟!

خامساً: إن الآية القرآنية تقول: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لله قَانِتِينَ﴾[1]، وعلى هذا الأساس نقول:

ما معنى قولَ خالد عن صلاة العصر: إنها أحب إلى المسلمين من أنفسهم وأبنائهم؟!

فهل أمر الله للناس بالمحافظة على الصلاة الوسطى يجعل هذه الصلاة أحب إلى المسلمين من أنفسهم وأموالهم، ثم تصبح الصلوات الأخرى أقل أهمية من هذه الصلاة؟!..

سادساً: ما معنى: أن يركع النبي «صلى الله عليه وآله» بهم ركعة، ويسجد ويسلم في صلاة الظهر؟! فهل أصبحت صلاة الظهر ركعة واحدة؟! أم أن هذه هي صورة صلاة الخوف؟!

وإذا كانت صلاة الخوف، فما معنى قولهم: إن آية صلاة الخوف قد

---

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة.

نزلت في صلاة العصر، لا في صلاة الظهر؟!

سابعاً: بالنسبة لنزول آية صلاة الخوف في هذه المناسبة نقول:

إن هناك روايات تعارض الرواية المذكورة، فقد:

١ ـ روي عن سليمان اليشكري: أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة، أي يوم أنزل؟!

فقال جابر بن عبد الله: وعير قريش آتية من الشام، حتى إذا كنا بنخل جاء رجل من القوم الخ[1].

٢ ـ عن ابن عباس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد صلى صلاة الخوف يوم بطن نخلة[2].

قال ياقوت الحموي: بطن نخل: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة[3].

٣ ـ وعن ابن عباس أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد صلاها بذي قرد.. [4] وقد تقدم ذلك.

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢١١ عن ابن جرير، وعبد بن حميد، وشرح معاني الآثار ج١ ص٣١٧ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١٣٦ وجامع البيان ج٥ ص٣٣٤ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٢٧.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢١٢ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والمعجم الكبير ج١٢ ص١٩٥ وجامع البيان ج٥ ص٣٤٤.

(٣) معجم البلدان ج١ ص٤٤٩ وتفسير كنز الدقائق ج٢ ص٦٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٤٢٣ ومعجم قبائل العرب ج١ ص٢٢.

(٤) الدر المنثور ج٢ ص٢١٢ عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه.

٤ ـ عن عائشة، وعن صالح بن خوات، عمن صلى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلاها في غزوة ذات الرقاع[1].

وهذا هو المروي عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»[2].

٥ ـ عن جابر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صلاها وهو محاصر بني

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢١٢ عن أبي داود، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي، ومالك، والشافعي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، والدارقطني ودعائم الإسلام ج١ ص١٩٩ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٥١٦ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٠ وعوالي اللئالي ج٢ ص٦٢ والبحار ج٢٠ ص١٧٦ و ١٧٨ وج٨٣ ص١١٢ واختلاف الحديث ص٥٢٧ ومسند أحمد ج٦ ص٢٧٥ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٦٥ وشرح صحيح مسلم ج٦ ص١٢٨ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٢١ و ٣٢٦ و ٣٢٧ والديباج على مسلم ج٢ ص٤٢٥ وعون المعبود ج٤ ص٨١ والمصنف للصنعاني ج٢ ص٥٠٣ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٠٣ وصحيح ابن حبان ج٧ ص١٢٤ ونصب الراية ج٢ ص٢٩٤ و ٢٩٥ وموارد الظمآن ص١٥٥ وكنز العمال ج٨ ص٤١٩ وإرواء الغليل ج٢ ص٢٩٢ وجامع البيان ج٥ ص٣٤١ وأحكام القرآن ج١ ص٥٤٤ وج٢ ص٣٣٠ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣٦٨ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٦٠ وأسد الغابة ج١ ص٢٢ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٢٩١ و ٢٩٣ والثقات ج١ ص٢٥٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٢٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٤٢٤ و ٦٠٧ وإعلام الورى ج١ ص١٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨٠ و ١٨١ و ١٨٥ وج١٢ ص٦٠.

(٢) تفسير البرهان ج١ ص٤١١ عن من لا يحضره الفقيه.

محارب بنخل[1].

وبعدما تقدم نقول:

كيف يصح قول مجاهد: إنه «صلى الله عليه وآله» صلى صلاة الخوف بعسفان، والمشركون بضجنان، «فلم يصل رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الخوف قبل يومه ولا بعده»؟![2].

وكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما ورد في تلك الرواية، من أن صلاة الخوف قد نزلت في غزوة الحديبية سنة ست؟!

ثامناً: إننا إذا أردنا أن نلزم هؤلاء الناس بما ألزموا به أنفسهم، فإننا نقول:

إنهم هم أنفسهم قد صرحوا: بأن صلاة الخوف قد نزلت في السنة السابعة[3]، أي بعد غزوة الحديبية، بسنة. فما معنى دعواهم هنا: أنها شرعت ونزلت الآية في غزوة الحديبية..

تاسعاً: إن دعواهم: أن صلاة العصر كانت أحب إلى المسلمين من

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢١٣ عن الدارقطني وص٢١٤ عن ابن جرير، وابن أبي شيبة.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢١٤ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير، والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٣٥٠.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢١٤ عن أحمد، ومسند أحمد ج٣ ص٣٨٤ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٥١ ومجمع الزوائد ج٢ ص١٩٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٢٤ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨١ وج٨ ص٢٥٢ وج٨ ص٢٥٢ وج١٢ ص٦٣.

أنفسهم وأبنائهم، لم نجد ما يثبتها في التاريخ العملي، الذي يمكّن خالداً من انتزاع هذه الصورة عنهم، والتصريح بها أمام جيشه..

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كانت آية: ﴿**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى..**﴾ هي المنشأ لما قاله عن صلاة العصر، فإننا نقول:

إن المروي عن أهل البيت «عليهم السلام» هو: أن المقصود بالصلاة الوسطى هو: صلاة الظهر[1].

وإذا أخذنا بالرواية التي تقول: إن الإمام الصادق، وكذلك الإمام الباقر «عليهما السلام» قد قرأ: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين»[2].

فأضاف «عليه السلام» كلمة «وصلاة العصر» لأجل التفسير والبيان، وربما ليعلمنا: بأن هذا التفسير قد أنزله الله تعالى، وليس قرآناً، بل هو بمثابة الحديث القدسي، الذي هو من عند الله تعالى، ولكنه ليس من القرآن..

فنقول:

إن هذه الرواية تجعل صلاة الظهر في مستوى صلاة العصر، فما معنى كونها أحب إلى المسلمين من أنفسهم وأبنائهم؟!.

الرواية الأقرب إلى الاعتبار:

ولعل الرواية الأقرب إلى الإعتبار هي: تلك التي رواها علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الإمام الصادق «عليه السلام»:

---

(١) راجع: تفسير البرهان ج١ ص٢٣٠ و ٢٣١.

(٢) تفسير البرهان ج١ ص٢٣١ عن تفسير القمي والعياشي.

أنها نزلت لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الحديبية، يريد مكة.

فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس، كميناً، يستقبل رسول الله ، فكان يعارض النبي «صلى الله عليه وآله» على الجبال.

فلما كان في بعض الطريق، وحضرت صلاة الظهر، فأذن بلال، فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالناس، فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم، وهم في الصلاة لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، ولكن تجيء لهم الآن صلاة أخرى، وهي أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا في الصلاة أغرنا عليهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصلاة الخوف في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ..﴾ الآية[1].

فليس في هذه الرواية أي شيء مما أوجب الإشكال على الرواية الأخرى التي ناقشناها آنفاً.. سوى هذه العبارة الأخيرة، التي قد يفهم منها أن الآية قد نزلت وأن تشريع صلاة الخوف قد حصل في هذه المناسبة.. مع أن هناك رواية عن أهل البيت «عليهم السلام» تصرح: بأن ذلك قد كان في غزوة ذات الرقاع[2].

ويمكن تجاوز هذا الإشكال إذا كان المراد: أن جبرئيل «عليه السلام» قد نزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بنية المشركين، وأن

(١) البرهان (تفسير) ج١ ص٤١١.

(٢) راجع البرهان (تفسير) ج١ ص٤١١ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٩٣ ووسائل الشيعة ج٥ ص٤٧٩ والكافي ج٣ ص٤٥٦ وتهذيب الأحكام ج٣ ص١٧٢.

تكليفك يا محمد الآن هو: أن تعمل بالآية المباركة التي أنزلناها عليك في غزوة ذات الرقاع.. وليس المراد أن تشريع هذه الصلاة قد بدأ في الحديبية.

ولكن يبقى التساؤل الذي سجلناه حول قول خالد، عن صلاة العصر: إنها أحب إليهم من ضياء عيونهم.. فما هذه الخصوصية لصلاة العصر، ومن الذي عرَّف خالداً هذا الأمر عن المسلمين. هذا ما لم نستطع أن نهتدي إلى وجهه. والله هو العالم بالحقائق.

إتساع الثنية للمسلمين:

وقد لوحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أوضح للناس، أو أظهر في العديد من المواضع: الرعاية الغيبية لهم، وأخبرهم بالعديد من القضايا التي لا تعرف إلا بالإخبار الإلهي، والتوقيف.. مثل ما تقدم، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر المسلمين: أن قريشاً لن ترى نيرانهم حين جاوز ثنية ذات المرار، وقد تقدم الحديث عن أن ثنية الحنظل قد اتسعت للمسلمين، فكانت فجاجاً لاحبة (أي واسعة)، بعد أن كانت ضيقة مثل الشراك.

وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ذكر لهم: أن هذه الثنية مثل باب حطة لبني إسرائيل، وأخبرهم عن رجل لم يكن من المسلمين، وهم يظنونه مسلماً مثلهم، وهو موجود بينهم. وغير ذلك مما تقدم.

فإن ذلك كله وسواه مما ذكرناه في الفصل السابق ومما سيأتي، ما هو إلا توطئة للتقليل من وقع المفاجأة التي سوف يسقط فيها الكثيرون، وذلك حين يظهر لهم: أنه سوف لن يدخلوا المسجد في عامهم هذا.. وأنهم قد أخطأوا حين ظنوا: أن ما أخبرهم به النبي «صلى الله عليه وآله» سوف

يتحقق في نفس هذا المسير..

وقد فاجأهم هذا الأمر، إلى حد: أنهم امتنعوا من طاعة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالإحلال في مواضعهم، والتأهب للعودة كما سنرى..

ولعله لولا ما رأوه من مزيد عناية الله تعالى بهم، ومن معجزات وكرامات إلهية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لتجاوز الأمر حدود الشك إلى ما هو أعظم وأدهى، وأشر وأضر على دينهم ويقينهم.

النبي ﷺ عارف بالأمور ويستعين بالعارفين:

تقول النصوص: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبرهم بأن خالد بن الوليد قد وصل في خيل لقريش إلى الغميم ـ طليعة لقريش ـ ولم يظهر من إخباره هذا أنه قد تلقى ذلك من العيون.. وإن كان ذلك محتملاً ـ ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد سلك طرقاً معينة استطاع باختياره لها أن يفاجئ خالد بن الوليد، حتى لتقول الرواية: «فوالله، ما شعر بهم خالد، حتى إذا هم بقترة ـ أي بغبار ـ الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش».

وهذه المفاجأة من شأنها أن ترهب خالداً ومن معه، وأن تربكهم بحيث يفلت زمام المبادرة من يدهم..

وقد ظهر مما تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بالمسالك، مطَّلعاً على المفاوز، بأسمائها ومواصفاتها، فهو يأمر أصحابه بسلوك فجاج معينة، ويوجه مسيرتهم في اتجاهات محددة، ولكنه مع ذلك يطلب من بريدة أن يكون هو الدليل للناس. ويحمل هذا التصرف من الدلالات والمعاني ما لا يخفى..

هل كان النبي ﷺ رحيماً بالمشركين؟!:

لكن رواية سلوك المسلمين إلى ثنية ذات الحنظل قد تضمنت فقرة نرى أنها مقحمة في الرواية، لأسباب لا تخفى، فقد قالت الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه:

اسلكوا ذات اليمين بين ظهور الحمض، فإن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة.

«كره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يلقاه، وكان بهم رحيماً».

ونقول:

صحيح أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان رحيماً، ولكن بالمؤمنين. أما المشركون المحاربون لله ولرسوله ولدينه، فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان شديداً عليهم. ولا يتساهل معهم، إلا بمقدار ما يكون ذلك ضرورياً لدفع أذاهم عن أهل الإيمان، وتأليفهم على الإسلام. وقد وصف تعالى المؤمنين بقوله: ﴿.. أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ..﴾[1].

فما معنى حشر هذه الكلمة المنسوبة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الموضع؟!

ثم إن من الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يأت قريشاً محارباً، وإنما جاء معتمراً، محرماً، فلا مكان للحديث عن الرحمة لقريش..

كما أن الاستفادة من عنصر المفاجأة من شأنه أن يسقط مقاومة العدو، ويضيِّع عليه فرصة تسديد ضربته، ويجعله في حالة ضياع وارتباك. ومن

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الفتح.

شأن هذا: أن يحفظ للمسلمين هيبتهم وقوتهم، وهيمنتهم، ويصون لهم سلامتهم.

ومن جهة ثالثة: إن خالداً ومن معه ـ أنفسهم ـ كانوا يعرفون أن لقاء المسلمين في ساحة الحرب لن يكون في مصلحتهم، خصوصاً بملاحظة الفارق الكبير في حجم القوة فيما بين الفريقين، فإن المسلمين كانوا أضعاف المشركين، وفيهم علي «عليه السلام» الذي عرفوه في بدر، وفي أحد، والخندق، و.. فهل تراهم يجازفون بأرواحهم في مثل هذه الأحوال؟!

إن غاية ما تستطيع هذه الطليعة فعله هو مشاغلة المسلمين لبعض الوقت، وإعاقة حركتهم إلى أن تأتي قريش وحلفاؤها إلى نجدتها..

بنو إسرائيل، وباب حطة:

وقد رووا أيضاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطى ثنية ذات المرار صفة باب حطة الذي كان لبني إسرائيل، وأن من يصعدها يحط عنه ما يحط عن بني إسرائيل. وأنه لا يجوز أحد في تلك الليلة هاتيك الثنية إلا غفر له.. وأنه قد غفر للركب أجمعين إلا رويكباً واحداً على جمل أحمر الخ..

ونقول:

إن لنا تساؤلات ههنا لابد من طرحها، نذكر منها ما يلي:

١ ـ لقد قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ، فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ**

ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[1].

وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله»: أن كل ما كان في الأمم السالفة سيكون في هذه الأمة مثله.

وفي نص آخر: لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخل أولئك جحر ضب لدخل هؤلاء فيه.

وفي بعض الروايات: لا تخطئون طريقهم، ولا يخطئكم سنة بني إسرائيل[2].

---

(١) الآيتان ٥٨ و ٥٩ من سورة البقرة.

(٢)راجع هذه الأحاديث في: البحار ج٥ ص٢٢ وج١٣ ص١٨٠ وج٢٢ ص٣٩٠ وج٢٤ ص٣٥٠ وج٢٨ ص٧ و ٣٠ و ٢٨٢ و ٢ وج٢٩ ص٤٥٠ وج٣٦ ص٢٨٤ و ج٥١ ص٢٥٣ وج٥٢ ص١١٠ وج٥٣ ص٧٢ و ١٤١ والتاج الجامع للأصول ج١ ص٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٣ وإعلام الورى ج٢ ص٩٣ والسيرة النبوية ج٣ ص٦١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣١٤ واللمعة البيضاء ص٣٩٦ ودعائم الإسلام ج١ ص١ والإيضاح ص٤٢٦ والمسترشد ص٢٢٩ وأمالي المفيد ص١٣٥ والصراط المستقيم ج٣ ص١٠٧ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٨٥ وراجع: المستدرك للحاكم ج٤ ص٤٥٥ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٣٤ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٨٦ والجامع الصغير ج٢ ص٤٠١ وكنز العمال ج١١ ص١٣٤ وتفسير العياشي ج١ ص٣٠٣ ومجمع البيان ج٧ ص٤٠٥ وج١٠ ص٣٠٨ والتفسير الصافي ج٢ ص٢٦ ونور الثقلين ج١ ص٦٠٦ ومسند أحمد ج٣ ص٧٤ والإعتصام بالكتاب والسنة ج٨ ص١٥١ و ٥٧ والميزان (تفسير) ج٢ ص١٠٨ وج٣ ص٣٨٠ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ =

وفي رواية أخرى: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خرج إلى خيبر (وفي حديث إلى حنين) مر على شجرة، يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم.

فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم[1].

وهذا معناه: أن موضوع باب حطة المذكور هنا سيقع مشابهاً لما كان في بني إسرائيل، حيث تذكر الروايات: أن بني إسرائيل قد أخطأوا خطيئة، فأحب الله أن ينقذهم منها، إن تابوا، فقال لهم:

إن انتهيتم إلى باب القرية، فاسجدوا وقولوا حطة. تنحط عنكم خطاياكم.

= ص٢٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٧٣ وج٨ ص٩٧ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٦٤ وج٤ ص٥٢٣ والدر المنثور ج٦ ص٥٦ والتاريخ الكبير ج٤ ص١٦٣ والثقات ج٦ ص١٩١ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٤٦.

(١) عولي اللآلي ج١ ص٣١٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٦٦ ومسند أحمد ج٥ ص٢١٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٩٤ والصراط المستقيم ج٣ ص١٠٧ وسنن الترمذي ج٣ ص٣٢٢ وسنن أبي داود الطيالسي ص١٩١ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٣٦٩ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٣٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٤٦ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٣٠ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص٢٤٣ و ٢٤٤ والبيان في تفسير القرآن ص٢٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٩٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٦١٦.

فأما المحسنون، ففعلوا ما أمروا به.

وأما الذين ظلموا فزعموا: «حنطة حمراء» الخ..»[1].

أي أنهم بدل أن يقولوا: حطة.

قالوا: حنطة حمراء، تجاهلاً واستهزاءً.

والمراد بقولهم: «حطة» هو: حط عنا ذنوبنا يا الله.

وتطبيق ذلك على أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، معناه: أن جماعة الخلص من المؤمنين هم الذين أطاعوا الله ورسوله في قضية الحديبية، أما الذين ظلموا فبدَّلوا قولاً غير الذي قيل لهم، ولم يقبلوا ما جاءهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستخفوا به. فإعطاء وسام المغفرة للجميع لا يتلاءم مع ما أخبر الله ورسوله به من أن قوم النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يفعلون مثل فعل بني إسرائيل..

٢ ـ إن من الواضح: أن مجرد مسيرهم وفق دلالة الدليل، ووصولهم إلى ثنية المرار لا يكفي لاعتبار ذلك بمثابة باب حطة. بل هذا بمثابة خروج بني إسرائيل من أرض التيه، ونجاتهم منها..

---

(١) البحار ج٩ ص١٨٥ وج١٣ ص١٨٠ و ١٨١ و ١٨٣ و ١٨٧ عن قصص الأنبياء وراجع: مجمع البيان ج١ ص١١٨ ـ ١٢٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص٣١٤ وفتح الباري ج٨ ص٢٢٩ وتفسير الإمام العسكري ص٢٦٠ و ٥٤٥ ومجمع البيان ج١ ص٢٣٠ وجوامع الجامع ج١ ص١٨٠ والتفسير الصافي ج١ص١٣٦ والتفسير الأصفى ج١ ص٣٩ وكنز الدقائق ج١ ص٢٥٥ وجامع البيان ج١ ص٤٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٠٣ والدر المنثور ج١ ص٧١ والبداية والنهاية ج١ ص٣٧٩ وقصص الأنبياء للجزائري ص٢٩٩.

فلابد أن يتعرضوا لامتحان يشبه ما تعرض له بنو إسرائيل، فإذا اجتازوه، استحقوا المغفرة للخطايا، تماماً كما استحقها الذين أمروا بأن يدخلوا باب حطة سجداً، وأن يطلبوا حط الذنوب عنهم. وهذا ما لم يحصل من المسلمين بعد، فلماذا يبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويمنحهم هذه المغفرة؟! في حين أن المغفرة تحتاج إلى التوبة، ولم يظهر منهم بعد الذنب، ما يدل على التوبة، أو يشير إليها.

٣ ـ لقد كان بين المسلمين أيضاً أناس من المنافقين، وقد اعتبروا عبد الله بن أبي كان رأسهم وقد حضر أيضاً الحديبية، فهل غفر الله له أيضاً؟! كما هو صريح العبارة المؤكدة على أن المغفرة قد نالت كل الحاضرين بدقة تامة، باستثناء رجل واحد، هو راكب الجمل الأحمر؟!

ويدل على حضور ابن أُبي في غزوة الحديبية قولهم: إن قريشاً بعثت في الحديبية إلى أُبي بن سلول، إن أحببت أن تدخل فتطوف في البيت، ففعل، فقال له ابنه عبد الله: يا أبت أذكرك الله ألا تفضحنا في كل موطن؛ تطوف، ولم يطف رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فأبى حينئذٍ، وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي لفظ: إن لي في رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسوة حسنة.

فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتناعه (رض) أثنى عليه بذلك[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٨ وستأتي بقية المصادر لذلك إن شاء الله تعالى.

كما أن الجد بن قيس كان في ذلك الجمع أيضاً. وكان يرمى بالنفاق، وقد قالوا: إنه نزل في حقه في غزوة تبوك ما يدل على نفاقه.

بل هم يقولون: إنه حين جرت بيعة الرضوان تخلف عنها، ولم يتخلف عنها غيره.

قال بعض من حضر: كأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته، يستتر بها من الناس[1].

فلماذا لم يستثنه النبي «صلى الله عليه وآله» ممن غفر له من الحاضرين في الحديبية؟!

بل إننا نلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد أخذ البيعة في الحديبية من بعض من حضر ثلاث مرات.. أو مرتين كما كان الحال بالنسبة لسلمة بن الأكوع وغيره..

والبعض.. وإن كان يعتبر ذلك فضيلة لسلمة، ويظنه تنويهاً بشجاعته التي أظهرها في غزوة ذي قرد..

إلا أننا نشك كثيراً في صحة هذا التعليل، فإنهم يقولون: إن كثيرين من الصحابة كانوا أفضل من ابن الأكوع، ولأجل ذلك هم لا يرضون بتفضيل ابن الأكوع على ما يدَّعون أنهم العشرة المبشرون بالجنة، وهم يرون: أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً «عليه السلام»، أفضل من سلمة بن الأكوع بمراتب.

وأما شجاعة سلمة.. فلا شك في أنها لا تصل إلى مستوى شجاعة أبي

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ وستأتي مصادر أخرى لذلك إن شاء الله.

دجانة، أو زيد بن حارثة، أو ابن رواحة، أو الزبير، أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام». فلماذا خصه النبي «صلى الله عليه وآله» بأخذ البيعة منه ثلاث مرات دون هؤلاء، ودون غيرهم، من أصحاب المواقف المشهورة؟!

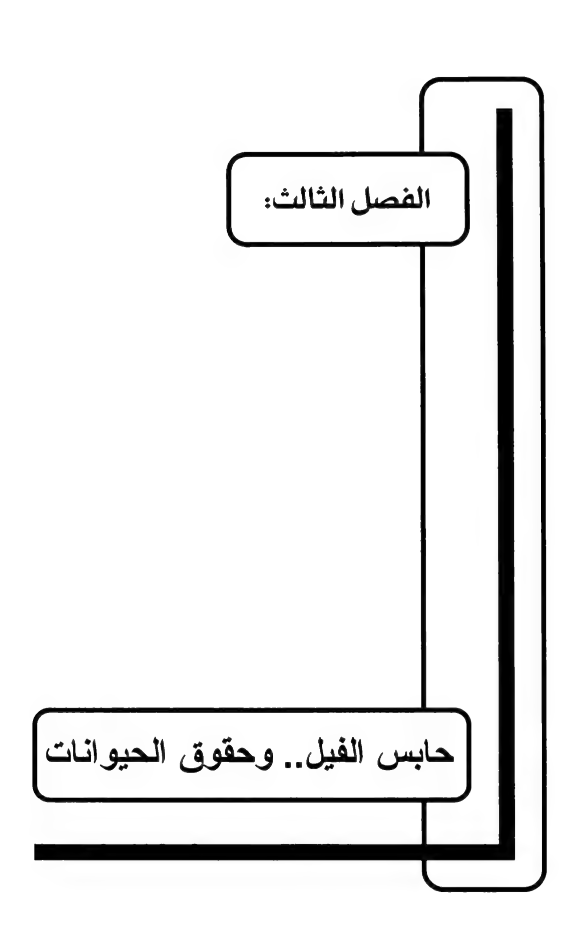
على أننا قد قدمنا: أن ما يذكرونه عنه في غزوة ذي قرد لا يصح، والشواهد كلها على خلافه..

من أجل ذلك كله وسواه نقول: إننا لا نجد تفسيراً مقبولاً أو معقولاً لطلب البيعة منه أكثر من مرة. إلا أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتخوف من نكثه، فأراد أن يحرجه بذلك أمام المئات من صحابته.. وأن يشير له: بأنه «صلى الله عليه وآله» عالم بدخيلة نفسه، فعليه أن يلزم حده، ويقف عنده.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

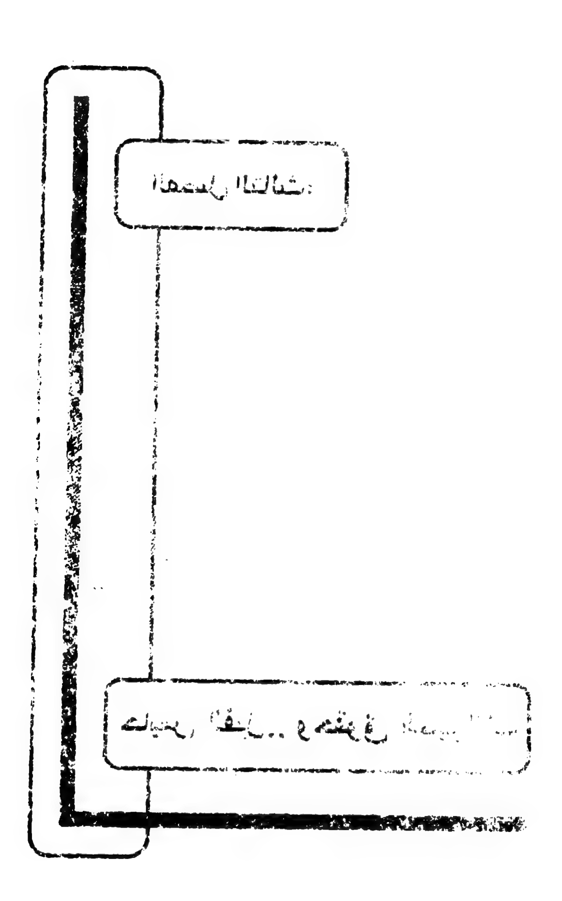
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



الفصل الثالث:

حابس الفيل.. وحقوق الحيوانات


الفصل الثالث

بداية:

لسوف نتحدث في هذا الفصل عن الاختيار الإلهي لموضع الحديبية، وحبس الله ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هناك، ومنعها من مواصلة سيرها، ثم نتبع ذلك بفصول تُعنى بمتابعة الأحداث التي سبقت ورافقت ولحقت كتابة المعاهدة المعروفة بـ «صلح الحديبية».. التي اعتبرها الله سبحانه فتحاً مبيناً، ونصراً مؤزراً..

وسوف نحاول أن لا يكون حديثنا ذا اتجاه واحد، أي أننا لا نريد أن نستغرق في بيان الحيثيات، والدوافع، والنتائج السياسية لمعاهدة الهدنة، كما أننا لا نريد الاكتفاء بسرد الأحداث، وفقاً لما ورد في الروايات الحديثية والتاريخية.. بل نريد أن نعزز ذلك أيضاً بالإشارة إلى كل ما يستفاد من حركة الأحداث التي سبقت، ورافقت، ثم لحقت هذا الحدث الهام. سواء في ذلك، ما له مساس بالنواحي العقائدية، أم السلوكية، أم التاريخية، وغير ذلك.

بالإضافة إلى محاولة كشف مواقع الزيف والتزوير في المواضع المختلفة، بالمقدار الذي يسمح به المجال.

فمن أجل ذلك نورد بعض النصوص المتوفرة لدينا وفق ما هي عليه في مصادرها.

ثم نعقب ذلك ببعض التوضيحات، أو التصحيحات، أو الإثارات التي نحسب أنها ستكون مفيدة وسديدة إن شاء الله تعالى..

فنقول:

خلأت القصواء:

قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سار من المدينة، فلما دنا من الحديبية وقعت يدا راحلته على ثنية تهبط في غائط القوم[1]، فبركت راحلته، فقال ـ وفي رواية: فقال الناس ـ: حَلْ، حَلْ.

فأبت أن تنبعث، وألحت، فقال المسلمون: خلأت القصواء[2].

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما خلأت القصواء؛ وما ذاك لها بعادة.

وفي لفظ: بخلق. ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة.

ثم قال: والذي نفس محمد بيده، لا يسألوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها.

ثم زجرها، فقامت، فولى راجعاً عوده على بدئه.

وفي رواية: فعدل عنهم، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد، ظَنُون، قليل الماء الخ..[3].

---

(١) الغائط: المكان المطمئن الواسع.

(٢) خلأت الناقة: يراد: أنها حرنت، كما تحرن الفرس.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١ و ١٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) (ط دار الكتاب العربي) ص٣٦٧ والسيرة النبوية =

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، هي التالية:

الحجة البالغة:

لقد ظهرت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسيره هذا معجزات، وكرامات إلهية وقد رآها، وعاش أجواءها جميع الذين كانوا معه في ذلك المسير، وكلها تدل: على أن الله تعالى يرعى نبيه «صلى الله عليه وآله»،

= لدحلان ج٢ والمنتظم ج٣ ص٢٦٨ وجوامع السيرة النبوية ص١٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ ق٢ ص٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٤ والمواهب اللدنية (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٦٧ و ٢٦٨ وفي هامشه عن سنن أبي داود رقم الحديث ٢٧٦٥ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٢ و ٥٩١ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٤ و ٣١٥ والكامل في التاريخ ج٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٩٦ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٨ وعن فتح الباري ج٨ ص٢٤٣ وعون المعبود ج٧ ص٣١٦ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٣ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٨ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٠ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٤ و ٤٨٩ وإرواء الغليل ج١٠ ص٥٥ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٥ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٥ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٧ وزاد المسير ج٧ ص١٦٠ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ والثقات ج١ ص٢٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٨.

ويسدده في ما هو بصدده، وهي تقطع لمن كانوا معه، ولغيرهم كل عذر، وتزيل عنهم كل شبهة وريب، وتفرض عليهم التسليم والانقياد له «صلى الله عليه وآله».

ولكن ما جرى لناقة النبي«صلى الله عليه وآله»، حسبما ذكرناه آنفاً، قد جاء ليعالج الأمر بطريقة مختلفة، وضعت فيها النقاط على الحروف، وانتقل من التلميح إلى التصريح، في نفس الأمر الذي عصاه فيه أصحابه «صلى الله عليه وآله».

فإن الفيل الذي حبس، في قضية أبرهة عند دخول مكة يستجيب لأمر حابسه، وهو الله سبحانه، كما أن أمر الله هو الذي حبس ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الاستمرار في السير لدخول مكة فكان ما أراده سبحانه..

فما معنى إصرار أصحابه «صلى الله عليه وآله» على الدخول في أمر تدخَّل الله مباشرة لمنعه، وإلغائه.. فإن هذا الإصرار منهم يُدخل تصرفهم هذا في عداد التمرد السافر على الله تعالى، بعد البيان الصادق، والتأكيد المتلاحق، تلميحاً تارة، وتصريحاً أخرى، بالقول وبالعمل والممارسة..

وهذا معناه: أنه لم يكن هناك أي مبرر لامتناع الأصحاب عن إطاعة أمر الله تعالى لهم بالإحلال من إحرامهم، بالحلق أو التقصير، والرجوع، حتى انتهى الأمر، بافتضاح المتمردين على أمر الله ورسوله أيما فضيحة..

ويزيد من قباحة فعلهم هذا: أنهم بإحرامهم للعمرة إنما يعلنون، بصورة عملية: أنهم بصدد طاعة الله سبحانه، وأنهم زاهدون في هذه الدنيا، ولا تهمهم أنفسهم، وأنهم تائبون من كل ما بدر منهم من ذنوب، مستسلمون إلى الله

سبحانه في كل ما يختاره لهم، فما معنى أن يعودوا للتمرد عليه وعلى رسوله؟! وما معنى أن يعصوا أوامره؟! وأن يشكوا في دينهم شكاً لم يشكوا مثله قبل ذلك، ولا بعده، كما صرح به بعضهم؟!

وكيف يطيعون رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسير للعمرة، ولا يطيعون أمره في الإحلال منها؟!

والذي يزيد الأمر خطورة وتعقيداً، أن المسلمين حتى حين أحلوا وحلقوا رؤوسهم، قد ظهر منهم أنهم كانوا مرغمين على هذا الإحلال، حتى إنهم حين كانوا يحلقون رؤوس بعضهم كاد بعضهم أن يقتل بعضاً بالجراحات، من شدة غمهم وارتباكهم، وعظيم غيظهم..

ولا شك بأن قرار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هو السبب فيما حدث لهم من هم وغم، وأن غضبهم كان منه «صلى الله عليه وآله»، حيث لم يرضوا بما رضيه الله ورسوله لهم.

فأين هذا من قول زينب صلوات الله وسلامه عليها في مناسبة ما جرى على أقدس الخلق، وهو الإمام الحسين «عليه السلام» ومن معه، وصحبه في كربلاء: «رضا الله رضانا أهل البيت».

وحين سألها ابن زياد كيف رأيت صنع الله بأخيك، قالت: ما رأيت إلا جميلاً، وغير ذلك كثير..

فيا ساعد الله قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على هذا المصاب الجلل، الذي أظهر بوضوح: كيف أنه ما أوذي نبي بمثل ما أوذي «صلى الله عليه وآله».

ومن جهة أخرى: فإن الله سبحانه قد صرح: بأن من جملة أسباب منع

المسلمين من دخول مكة على حال الحرب، هو وجود أناس مؤمنين في مكة، لم يكن المسلمون يعرفون بإيمانهم، وكان دخولهم مكة سوف يلحق الضرر بهم.

قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[1].

مقارنة.. واستنتاج:

قد قرأنا في حديث هجرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»: أنه لما هاجر إلى المدينة، ودخلها، اعترض بنو سالم طريقه، وطلبوا منه أن يقيم عندهم، فقال لهم «صلى الله عليه وآله» مشيراً إلى ناقته:

«خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، وقال أيضاً مثل ذلك لبني بياضة، وبني ساعدة، وبني الحارث بن الخزرج، وبني النجار.. فلما بركت عند باب مسجده «صلى الله عليه وآله» في مربد لغلامين من بني النجار، نزل عنها، وبنى هناك مسجده»[2].

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٦١ والبحار ج١٩ ص١٢٣ والغدير ج٧ ص٢٧٠ والثقات ج١ ص١٣٤ وأسد الغابة ج٢ ص٣٦٨ والإصابة ج٣ ص١٧٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص١١٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٤٣ وعن عيون الأثر ج١ ص٢٥٥ وراجع حديث الهجرة في أي كتاب تاريخي شئت.

وهذا يعطي: أن هناك حيوانات لها خصوصيتها، ولها مهماتها، التي رصدها الله تعالى لها.. فتأتيها الأوامر بتلك المهام، فتنفذها بدقة، بالطرق التي يسرها لها الله تعالى.

وقد كانت ناقة الرسول «صلى الله عليه وآله» التي هاجر عليها، والتي ركبها في الحديبية من هذا النوع المميز والكريم.

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، لم يقل: إنها مأمورة، بل قال: حبسها حابس الفيل، وقصة ذلك الفيل هي التالية:

حابس الفيل:

روى أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله «عليه السلام» ما جرى بين عبد المطلب وأبرهة، وفيه: «..فردت عليه إبله، فانصرف عبد المطلب نحو منزله، فمر بالفيل في منصرفه، فقال له: يا محمود.

فحرك الفيل رأسه.

فقال له: أتدري لم جاؤوا بك؟!

فقال الفيل برأسه: لا.

فقال عبد المطلب: جاؤوا بك لتهدم بيت ربك، أفتراك فاعل ذلك؟!

فقال برأسه: لا.

فانصرف عبد المطلب إلى منزله، فلما أصبحوا غدوا الخ..»[1].

---

(١) البحار ج١٥ ص١٥٨ و ١٥٩ والكافي ج١ ص٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ وشرح أصول الكافي ج٧ ص١٧٩ و ١٨٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٥٦ ونور الثقلين ج٥ ص٦٧٠.

لماذا شبهها بقضية حبس الفيل؟!:

وإن إشارته «صلى الله عليه وآله»، إلى الفيل، وإلى حابسه تعطينا:

أولاً: إن الله تعالى هو الذي تولى منعه عن دخول مكة، وليس المانع هو الخوف من قريش.

ثانياً: لقد كان المطلوب هو أن يدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مكة بصورة لا ينشأ عنها أية مشكلة.. حتى لو كان دخوله حقاً له، وحتى لو ظلموه بمنعه عن ممارسة هذا الحق..

فالدخول الذي ينتهي بالقتال وكسر حرمة البيت مرفوض، حتى لو كان المانع من هذا الدخول ظالماً..

وقد حبس الله الفيل ليشير إلى حرمة هذا البيت، ولتقوم الحجة بذلك على أبرهة ومن معه الذين ينكرون حرمته، ويسعون لإسقاطها، حتى إذا أهلكهم الله تعالى أهلكهم عن بينة.

ثالثاً: لقد كان حبس ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من موجبات زيادة يقين أهل الإيمان، ومن موجبات تعظيمهم بيت الله سبحانه، وتأكيد حرمته في قلوبهم..

ونوضح ذلك كما يلي:

لقد ذكرت الروايات: أنه لما بركت ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وادَّعى أصحابه أنها حرنت.. رد عليهم «صلى الله عليه وآله» بالإشارة إلى أن لكل ناقة خُلقاً، وأن ذلك ليس لها بخُلق، ثم صرح: بأن السبب إلهي غيبي، وهو: أن حابس الفيل هو الذي حبسها.

أهمية قصة الفيل:

ونريد أن نتوقف قليلاً عند هذه الإشارة النبوية المباركة والهادية، لنطل منها على بعض اللمحات في قضية أصحاب الفيل.. فنقول:

إن هذه القضية قد أصبحت مفصلاً تاريخياً هاماً لدى الإنسان العربي، والمكي بصورة خاصة، وقد كان لها عميق التأثير في روحه وفي وجدانه. حتى جعلها مبدءاً لحساب التاريخ للمواليد، وللأحداث الصغيرة والكبيرة، والحقيرة والخطيرة.

وعام الفيل هو العام الذي ولد فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأرخ به مولده «صلى الله عليه وآله»، وذلك في السابع عشر من شهر ربيع الأول.

وقد خلد القرآن هذا الحدث الفريد في سورة قرآنية، اسمها سورة الفيل، وهي التالية:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1].

والأبابيل: هي الفِرَق أو الجماعات المتفرقة زمرة زمرة. وهي جمع لا واحد له..

وطير أبابيل: أي فرق متتابعة متجمعة.

والسجيل: الطين. وقال البيضاوي: الطين المتحجر.

---

(١) الآيات ١ ـ ٥ من سورة الفيل.

موجز عن هلاك جيش أبرهة:

وملخص القضية:

أن ملك اليمن قد صمم على مهاجمة الكعبة وهدمها، فجاء أبرهة إلى مكة في جيش كثيف، قيل إنه حوالى ستين ألف مقاتل، ومعه فيل أبيض عظيم الخلقة لم ير مثله، ويقال: كان معه فيلة كثيرة أخرى أنهى بعضهم عددها إلى ألف فيل!!

وإنما أدخلوا عنصر الفيلة في جيشهم، لأنهم يرون أن هذه الفيلة العظيمة الخلقة قادرة على هدم الجدران، حين تنطحها برأسها، وتقوضها بأنيابها الطويلة والبارزة. وهي أيضاً مصدر تخويف وإرهاب للآخرين، ومن وسائل إظهار الشوكة والعظمة والعزة لأصحابها..

وحين حلَّ هذا الجيش في هذه المنطقة فرَّ أهل مكة إلى الجبال، وبقي عبد المطلب. وربما شخص آخر.. فاستولى أبرهة على إبل لعبد المطلب، فجاء عبد المطلب إليه، فعظمه أبرهة وبجله لهيبته. لأنه كان رجلاً جليلاً وجميلاً ومهيباً، فطالبه بإبله، فأظهر أبرهة أنه كان يتوقع منه أن يطالبه بالرجوع، فمطالبته بأمر شخصي أفقده المكانة التي كانت له لديه.

فقال عبد المطلب: إنه هو رب الإبل، وللبيت رب يمنعه.

فلما انصرف عبد المطلب مرَّ على الفيل الأعظم، فسأله إن كان يدري لماذا جاؤوا به إلى هذه الأرض، فأشار إليه الفيل برأسه: أنه لا يعلم.. فأخبره أنهم يريدون هدم الكعبة، فهل هو فاعل، فأشار برأسه: أنه لا يفعل ذلك.

ثم بدأ أبرهة هجومه على مكة والحرم، فلما وصلوا إلى الحرم امتنع

الفيل الأعظم من دخوله، وبعد عدة محاولات فاشلة هاجموا ذلك الفيل بسيوفهم، وقتلوه.

ثم جاءت من جهة البحر جماعات من الطيور تشبه طير الخطاف، وكانت تطير قريبة من الأرض ويحمل كل واحد منها ثلاثة أحجار من الطين اليابس، أحدها في منقاره.. والآخران في رجليه.. فلاحق ذلك الجيش، وصار يرميهم بتلك الأحجار، فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرق مغفره حديداً كان أو غيره، ويخرق الرأس والبدن، حتى يخرج من دبر ذلك الرجل. بل يضرب الأرض، ويحدث فيها أثراً أيضاً.

عبر وعظات:

وقد ذكَّر النبي «صلى الله عليه وآله» الناس بهذا اللطف الإلهي، وبهذه المعجزة الربانية التي تجلت فيما جرى لأصحاب الفيل.. مؤكداً بذلك العديد من الحقائق، التي كان الناس يحتاجون إلى تلمسها بصورة حية، وعميقة.. ومنها:

١ ـ التأكيد على معنى التوحيد، وتعميق الاعتقاد بالله الواحد الأحد القادر، والقاهر.. الذي لا يعجزه شيء، ولا يلغي إرادته أحد، مهما كان جباراً وعاتياً.

٢ ـ إبطال ما يزعمونه لأصنامهم من تأثير في حياة الناس، مهما كان ضئيلاً، وضعيفاً، ولو على مستوى الوهم والتخيل. فإنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها، ولا يمكنها منع الآخرين من تحطيمها، ومن التصرفات المختلفة فيها.. فضلاً عن أن تكون لها قدرة على سحق جبروت الجبارين،

وإبطال كيد الظالمين.

٣ ـ ولابد أن يتذكر الناس كلهم قول عبد المطلب لأبرهة، الذي هزَّ كيانه، وتطامن له كبرياؤه: إن للبيت رب يمنعه.

٤ ـ إن عبد المطلب حين انصرف من عند أبرهة مرَّ بالفيل، فقال له: يا محمود، فحرك الفيل رأسه، فقال له: أتدري لم جاؤوا بك؟!

قال الفيل برأسه: لا.

فقال: عبد المطلب جاؤوا بك لتهدم بيت ربك، أفتراك فاعل ذلك؟

فقال برأسه: لا. فانصرف عبد المطلب إلى منزله[1].

إن على الناس أن يتذكروا ما قاله عبد المطلب للفيل، حيث ناداه باسمه «محمود»، أو وصفه بهذا الوصف. ثم امتناع ذلك الفيل عن دخول الحرم للتعرض للكعبة، الأمر الذي اوجب انفجار غضب سائقيه عليه، فقطعوه بسيوفهم..

٥ ـ إن في هذا الأمر إلماحاً إلى: أن موضوع الإيمان بالله، والخضوع لإرادته، أو التمرد عليه، لا يختص بالبشر، بل هو يشمل سائر مخلوقات الله تبارك وتعالى، كما أشرنا إليه أكثر من مرة في هذا الكتاب وفي غيره، وأوردنا له الشواهد الكثيرة من كتاب الله، ومن النصوص عن المعصومين «عليهم السلام»، ومن الوقائع التاريخية المختلفة..

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٥ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٥٠٧ و ٥٠٨ وكنز الدقائق ج١٤ ص٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٣٨ و ٤٤٠ و ٤٤١ والكافي ج١ ص٤٤٧ و ٤٤٨ وج٤ ص٢١٦ وتفسير القمي ج٢ ص٤٤٢ ـ ٤٤٤.

٦ ـ قد ظهر أن عبد المطلب كان يعلم: أن الفيل يفهم ما يقول. وأنه سوف يجيبه على سؤاله..

وكان يعلم أيضاً: أن الفيل هو الذي يختار أن يفعل، ويختار أن لا يفعل.

٧ ـ إن الأمر الذي لابد من التأمل فيه هو: أن الكثير من الناس يخاطبون الحيوانات، ولكنها لا تجيبهم. ولنا أن نطمئن إلى أن هذا الفيل لا يجيب آنئذٍ غير عبد المطلب لو خاطبه، فهل لعبد المطلب خصوصية في إيمانه؟! أو مع الله تخوله مخاطبة الحيوانات، وتفرض عليها أن تستجيب له، وتجيبه؟!

وما هي تلك الخصوصية؟!

أهي خصوصية النبوة التي وردت في حديث عن النبي «صلى الله عليه وآله»، مفاده: أن الله لم يزل ينقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه من أبيه عبدالله؟!

٨ ـ اللافت هنا: أن الناس كلهم قد تركوا مكة في قصة الفيل، واعتصمو بالجبال المحيطة باستثناء عبد المطلب، الذي أقام على سقايته، وشيبة بن عثمان بن عبد الدار الذي أقام على حجابته[1].

ويفهم من روايات أخرى: أن عبد المطلب بقي وحده[2].

٩ ـ ونلاحظ: أن الله تعالى لم يرسل على أصحاب الفيل ريحاً صرصراً عاتية، ولم يخسف بهم الأرض، ولا أصابهم بصاعقة. ولا أرسل عليهم

---

(١) الميزان (تفسير) ج٢٠ ص٣٦٢ و ٣٦٣ عن مجمع البيان.

(٢) النكت والعيون (تفسير الماوردي) ج٦ ص٣٣٨.

حاصباً من السماء، ولا أخذهم الطوفان، ولا غير ذلك..

كما أنه لم يرسل عليهم وحوشاً ضارية، كالأسود أو الذئاب. ولا سلط عليهم النسور والعقبان.. ولا أي طير آخر يعد في جملة الجوارح؛ لأن ذلك كله يمكن التماس تأويلات وتفسيرات طبيعية له، قد تضعف من درجة الوعي لمضمونه الصحيح، وتفصل علاقته بالغيب، وتلحق ضرراً بالغاً بالقناعة بأنه فعل رباني، وتدخل إلهي مباشر.

فقد يزعم زاعم: أن الجوع والصدفة هما اللذان جمعا هذه الوحوش في هذا المكان والزمان.

وأن الطوفان قد جاء: نتيجة زلزال عظيم حدث في قاع البحر.

وأن الحاصب قد كان: نتيجة اصطدام بعض الكواكب السيارة ببعضها حتى تناثرت مكوناتها، فوصلت إلى الأرض في هذا الموقع دون سواه حفنة قاتلة.

وأن الخسف قد حصل: بسبب تحرك أو انزلاق الصفائح الصخرية وسواها في الفجوات التي تكون عادةً في أعماق الأرض.

وأن الصاعقة: عبارة عن نيازك ضلت طريقها، فأصابت هذا الموقع أو ذاك.

وذلك كله من شأنه أن يقلل من قيمة حادثة الفيل، أو يحدَّ من تأثيرها في هداية البشر.

بل أرسل عليهم طيوراً صغاراً كالخطاف[1] ـ كما صرحت به النصوص ـ

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص٥٠٧ والصافي ج٥ ص٣٧٦ والكافي ج٤ ص٢١٦ =

تقصدهم دون سواهم من الناس الحاضرين في ذلك المحيط. وقد استطاعت أن تقضي على ذلك الجيش المجهز بكل عناصر القوة، بوسائل بسيطة جداً لا يمكن أن تلحق أدنى أذى بالغير، فضلاً عن أن تكون سبباً في قتله، أو أن تخترق جسمه وما يلبسه من حديد، وغيره.

ثم إن هذه الطيور الضعيفة تكرر غاراتها على أهدافها، مرة بعد أخرى، في إشارة ودلالة واضحة على القصد والعمد منها فيما تمارسه من فعل، وأنها تنفذ أمراً موكلاً إليها، تعرف حدوده وآثاره، وآفاقه بدقة.

١٠ ـ إن الطيور العادية، لم تُعرف بقدرتها على الأذى، حتى وهي مستقرة على المواضع الصلبة.. وما شأن الأذى الذي يمكن أن تلحقه طيور عادية بمخلوق قوي كالإنسان، خصوصاً إذا كان قد تسلَّح بمختلف أنواع الأسلحة، وتدرَّع بكثير من الموانع التي تجعله قادراً على مواجهة أي طارئ.

ولذلك نقول: إن هذا التأثير الخارق، لابد أن يعطي القناعة بأن الأمر غير عادي، وأنه أمر إلهي بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

١١ ـ وبعد أن أصبحت هذه الطيور الصغيرة، والضعيفة معلقة في الهواء، تطير بين الأرض والسماء، فإنها ستكون أضعف تأثيراً، وأكثر وهناً، لأنها لا تكاد تستمسك في حال طيرانها، حين تكون في أعماق الجو، حتى لو

= ومختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص٦٧٧ و ٦٧٨ والبحر المحيط ج٨ ص٥١٢ والنهر المادي من البحر (بهامش البحر المحيط) ج٨ ص٥١١ وكنز الدقائق ج٤ ص٤٤١ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٩٢ و ١٩٦ وتفسير القاسمي ج٧ ص٣٩٠ ونور الثقلين ج٥ ص٦٧١ وحاشية الصاوي على الجلالين ج٤ ص٣٥٤.

سكنت الرياح، بل حتى لو ساعدها هبوبها، وخف وسهل عليها التنقل في كل ساح وناح.

١٢ ـ إن هذه الطيور التي يزداد ضعفها في حال طيرانها، لا تملك قوة تمكنها من قذف محمولاتها إلى حد تستطيع معه إلحاق الأذى بمن تصطدم به مقذوفاتها تلك، بل هي عاجزة عن ذلك تماماً..

هذا لو قلنا: إنها تستطيع حمل ما يكون له وزن يعتد به، خصوصاً في حال طيرانها، إذا أخذنا بنظر الاعتبار مدى فعالية الوسائل التي جهزت بها لتحقيق طيرانها هذا..

بل إنها حتى لوْ استطاعت أن تقذف بما تحمله، باتجاه أي هدف كان، فإن طبيعة هذا المقذوف تأبى أن يكون له أي تأثير على الغير، بل يرتد تأثيره على نفسه بتلاشيه وتفرق أجزائه.

١٣ ـ ثم إن هذه الطيور قد حملت معها أشياء لا يمكن مقارنتها بما كان لدى جيش أبرهة من وسائل الوقاية والدفاع، أو الهجوم والاندفاع. فالطيور كانت تحمل حبات صغيرة جداً كالعدسة[1] ليست من جنس الحديد ولا الفولاذ، ولا من الحجارة القاسية، ولا حتى من الخشب، أو نحو ذلك، بل هي من الطين الذي لا يتحمل الصدمة، بل هو الذي يتأثر بها، ولا يؤثر بالأجسام الأخرى شيئاً، خصوصاً إذا كانت أجساماً صلبة كالعظام، أو الحديد، الذي جعل خوذةً للمقاتل، أو نحو ذلك..

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص٥٠٧ والتبيان ج١٠ ص٤١٠ والصافي ج٥ ص٣٧٧ عن الكافي، والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٩٢ ونور الثقلين ج٥ ص٦٧١.

كيف وقد صرحت تلك النصوص: بأن تلك الأحجار الطينية كانت تخرق الحديد والعظام، وكل تلك الأجسام، من أعلى الهام لتخرج من دبره، ثم تخرق الأرض من تحته، على أن هذه الأحجار حتى لو كانت كبيرة وصلبة، وحتى لو كانت حديدية أو مقذوفة من رجال أقوياء، فإنها لا تترك هذا الأثر الذي تركته هذه الأحجار الطينية المقذوفة من عصافير في حال طيرانها.

١٤ ـ فلا مجال للمقارنة بين قدرة الطير على قذف حبة من طين وبين ما كان لدى أبرهة من عدة وعديد، ومن عضلات وحديد، ومن هامات وضخامات ـ على حد ضخامة فيله المسمى بـ «محمود»[1]، وهو الفيل الأعظم.

وقيل: إن الأمر لم يقتصر عليه، بل جاء بفيلة كثيرة[2].

---

(١) راجع: تفسير الجلالين (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٣٥٢ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٤ ص٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ والكشاف ج٤ ص٧٩٧ والنكت العيون (تفسير الماوردي) ج٦ ص٣٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٥٣ والصافي (تفسير) ج٥ ص٣٧٧ عن الأمالي والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٩١.

وراجع: مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص٦٧٦ ونور الثقلين ج٥ ص٦٧٠ و ٦٧١ عن الكافي، والبرهان ج٤ ص٥٠٧ و ٥٠٨ وكنز الدقائق ج١٤ ص٤٣٨ و ٤٤٠ و ٤٤١ والكافي ج١ ص٤٤٧ و ٤٤٨ وج٤ ص٢١٦.

(٢) تفسير المراغي ج٣٠ ص٢٤٢ وراجع: التبيان ج١٠ ص٤١٠ ونور الثقلين ج٥ ص٥٠٨ عن قرب الإسناد وكنز الدقائق ج١٤ ص٤٣٨ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٤ ص٣٥٣.

وحددها بعضهم بثمانية فيلة[1].

وقيل: باثني عشر فيلاً[2].

بل قيل: إنه جاء بألف فيل[3]، مع ستين ألف مقاتل.

نعم لا مجال للمقارنة بين هذا كله، وسواه، وبين طير ضعيف لا يملك سلاحاً ظاهراً، بل يملك ثلاث حبات فقط!! من الطين!! يعجز عن قذفها، فيرميها، بمعنى أنه يتركها ويتخلى عنها، لتؤول إلى السقوط والهبوط.

١٥ ـ وكانت المعجزة الأكبر، والبرهان الأظهر هي امتناع الفيل عن دخول الحرم رغم محاولاتهم المتكررة معه، حتى انتهى الأمر بهم أن قتلوه بأسيافهم[4].

وذلك يشير إلى لزوم تعظيم الكعبة وتفخيمها، وإعزازها وتكريمها، وذلك قضاء إلهي، وتوجيه رباني. كما أن ذلك قد أكد في نفوس الناس هيبة الحرم والكعبة، وتأكدت حرمتها، وعرف الناس رعاية الله لها، فزادها الله بهذا تشريفاً وكرامة وعزاً.

---

(١) النكت والعيون (تفسير الماوردي) ج٦ ص٣٤٠ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٩٣ والبحر المحيط ج٨ ص٥١٢ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٤ ص٣٥٣ والكشاف ج٤ ص٧٩٧.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ج٣ ص٦٧٦ والبحر المحيط ج٥ ص٥٠٢ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٤ ص٣٥٣ و ٣٥٤ والكشاف ج٤ ص٧٩٧.

(٣) البحر المحيط ج٥ ص٥١٢ وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين ج٣ ص٣٥٣ والكشاف ج٤ ص٧٩٧.

(٤) راجع الصافي (تفسير) ج٥ ص٣٧٦.

١٦ ـ ثم كانت النتائج الباهرة، بانتصار الإرادة الإلهية القاهرة، وخزي الجبـارين، وبوار كيد الظالمين وذل المستكبرين. حتى جعلهم الله عبرة للمعتبرين، وذكرى للذاكرين والحمد لله رب العالمين.

١٧ ـ وخلاصة القول: إن ما جرى لأصحاب الفيل لا مجال لفهمه ولا لتفسيره إلا على اساس الغيب، والرجوع إلى الله تعالى فيه.. فإنه لا ينسجم أبداً مع الشرك أو الإلحاد، ولا مع الإنكار لقدرة الله تبارك وتعالى، أو الانتقاص منها، أو انتقاصها.

ثم هو يهيء الناس لقبول دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي ولد في عام الفيل بالذات، حيث إن الناس قد شهدوا تلك المعجزة العظيمة، وهم في أول وعيهم، أو في عنفوان شبابهم، ولا زالوا على قيد الحياة، وصاروا هم عقلاء القوم وكبارهم، وأصبح الأمر والنهي إليهم وبيدهم، وهم الشيوخ المجربون والملأ المكرمون، وهم مهما كابدوا وعاندوا، فإنهم لا يقدرون على مواصلة هذا العناد، والمكابرة، أمام هذه المعرفة الوجدانية العميقة والراسخة..

وبذلك يكون سبحانه قد سهل على الناس أمر الإيمان، وأقام الحجة عليهم من أيسر السبل وأوضحها، وأبين الدلالات وأصرحها.

للحيوانات أخلاق:

لا شك في أن للحيوانات أخلاقاً، وأنها تختلف فيها، وأن اختلافها في خلقها يوجب اختلافاً في سلوكها..

ولسنا بحاجة إلى إيراد الكثير من النصوص الدالة على أن لدى الحيوانات

أخلاقاً مختلفة، ويكفي أن نحيل القارئ إلى ما روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» أنه قال: «في الديك الأبيض خمس خصال من خصال الأنبياء: معرفته بأوقات الصلاة، والغيرة، والسخاء، والشجاعة، وكثرة الطروقة»[1].

كما أن من أخلاق الغراب الطمع، فقد روى مهزم: أنه قال: دخلت على أبي عبد الله «عليه السلام» فذكرت الشيعة، فقال: يا مهزم، إنما الشيعة من لا يعدو سمعه صوته..

إلى أن قال: ولا يطمع طمع الغراب[2].

وقال «عليه السلام»: «تعلموا من الغراب ثلاث خصال: إستتاره بالسفاد، وبكوره في طلب الرزق، وحذره»[3].

وأمثال ذلك كثير، وهو ذائع وشائع، والحر تكفيه الإشارة. فإن هذه حقيقة أثبتتها التجارب، وأظهرتها الوقائع..

أخلاق شيطانية:

هذا.. وقد ذكرت الروايات: أن بعض الحيوانات يكون ذات طبع شيطاني، وبعضها الآخر بخلافه.

ويشهد على ذلك: أن علياً «عليه السلام» أمر أصحابه بأن يعقروا أو يعرقبوا الجمل الذي كانت تركبه عائشة، وقال «عليه السلام»: «ما أراه

---

(١) الوسائل ج٨ ص٣٨٣ والبحار ج٦٢ ص٣ وكنز العمال ج١٢ ص٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨.

(٢) البحار ج٦٥ ص١٧٩ و ١٨٤.

(٣) البحار ج٦١ ص٢٦٢ وج٦٨ ص٣٣٩ وج١٠٠ ص٤١ و ٢٨٥.

يقاتلكم غير هذا الهودج: اعقروا الجمل ـ وفي رواية ـ عرقبوه، فإنه شيطان..»[١].

وكان سلمان (المحمدي) قبل ذلك يضرب ذلك الجمل إذا رأه، فيقال: يا أبا عبد الله، ما تريد من هذه البهيمة؟

فيقول: ما هذا بهيمة![٢] ولكن هذا عسكر بن كنعان الجني[٣].

وعن أبي جعفر «عليه السلام» قال: «اشتروا عسكراً بسبع مائة درهم. وكان شيطاناً»[٤].

أخلاق رضية:

وقد ذكر أهل المعرفة بالخيل أموراً كثيرة عن أخلاقها، وتصرفاتها، ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن الروايات قد تحدثت عن: أن

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٤٦ والبحار ج٣٢ ص١٨٢و ٢٠١ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٢٤ ورسائل المرتضى للشريف المرتضى ج٤ ص٣٦ وراجع: أمالي المفيد ص٥٩ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٤٠ والبحار ٣٢ ص١٨٧ وص٢٠١ وج٦٠ ص٣٢٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٥٣ والمناقب للخوارزمي ص١٨٨ والأنوار العلوية للنقدي ص٢٢٠ و ٢٠٧.

(٢) راجع: البحار ج٢٢ ص٣٨٢ عن اختيار معرفة الرجال ص٩ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٢٠.

(٣) راجع: البحار ج٢٢ ص٣٨٢ وج٣٢ ص١٤٧ واختيار معرفة الرجال (ط مؤسسة أهل البيت) ج١ ص٥٨ ومعجم رجال الحديث ج٩ ص٢٠٠.

(٤) البحار ج٢٢ ص٣٨٣ عن اختيار معرفة الرجال ص١١ والبحار ج٣٢ ص١٤٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٢٢٠.

للحيوانات التي كانت عند المعصومين «عليهم السلام» آداباً وأخلاقاً، وتصرفات مميزة، وفريدة، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جداً.

ومن أمثلة ذلك: ما رواه هارون بن موسى، فقد قال: كنت مع أبي الحسن «عليه السلام» في مفازة، فحمحم فرسه، فخلى عنه عنانه، فمر الفرس يتخطى إلى أن بال وراث ورجع، فنظر إليَّ أبو الحسن، وقال: إنه لم يعط داود شيئاً إلا وأعطي محمد وآل محمد أكثر منه[1].

تفاوت درجاتها في الشعور والإدراك:

ونلاحظ أيضاً: أن للبهائم درجات متفاوتة من حيث مستويات شعورها، وإدراكها، غير أن هناك أموراً تشترك فيها جميع الحيوانات.

فقد روي عن الحسين بن علي «عليه السلام»، أنه قال: «ما بهمت البهائم منه، فلم تبهم عن أربعة: معرفتها بالرب تبارك وتعالى، ومعرفتها بالموت، ومعرفتها بالأنثى والذكر، ومعرفتها بالمرعى الخصب»[2]. وسيأتي

---

(١) البحار ج٤٩ ص٥٧ وج٢٧ ص٢٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٧٤ والإختصاص ص٢٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٤٧ ومسند الإمام الرضا ج١ ص٢٠٥.

(٢) البحار ج٦١ ص٥٠ و ٥١ و ٣ والكافي ج٦ ص٥٣٩ والوسائل ج٨ ص٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤. وراجع: من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٨ والأمالي للشيخ الطوسي٥٩٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٠٠ والخصال ص٢٦٠ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٤٤٦ ومنتقى الجمان ج٣ ص١٠٤ والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٢١٢ والفصول المهمة ج٣ ص٤٠١.

المزيد مما يدل على ذلك إن شاء الله.

وقد صرح القرآن الكريم بحشر الوحوش، فقال: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، وصرحت الروايات: بأن الله حين يحشر الحيوانات يوم القيامة سوف يقتص للجماء من القرناء[1].

والحشر، والإقتصاص إنما يكون من المذنب المدرك.

ثم إن علمها بموتها وإن كان يستلزم وجود درجة من الشعور والإدراك لديها، ولكنه يبقى محدوداً، وليس في مستوى ما لدى البشر من ذلك.

فقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» وعن علي «عليه السلام»: «لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم سميناً قط»[2].

---

(١) راجع: البحار ج٦١ ص٤ و ٦ و ج٧ ص٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٧٢ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٢٧٦ و ج٤٦ ص٧٦ وج٥٨ ص٤ و ٦ وراجع: تفسير المنار ج٧ ص٣٩٧ وجامع البيان ج٧ ص١٢٠ وتفسير الثعالبي ج١ ص٥١٨ ونور الثقلين ج١ ص٥٩٢ والدر المنثور ج٣ ص١١ والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٢١٨ والمجازات النبوية ص٩٩ وشرح أصول الكافي ج١٠ ص١٨٧ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣٥٢ والرحلة في طلب الحديث ١١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٩ ص٢٩٠ ومجلس في حديث جابر ص٤١ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٩٩ والتبيان ج١٠ ص٢٥٠ ومجمع البيان ج٤ ص٤٩ وج١٠ ص٢٤٩ و ٢٧٧ وج٣ ص٢٩٧ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٠٦ وزاد المسير ج٣ ص٢٦ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٤٢٠ وج١٩ ص٢٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٣٦ وتفسير الجلالين ص١٦٧ وفتح القدير ج٥ ص٣٨٨ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣١٦.

(٢) راجع: البحار ج٦١ ص٤٦ و ٥١ عن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٧ و ١٨٨=

كما أن مما يشير إلى وجود درجة من الإدراك لدى الحيوانات، ما حكاه الله تعالى عن الهدهد وعن النملة مع سليمان، فقد قال تعالى:

﴿..قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ..﴾[1].

وقال تعالى عن الهدهد:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ،

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ،

قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ،

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ، إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ

= وميزان الحكمة ج٤ ص٢٩٧٢ ومسند الشهاب ج٢ ص٣١٤ والجامع الصغير ج٢ ص٤٣٠ وكنز العمال ج١٥ ص٥٥٢ و ٥٧٠ وفيض القدير ج٥ ص٤٠٠ وكشف الخفاء ج٢ ص١٥٤.

(١) الآيتان ١٩ و ٢٠ من سورة النمل.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾**[2].

وفي هذه الآيات دلالات هامة، وكثيرة، ومتنوعة. وهي تحتاج في بيان ما ظهر لنا منها إلى جهد فائق، وتأليف مستقل..

١ ـ ونكتفي هنا بالقول بأن قصة الهدهد: تدل في جملة ما تدل عليه:

على أن التكليف يتوجه للطير.

وأنه يصدق ويكذب.

ويطيع، ويعصي.

ويعاقب على المخالفة.

ويستدل ويحتج.

كما أنها تدل على:

أنه ينتقل من المجهول إلى المعلوم.

ويعرف أنواع العبادات.

ويميز بين صحيحها وفاسدها.

ويكتشف ملكاً جديداً.

ويميِّز بين الملك والرعية.

ويدرك الفرق بين الذكر والأنثى.

---

(١) الآيات ٢٠ ـ ٣١ من سورة النمل.

(٢) الآية ١٧ من سورة النمل.

ثم هو يعرف حجم وعظمة ما اكتشفه وعرفه، وأنه عرش، وأنه عظيم.

ثم هو يعرف الشمس، ويعرف أن عبادة أولئك الناس كانت لها.

ثم هو يستدل على فساد عبادتهم، وبطلان أديانهم.

ويعرف السماء والأرض.

ويعرف أن الله تعالى يخرج الخبء في السموات والأرض.

٢ ـ أما النملة فقد أدركت أيضاً الخطر المتوجه إليها.

وعرفت بأن هناك جيشاً في منطقتها، وعرفت اسم قائد الجيش، وعرفت أن الجيش وكذلك القائد سوف لا يشعر بوجودها لو حطمها.

ثم هي أعطت لمثيلاتها الأوامر المناسبة، للتحرز من ذلك الخطر الداهم.

وسمع سليمان «عليه السلام» ما قالته، وتبسم ضاحكاً من قولها.

طاعات وعبادات الحيوانات:

هذا كله، عدا عن أن للحيوانات عباداتها وطاعاتها.

وقد تحدثت الآيات والروايات عن تسبيح الطير، والوحوش، والكلاب، وحيوانات البحار.

قال تعالى: ﴿..وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[1].

وقد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»، أنه قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لا تضربوا الدواب على وجوهها، فإنها تسبح بحمد

---

(١) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

ربها»[1].

وروي عن الإمام الحسين «عليه السلام» ذلك مفصلاً، فراجع[2].

وقد ذكرت الروايات: آثار تركها للتسبيح، فعن أبي عبد الله «عليه السلام»: «ما يصاد من الطير إلا ما ضيَّع التسبيح»[3].

وقد ورد في النهي عن الغناء على الدابة، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: «أما يستحي أحدكم أن يغني على دابته وهي تسبح»[4].

---

(١) راجع: البحار ج١٤ ص٤ وج٢٧ ص٢٧٣ وج٥٧ ص١٧١ وج٦١ ص٣ و ١٠ و ١١ و ٢٣ و ٢٩ و ٤٦ والثاقب في المناقب ص١٦٥ ومدينة المعاجز ج٥ ص٢٠٥ وفيض القدير ج٤ ص٦٧٣ وج٥ ص٥٧٦ والتبيان ج٧ ص٢٦٨ وتفسير مجمع البيان ج٧ ص١٠٤ والبداية والنهاية ج٦ ص٣١٧.

(٢) راجع: البحار ج٦١ ص٢٧.

(٣) راجع: وسائل الشيعة ج٦ ص٦ وج٨ ص٣٥٠ و ٣٥١ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٦٥ والبحار ج٦١ ص٢٤ و ٤٦ و ٢٥ عن العياشي وتفسير القمي، وقرب الإسناد، وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٢٢ و ٢٣ و ٣٣ عن الكافي، ومن لا يحضره الفقيه والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص١٤٦ وكنز العمال ج٢ ص٢٥٣ والدر المنثور ج٤ ص١٨٤ وفتح القدير ج٣ ص٢٣٢ وزاد المسير ج٥ ص٣٠ والأصول الستة عشر ص٧٧ والفصول المهمة ج٢ ص١٢٨ والمحاسن ج١ ص٢٩٤.

(٤) البحار ج٦١ ص٢٠٤ و ٢٠٦ وج٧٣ ص٢٩١ وج٤٦ ص٢٤٥ و ٢٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٤٨ والوسائل ج٨ ص٣٠٦ و ٣٠٧ والمحاسن ص٦٢٧.

ونهى عن ضرب وجوه الدواب؛ لأنها تسبح بحمد الله[١].

والنصوص التي تشير إلى ذلك كثيرة، لا مجال لاستقصائها.

وعن أبي ذر: «تقول الدابة: اللهم ارزقني مليك صدق يرفق بي، ويحسن إليَّ، ويطعمني ويسقيني، ولا يعنف عليَّ»[٢] ونحوه غيره.

وعن الإمام الكاظم «عليه السلام»: «ما من دابة يريد صاحبها أن يركبها إلا قالت: اللهم اجعله بي رحيماً»[٣] وغير ذلك مما دل على: أن الحيوانات تكلمت بأمور ذات مغزى إيماني، يفيد في توضيح ما نرمي إليه.

الرفق بالحيوان في الإسلام:

لقد أولى الإسلام أهمية بالغة لسلامة الحيوانات وراحتها، ولذلك مظاهر مختلفة من التعامل وسمات متفاوتة من الرعاية، وكمثال على ذلك نذكر هنا: أنه قد روى الحاكم في الإكليل بسند صحيح: أنه حينما كان النبي «صلى الله عليه وآله» سائراً إلى فتح مكة وكان فيما بين العرج والطلوب، نظر إلى كلبة تهر عن أولادها، وهنَّ حولها يرضعنها، فأمر جميل بن سراقة أن يقوم حذاءها، لا يعرض لها أحد من الجيش، ولا لأولادها[٤].

---

(١) البحار ج٦١ ص٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٢٠٤ و ٤٧ عن الكافي، والمحاسن، والخصال، ومن لا يحضره الفقيه، والوسائل ج٨ ص٣٥٣ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٤ عنهم أيضاً.

(٢) البحار ج٦١ ص٢٠٥ والمحاسن ص٦٢٦.

(٣) المصدران السابقان.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢١٢.

قانون الرفق بالحيوان:

وبالمناسبة: فإننا نورد هنا بعض ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما يرتبط بالرفق بالحيوان، ويصح أن يكون نموذجاً لقانون شامل في هذا المجال، مع تأكيدنا على: أننا قد لا نوفق لاستقصاء ذلك، بل قد يفوتنا منه الكثير.

فنقول: والله هو الموفق والمسدد..

لقد أوصت النصوص الشريفة الواردة عن المعصومين بما يلي:

١ ـ الرفق بالبهائم.

٢ ـ أن لا توقف وعليها أحمالها[1].

٣ ـ أن لا تسقى بلجمها[2].

٤ ـ أن لا تحمَّل فوق طاقتها.

---

(١) دستور معالم الحكم ص٧١ وكنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٤ و ٣٥ و ٣٦ والسنن الكبرى ج٦ ص٢٢١ و ١٢٢ والجامع الصغير.

وراجع فيه وفيما سبقه أيضاً نفس المصادر بالإضافة إلى: المحاسن ج٢ ص٣٦١ والبحار ج٦١ ص٢٠٣ والوسائل ج٨ ص٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٩٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٢ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٢ والتفسير الصافي ج٢ ص١١٩ ونور الثقلين ج١ ص٧١٥ والمحجة البيضاء ج٤ ص٧١ والمعرفة والتاريخ ج١ ص٣٣٩ ومسند أحمد ج٤ ص١٨١.

(٢) دستور معالم الحكم ص٧١.

٥ ـ أن لا تقف وعليها جهازها[١].

٦ ـ أن لا يقف على ظهورها[٢].

٧ ـ أن لا يكلف الدابة من المشي ما لا تطيقه[٣].

---

(١) البحار ج٧ ص٢٧٦ وج٦١ ص٢٠٣ والمحاسن ج٢ ص٣٦١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٢ والوسائل ج٨ ص٣٩٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠٠ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ والتفسير الصافي ج٢ ص١١٩ ونور الثقلين ج١ ص٧١٥.

(٢) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٥ و ٣٦ عن أبي داود، وأحمد، والطبراني، وغير ذلك. وراجع: مستدرك الحاكم ج١ ص٤٤٤ وج٢ ص١٠٠ وعون المعبود ج٢ ص٣٣٢ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٥٠ والوسائل ج٨ ص٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٧ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٨٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٥٥ والبحار ج٧٣ ص٢٧١ وج٦١ ص٢٠١ و ٢٢٠ و ٢١٠ و ٢٠٢ و ٢٠٥ عن الكافي والمحاسن، ومن لا يحضره الفقيه، والخصال، وأمالي الصدوق، ونوادر الراوندي، ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٦٤٨ والتحفة السنية ص٣٤٢ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص١٤٢ وجواهر الكلام ج٣١ ص٣٩٥ وجامع المدارك ج٤ ص٤٩٠ و ٤٩١ وفقه الصادق ج٢٢ ص٣٤٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٦ و ٢٨٧ والخصال ص٣٣٠ ومكارم الأخلاق ص٢٦٢ و ٢٦٣ والفصول المهمة ج٣ ص٣٤٨ و ٣٤٩ والمحاسن ص٦٣٣ والكافي ج٦ ص٥٣٩ و ٥٣٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٤ وكتاب النوادر ص١٢١.

(٣) راجع: البحار ج٦١ ص٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢١٠ و ٢٢٧ عن الكافي، والمحاسن، والخصال، ومن لا يحضره الفقيه، وأمالي الصدوق، والوسائل ج٨ =

٨ ـ أن يكون أول ما يبدأ به حين وصوله للمنزل هو: أن يقدم الماء والعلف للدابة[1].

وورد الأمر أيضاً بما يلي:

٩ ـ أن ينظف مرابضها[2].

= ص٣٥٠ و ٣٥١ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٣٥٠ و ٣٥١ ومسالك الأفهام ج٨ ص٥٠٣ وجواهر الكلام ج٣١ ص٣٩٧ وفقه الصادق ج٢٢ ص٣٤٨ وسبل السلام ج٤ ص١٩٩ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص١٤٢ وجامع المدارك ج٤ ص٤٩٠.

(١) منتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٦٤٨ و ٩٩٦ والتحفة السنية ص٣٤٣ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص١٤٢ ومستند الشيعة ج١٣ ص٣٤٩ وجواهر الكلام ج٥ ص١١٦ وج٣١ ص٣٩٤ و ٣٩٥ والعروة الوثقى (ط قديم) ج٢ ص٤١٥ وج٤ ص٣٣٤ وجامع المدارك ج٤ ص٤٩٠ وفقه الصادق ج٢٢ ص٣٤٧ والمحاسن ج٢ ص٦٢٧ و ٦٣٣ والكافي ج٦ ص٥٣٧ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٤٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٦ والخصال ص٣٣٠ وأمالي الصدوق ص٥٩٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٢ والوسائل ج٨ ص٣٥٠ و ٣٥١ وج١٥ ص٢٤٠ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٦٠ وج١٥ ص٢٢٢ ومكارم الأخلاق ص٢٦٢ وكتاب النوادر ص١٢٠ والفصول المهمة ج٣ ص٣٤٨ والبحار ج٥٩ ص٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢١٠ وتفسير الميزان ج١٣ ص١٢٢.

(٢) البحار ج٦١ ص١٥٠ والمحاسن ص٦٤١ والكافي ج٦ ص٥٤٤ والوسائل ج٨ ص٣٧٢ و ٣٧٥.

١٠ ـ مسح رعام الغنم. أي: ما يخرج من أنوفها[1].

١١ ـ إماطة الأذى عنها[2].

١٢ ـ أن يسقي ذوات الأرواح إذا عطشت، حتى لو كانت من الهوام، ومن غير مأكول اللحم[3].

١٣ ـ أن لا يحبسها[4].

---

(١) المحاسن ج٢ ص٦٤٢ و ٦٤١ والبحار ج٦١ ص١٥٠ وج٨٠ ص٣٢٦ وتاج العروس ج٨ ص٣١٤ ومجمع الزوائد ج٢ ص٢٧.

(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج١ ص٢٢ و ١١٣ و ١١٤ ومجمع الزوائد ج٢ ص٢٧ وج٤ ص٦٩ والبحار ج٦١ ص١٥٠ والمحاسن ص٦٤١ و ٦٤٢ والكافي ج٦ ص٥٤٤ والنهاية في اللغة ج٢ ص٩٢ و ٩٣ و ٩٥.

(٣) راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٩ ص٤٠ و ٤١ و ٤٣ والبحار ج٦٢ ص٦٥ و ج٧٣ ص٣٥١ وسنن البيهقي ج٨ ص١٤ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٥١١ و ٥١٢ و ٥١٥ و ٥١٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٥٢ ومسند أحمد ج٢ ص٥٠٧ و ٥٢١ وعن صحيح البخاري ج١ ص٥١ وعن صحيح مسلم ج٧ ص٤٤ وشرح صحيح مسلم ج١٤ ص٢٤٢ ومسند أبي يعلى ج١٠ ص٤٢٣ وصحيح ابن حبان ج٢ ص١١٠ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٣٧٦.

(٤) مسند أبي يعلى ج١٠ ص٣٤٦ والمبسوط ج٦ ص٤٧ والذكرى ص٢٤٦ ومسالك الأفهام ج٨ ص٤٩٨ وكشف اللثام (ط جديد) ج٧ ص٦١١ والحدائق الناضرة ج٧ ص٢٧١ ورياض المسائل ج٢ ص١٦٨ وجواهر الكلام ج٣١ ص٣٩٥ وسبل السلام ج٣ ص٩ ونيل الأوطار ج٧ ص١٤٤ وفقه السنة ج٣ ص٤٦٨ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٢٦ والوسائل ج٨ ص٣٩٧ وج١٩=

= ص٦ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠٣ ومكارم الأخلاق ص١٢٩ وعوالي اللآلي ج١ ص١٥٤ والبحار ج٥٨ ص٢١٨ و ٢٦٧ و ٢٦٨ وج٥٩ ص٦٤ وج٧٠ ص١٦٣ وج٩٨ ص٣٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٢٣ وميزان الحكمة ج١ ص٣١٧ ومسند أحمد ج٢ ص١٨٨ و ٢٦١ و ٢٦٩ و ٢٨٦ وج٢ ص٢١٧ و ٤٥٧ و ٤٧٩ و ٥٠١ و ٥٠٧ و ٥١٩ وج٣ ص٣٧٤ و ٣٥١ وعن صحيح البخاري ج١ ص١٨٢ وج٣ ص٧٧ وج٤ ص١٠٠ و ١٥٢ وسنن الدارمي ج٢ ص٣٣٠ وعن صحيح مسلم ج٣ ص٣١ وج٧ ص٤٣ وج٨ ص٣٥ و ٩٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٠٢ و ج٢ ص١٤٢١وسنن النسائي ج٣ ص١٣٩ و ١٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٢٤ وج٥ ص٢١٤ وج٨ ص١٣ وشرح صحيح مسلم ج٦ ص٢٠٧ وج١٤ ص٢٤٠ ومجمع الزوائد ج١ ص١١٦ وج١٠ ص١٩٠ وعن فتح الباري ج٦ ص٢٥٤ ومسند الطيالسي ص١٩٩ و ٢٤٢ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٨٤ ومسند ابن أبي الجعد ص١٧٧ ومسند ابن راهويه ج١ ص١٤ و ١٤٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٥٢ والأدب المفرد ص٨٧ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٧٤ و ٥٨٠ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣١٦ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٣٠٥ وج١٢ ص٤٣٨ وج١٦ ص٥٣٤ والمعجم الأوسط ج١ ص١٦٩ وج٧ ص ٢٧٣ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٩٥ ومسند الشاميين ج٣ ص١٢٠ وج٤ ص٢٧٨ ومسند أبي حنيفة ص١٤٢ وإثبات عذاب القبر ص٧١ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٣٢٠ ورياض الصالحين للنووي ص٦٢٣ وموارد الظمآن ص١٥٧ والجامع الصغير ج١ ص٦٤٦ والعهود المحمدية ص٣٩٧ وكنز العمال (ط سوريا) ج٧ ص٨٢٣ وج٨ ص٤٢٥ و ٤٢٨ وج١٥ ص٣٨ وج١٦ ص٨ وفيض القدير ج٣ ص٦٩٨ وكشف الخفاء ج١ ص٤٠٣ وإرواء الغليل ج٣ ص١٢٨ وج٧ ص٢٤٠ وكنز الدقائق ج١ ص١٥٧ والجامع =

١٤ ـ أن لا تربط حتى تموت جوعاً أو عطشاً[1].

١٥ ـ أن لا تقتل البهيمة عبثاً[2].

= لأحكام القرآن ج٧ ص٢١٦ وتفسير الثعالبي ج٥ ص١٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص٢٨٢ وج٦٧ ص٣٥١ وج٤ ص٣٧٤ وتهذيب الكمال ج٢ ص٥٩ وج٣١ ص١٥٣ وسير أعلام النبلاء ج٤ ص٥٥٤ وج١٢ ص٥٠١ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٨٤ والبداية والنهاية ج٢ ص١٦٩ والنصائح الكافية ص٨٩.

(١) البحار ج٦١ ص٢٦٧ و ج٦٢ ص٦٤ و ٦٥ وج٧٣ ص٣٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٣ و ١٤ والوسائل ج٨ ص٣٩٧ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٢٦ ومسند أحمد ج٢ ص١٨٨ وج٣ ص٣٧٤ وعن صحيح مسلم ج٣ ص٣١ وسنن النسائي ج٣ ص١٣٩ و ١٤٩ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٦ ص٢٠٧ وعن فتح الباري ج٦ ص٢٥٤ وشرح سنن النسائي ج٣ ص١٣٩ ومسند الطيالسي ص٢٤٤ وعن السنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٧٤ و ٥٨٠ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣١٦ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٤٣٩ ومسند أبي حنيفة ص١٤٢ وإثبات عذاب القبر ص٧١ وموارد الظمآن ص١٥٧ وكنز العمال ج٧ ص٨٢٣ و ٨٢٩ وج٨ ص٤٢٥ وإرواء الغليل ج٣ ص١٢٨.

(٢) راجع: البحار ج٦١ ص٤ و ٣٠٦ و ٢٧٠ و ٨ وج٦٢ ص١٥ و ٣٢٨ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٥٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٨٤ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٠ و ٤٥١ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٩٥ وفقه السنة ج٣ ص٣٠٩ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٥ ومسند أحمد ج٤ ص٣٨٩ وسنن النسائي ج٧ ص٢٣٩ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٠ والآحاد والمثاني ج٣ ص٢١٤ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٧٣ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٢١٤ والمعجم الكبير ج٧ ص٣١٧ وج٢٢ ص٢٤٥ ومسند الشهاب ج١ ص٣١٢ وموارد الظمآن =

١٦ ـ أن لا يتخذ أحد شيئاً فيه روح غرضاً، ليرميه بسهامه[1].

= ص٢٦٣ وكنز العمال ج١٥ ص٣٧ و ٤٠ وفيض القدير ج٦ ص٢٥٠ والتاريخ الكبير ج٤ ص٢٧٧ والكامل ج٣ ص١٨٩ وج٥ ص٨٢ وتاريخ بغداد ج٨ ص١١ وأسد الغابة ج٥ ص١١٨وتهذيب الكمال ج٨ ص٢٩٨ وتهذيب التهذيب ج٣ ص١٣٤ والإصابة ج٦ ص٥٣٢ والنهاية في غريب الحديث ج٣ ص١٦٩ و ١٨٤.

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٣٩٧ و ٣٦٨ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٤ والبحار ج٧٣ ص٣٥٩ وج٦١ ص٢٦٨ و ٢٨٢ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٦٥ وج٤ ص٣١ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٦٣ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٣٤ وعون المعبود ج٣ ص٥٩ وسنن أبي داود ج٣ ص١٠٠ وفتح الباري ج٩ ص٥٥٤ وعن مقدمة فتح الباري ص٣٧٤ وسنن الدارمي ج٢ ص٨٣ وعن البخاري ج٧ ص١٢١ و ١٢٢ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٤٩ ومسند أحمد ج١ ص٢١٦ و ٢٧٣ و ٢٩٧ و ٢٨٥ و ٢٧٤ و ٢٨٠ و ٣٤٠ و ٣٤٥ وج٢ ص٨٦ و ١٤١ وسبل السلام ج٤ ص٨٦ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٧٣ وسنن الترمذي ج٣ ص١٨ وسنن النسائي ج٧ ص٢٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٠ و ٧١ وشرح صحيح مسلم ج١ ص١١٤ وج١٣ ص١٠٨ والديباج على مسلم ج٥ ص٢٤ وشرح سنن النسائي ج٧ ص٢٣٨ ومسند الطيالسي ص٣٤١ ومسند ابن أبي الجعد ص٨٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٧٢ و ٧٣ ومسند أبي يعلى ج١٠ ص٢١ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٨١ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٤٢٢ والمعجم الأوسط ج٢ ص٤٦ و ٣١٤ والمعجم الكبير ج١١ ص٢١٩ و ٢٢٠ و ٣٥٢ وج١٢ ص٧٣ وج٢٠ ص٣٨٦ والكفاية في علم الرواية ص١٤٠ والأذكار النووية ص٣٥٣ ورياض الصالحين للنووي ص٦٣٢ وعن الجامع الصغير ج٢ ص٧٠٧ و ٧٢٩ وكنز العمال ج٤ ص٣٥١=

١٧ ـ أن لا تطرق الطيور ليلاً، فإن الليل أمان لها[1].

١٨ ـ أن لا تؤخذ فراخ الطير من أوكارها حتى تنهض، أو حتى يريش ويطير[2]. فإن الفرخ في ذمة الله ما لم يطر.

١٩ ـ أن لا تُصْبَرَ البهائم[3].

= وفيض القدير ج٦ ص٤٤٨ و ٥٠٣ وتاريخ ابن معين للدوري ج٢ ص٢٠٨ والعلل ج٢ ص٨٥ والتاريخ الكبير ج١ ص٢٠٦ وضعفاء العقيلي ج٣ ص٩٦ والكامل ج٥ ص٣٤٢ وطبقات المحدثين بإصبهان ج٣ ص٤٧٨ وتاريخ بغداد ج٥ ص٤٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٤٢٠ والموضوعات ج١ ص١٥١ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص٥١٣ وتهذيب التهذيب ج٨ ص١٦٤.

(١) مجمع الزوائد ج٤ ص٣٠ وكنز العمال (ط الهند) ج٢١ ص٢ وراجع: ج١٦ ص٢٣٩ عن الكافي والتهذيب، والإستبصار ج٤ ص٦٤ والبحار ج٥٩ ص٢٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٤٣٦ والحد الفاصل للرامهرمزي ص٢٥٩.

وأما ما نقل عن الإمام الرضا «عليه السلام»: فقد قيل له: جعلت فداك، ما تقول في صيد الطير في أوكارها والوحش في أوطانها ليلاً، فإن الناس يكرهون ذلك؟ فقال: لا بأس بذلك. فهو ناظر إلى إرادة نفي تحريم ذلك، فلا ينافي ما ذكرناه.

(٢) الأشعثيات ص٧٥ والوسائل ج١٦ ص٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ وفي هوامشه عن الكافي (الفروع) ج٢ ص١٤٣ وعن التهذيب ج٢ ص٣٤٢ وج٩ ص٢٢ وراجع: مستدرك الوسائل ج٣ ص٦٣ والإستبصار ج٤ ص٦٥ والكافي ج٦ ص٢١٦.

(٣) نيل الأوطار ج٨ ص٢٤٩ و ٢٥٠ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٥ والمجازات النبوية ص٤٠٨ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٥٨ والبحار ج٦٢ ص٣٢٨ =

٢٠ ـ وأن لا يمثَّل بها[1].

= ومسند أحمد ج٣ ص١١٧ و ١٧١ و ١٩١ وعن صحيح البخاري ج٦ ص٢٢٨ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٧٢ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٦٣ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٨٣ والمعجم الأوسط ج٢ ص٣٣١ ورياض الصالحين ص٦٣٣ وموارد الظمآن ص٢٦٣ والجامع الصغير ج٢ ص٧٠٠ و ٧٠٤ وسنن أبي داود ج١ ص٦٤٣ وسنن النسائي ج٧ ص٢٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٣٤ و ٣٣٤ وج١٠ ص٢٤ وشرح صحيح مسلم ج١٣ ص١٠٧ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٠٨ وج٥ ص٢٦٥ وعن فتح الباري ج٩ ص٥٢٩ والديباج على مسلم ج٥ ص٢٤ وحاشية السندي على النسائي ج٧ ص٢٣٨ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٧٠ وج٥ ص٣٩ وعون المعبود ج٨ ص٨ ومسند الطيالسي ص٢٧٥ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٦٣٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٧٢ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٢٦ واللمع في أسباب ورود الحديث ص٦٥ وكنز العمال ج٥ ص٣٩٣ وج١٥ ص٣٩ وفيض القدير ج٣ ص٢٤٣ وج٦ ص٤٤١ و ٤٣١ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣٩١ والدر المنثور ج٢ ص٢٢٣ وفتح القدير ج١ ص٥١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٩١ .

(١) راجع في هذا وفي سابقه: كشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص٢٧٤ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٦٥ وسنن الدارمي ج٢ ص٨٣ وعون المعبود ج٣ ص٤ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٧٠ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٣ و ١٧٥ والبحار ج٦١ ص٢٨٢ وج٦٢ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وج٤٦ ص٢٥٢ وعن البخاري ج٧ ص١٢١ وسنن الترمذي ج٤ ص٢٣ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢٢٥.

وراجع في النهي عن المثلة بالحيوان المصادر التالية أيضاً: البحار ج٦٢ ص٣٠ وج٦١ ص٢٨٢ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٦٣ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٤ وكنز =

٢١ ـ وجاء الأمر بذبح الدابة، وأن لا تعرقب، إذا حرنت في أرض العدو[١].

٢٢ ـ أن يأمن الطير ما دام في وكره[٢].

أي أن صيده وهو في وكره ممنوع، سواء أكان مكثه في وكره بالليل، أم في النهار.

= العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٦٧ عن أحمد والبيهقي، والنسائي، والطبراني، ونهج البلاغة الرسالة رقم ٤٧ ولسان العرب ج١١ ص٦١٥، والنهاية في اللغة، ومستدرك الوسائل ج٣ ص٧٠ و ٧١ وج٢ ص٥٩ وصحيح ابن حبان ج١ ص١٧٠ والنهاية في غريب الحديث ج٤ ص٢٩٤ وتاج العروس ج٨ ص١١١ ومسند أحمد ج١ ص٣٣٨ وج٢ ص٤٣ و ١٠٣ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢٣٤ ونصب الراية ج٣ ص٢٢٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٦٣٣ وج٦ ص٤٣٤ وشرح معاني الآثار ج٣ ص١٨٢ والكامل ج٢ ص١٥٢ وبداية المجتهد ج١ ص٣٠٠ وسبل السلام ج٤ ص٤٧ ونيل الأوطار ج٦ ص٣٣٤ وج٧ ص٣٣٥ وج٨ ص٢٥١ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٤٦ وعلل الشرايع ج٢ ص٤٨٤ وموارد الظمآن ص٢٦٣ والسير الكبير ج٣ ص١٠٢٩ وتنزيه الأنبياء ص٢١٨.

(١) وسائل الشيعة ج١٦ ص٣٠٧ و ٣٠٨ وج٨ ص٣٩٦ وج٥ ص٥٢ والكافي ج٥ ص٤٩ والتهذيب ج٦ ص١٧٣ وج٩ ص٨٢، والبحار ج٦١ ص٢٢٢ و ٢٣ وج٩٤ ص٢٥ عن الكافي وعون المعبود ج٢ ص٣٣٣ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٩ والمحاسن ج٢ ص٦٣٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠١ وج١٦ ص١٥٧.

(٢) البحار ج٦٢ ص٢٧٥ والوسائل ج١٦ ص٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ١١٧ وراجع: مستدرك الوسائل ج٣ ص٦٣ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٦٨.

٢٣ ـ لا ينتف الريش إذا كان الحيوان حياً[1].

٢٤ ـ لا يحرق الحيوان[2].

٢٥ ـ أن يقلِّم الذي يحلب الحيوان أظافره، حتى لا يؤذي ضرع الحيوان بأظافره حال الحلب[3].

٢٦ ـ أن لا يجر الحيوان بأذنه، وإنما برقبته[4].

ومن وصايا علي «عليه السلام» لجابي الزكاة:

٢٧ ـ أن لا يفرق بين الناقة وبين ولدها في أخذ الزكاة[5].

---

(١) البحار ج٦١ ص٢٢٣ عن أمالي الطوسي، وعن ثواب الأعمال، والسنن الكبرى ج٨ ص١٣.

(٢) البحار ج٦١ ص٢٦٧ وج٧٣ ص٣٢٩ وج٣٠ ص٥١٥ والوسائل ج١٢ ص٢٢٠ وج٨ ص٣٧٩ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٢٤ والحدائق الناضرة ج١٨ ص١٠٠ ونيل الأوطار ج٨ ص١٣٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥ والأمالي للصدوق ص٥١٠ ومكارم الأخلاق ص٤٢٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٥٠٧ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٤١ وشرح صحيح مسلم ج١٢ ص٢١٨ وعن فتح الباري ج٦ ص١٣٠ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٤ وعون المعبود ج٧ ص٢٧٣ والسير الكبير ج٣ ص١٠٤٥.

(٣) مسند أحمد ج٣ ص٤٨٤ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٥٩ و ١٦٨ وج٨ ص١٩٦ وكشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص٢٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٤ وراجع: المعجم الكبير ج٥ ص٦٧ وكنز العمال ج١٥ ص٤٢٣ وأسد الغابة ج٢ ص١٦٣ و ٣٦٧.

(٤) سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٥٩.

(٥) نهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩.

٢٨ ـ أن لا يلح عليها بالحلب، حتى لا يتضرر ولدها[1].

٢٩ ـ أن يفرق ركوبه على ما معه من الدواب، ولا يحصره بواحدة منها[2].

٣٠ ـ أن يريح الجمل الذي يتعب، ويرفق به[3].

٣١ ـ أن يراعي حال الجمل الذي نقب خفه وتخرق[4].

٣٢ ـ أن يراعي حال الجمل الذي يغمز في مشيته[5].

٣٣ ـ أن لا ينفِّر بهيمة، ولا يفزعها.

٣٤ ـ أن لا يتعبها[6].

---

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) نفس المصادر السابقة.

(٤) نفس المصادر السابقة.

(٥) نفس المصادر السابقة.

(٦) ذكر هذه الخصوصية أيضاً في: كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٧ ونهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء =

٣٥ـ أن لا يعنف في سَوْقِها.

٣٦ـ أن لا يجهدها بركوبه[1].

٣٧ـ أن يوردها المياه التي تمر بها[2].

= (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(١) نهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

٣٨ ـ أن لا يعدل بها عن مواضع النبات إلى جوادّ الطرق[١] فإن جادة الطريق لا نبات فيها.

٣٩ ـ أن يروحها في الساعات[٢].

٤٠ ـ أن يمهلها عندما تمر بالمياه القليلة أو بالأعشاب[٣].

---

(١) ذكر هذه الخصوصية أيضاً في: البحار ج٦١ ص٢٠١ و ٢٠٢ وج٢٥ ص٢١٠ و ٢١١ وج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩٢ و ٩١ وج٨ ص٣٢٤ و ٣٥٠ و ٣٥١ ونهج البلاغة ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ و (ط أخرى) ج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ والكافي ج٣ ص٥٣٧ والوسائل ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٢٥ الوصية رقم٢٥ وراجع: الكافي ج٣ ص٥٣٦ و ٥٣٧ والمقنعة للشيخ المفيد ص٥٤٢ و ٢٥٦ والسرائر ص١٠٧ =

٤١ ـ أن لا يضرب الدابة إذا مشت تحته كمشيتها إلى مذودها[1].

٤٢ ـ أن لا يضرب الدابة على وجهها[2].

= ومستدرك الوسائل (ط حجرية) ج١ ص٥١٦ و (ط مؤسسة أهل البيت) ج٧ ص٦٩ وج٦ ص٨٩ و ٩١ وروضات الجنات ج٨ ص١٢٢ وربيع الأبرار الباب ٥٢ باختلاف يسير، والبحار ج٩٣ ص٩٠ و ٩١ وج٨ ص٧٣٣ ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ والغارات ج١ ص١٢٨ ـ ١٣٠ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(١) الوسائل ج٨ ص٣٥٤ و ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٧ ج٦ ص٨٩ و ٩١ والبحار ج٦١ ص٢١٠ و ٢١٥ و ٢١٣ و ٣١٧ ج٣٣ ص٥٢٥ وج٤١ ص١٢٧ وج٩٤ ص٩١ عن أمالي الصدوق، وعن من لا يحضره الفقيه، وعن الكافي، والجامع للشرايع ص٣٩٨ والكافي ج٦ ص٥٣٨ وج٣ ص٥٣٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٦ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٤ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ ونهج البلاغة (شرح عبده) ج٣ ص٢٥ والمقنعة ص٢٥٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٦٩ والغارات ج١ ص١٢٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج١ ص٤٨١ وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج١ ص٢٣٢ وج٥ ص٢٤٧ ومدارك الأحكام ج٥ ص٢١٠ وذخيرة العبادة ج٣ ص٤٥٤ وجواهر الكلام ج١٥ ص٣٣٤ ونهج السعادة ج٨ ص١١٤ وميزان الحكمة ج٣٠ ص١٩٣٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥٢ ومنتقى الجمان ج٢ ص٤٢٠.

(٢) الوسائل ج٨ ص٣٢٤ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٣ و ٣٥٤ وج٦ ص٣٥٠ ومستدرك =

٤٣ ـ أوصى الإمام السجاد «عليه السلام» بالجمل الذي حج عليه مراراً، أن يدفن بعده إذا مات، حتى لا تأكل لحمه السباع[1].

= الوسائل ج٣ ص٦٤ والبحار ج٦١ ص٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢١٣ وج٧٣ ص٢٧١ عن الكافي ج٦ ص٥٣٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٧، والمحاسن ج٢ ص٦٢٨ و ٦٣٣ والخصال ص٦١٨، وأمالي الصدوق ص٥٩٧، ونوادر الراوندي، والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤٠٧ و ٤٠٨ وج٤ ص٦٤٠وكنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٦٧ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٥٥ و ٢٥٤ وعون المعبود ج٢ ص٣٣١ وج٧ ص١٦٦والجامع للشرايع ص٣٩٨ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٩٩٦ والموسوعة الفقهية الميسرة ج٣ ص٢٣٩ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ وتحف العقول ص١٠٨ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٥٤ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٣ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٤٣٧ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٥٠ وشرح صحيح مسلم ج١٤ ص٩٦ وفقه السنة ج٣ ص٥٠٩ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٠٠ والجامع الصغير ج١ ص٢٤٠ وفيض القدير ج٢ ص٢٠٧ وإرواء الغليل ج٧ ص٢٤٢ وتفسير الميزان ج١٣ ص١٢١ والتحفة السنية ص٣٣٠ و ٣٤٣ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٩٤ ونور الثقلين ج٣ ص١٦٨.

(١) راجع: البحار ج٦١ ص٢٠٦ وراجع ص٢٠٤ و ٢١٢ و ٢١٥ وج٤٦ ص٧٠ و ٧١ وج٩٣ ص٣٨٦ والمحاسن ج٢ ص٦٣٥ وعن من لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٩١ عن الإرشاد للمفيد (ط مكتبة الآخندي) ص٢٤٠ والوسائل ج٨ ص٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ عن المحاسن، ومن لا يحضره الفقيه، والإرشاد، وثواب الأعمال ص٥٠، والخصال ص٥١٨ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٣٥ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٥٤ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١٨٨ ودرر الأخبار ص٣٢٨ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٠٩ ونور الثقلين ج١ ص٧١٥.

٤٤ ـ إذا ركب الدابة، فعليه أن يحملها على ملاذِّها[1].

٤٥ ـ أن يعطيها حقها من المنازل[2].

٤٦ ـ أن لا يركبها إلا إذا كانت صحيحة سالمة[3].

٤٧ ـ أن لا يتخذها كراسي للحديث في الطرق والأسواق[4].

وعلى حد تعبير بعضهم: أن لا يجعل الحيوان المتصرف (أي المتحرك) بمنزلة الجماد الثابت، والشيء النابت.

أي أن عليه: أن لا يفرض على الحيوان الوقوف، وعدم الحركة.

فقد قال الشريف الرضي: «ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، وقد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم، يتنازعون الأحاديث،

---

(١) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٥ عن الدارقطني في الأفراد، والفايق في غريب الحديث ج٣ ص١٩٨ والجامع الصغير ج١ ص١٠٠ وفيض القدير ج١ ص٤٦٨.

(٢) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٥.

(٣) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٥ و ٣٧ عن الطبراني، ومستدرك الحاكم، وأحمد، وأبي داود، وصحيح ابن خزيمة، وابن حبان وغير ذلك.

(٤) المجازات النبوية ص٤٣٧ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٢ ومسند أحمد ج٣ ص٤٣٩ و ٤٤٠ ومجمع الزوائد ج٨ ص١٠٧ وج١٠ ص١٤٠ والجامع الصغير ج١ ص١٤٦ وفيض القدير ج١ ص١٦١ وتفسير الميزان ج١٣ ص١٢٢ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٤٥ والدر المنثور ج٤ ص١١١ و ١٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٣٨٨ و ٣٨٧ وبغية الباحث ص٢٧٠ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص١٤٢ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٤٣٧ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٩٣ وموارد الظمآن ص٤٩١ وذيل تاريخ بغداد ج٥ ص٩٦ والإصابة ج١ ص٨٢؛ والبحار ج٦١ ص٢٠٥ و ٢١٤.

فقال عليه الصلاة والسلام:

«لا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوب خير من راكبه».

وهذه استعارة، كأنه عليه الصلاة والسلام شبَّه الدواب والرواحل في حالة إطالة الوقوف على ظهورها، بالكراسي التي يجلس عليها، لأنها تثبت في مواضعها، ولا تزول إلا بمزيل لها، فنهى عليه الصلاة والسلام أن يجعل الحيوان المتصرف بمنزلة الجماد الثابت، والشيء النابت»[1].

٤٨ ـ أن لا يسمها في وجوهها وفي خدها[2]، وإنما في أذنها.

٤٩ ـ أن يرفق في السير إذا سار بها في أرض مخصبة، ويسرع السير إذا

---

(١) المجازات النبوية ص٤٣٧.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤٠٧ وكنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٦ و ٣٧ و ٣٨ عن أحمد، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والطبراني، وعبد الرزاق، والدارقطني في المؤتلف، والبارودي، وابن قانع، وابن السكن، وابن شاهين، وأبي نعيم، وسعيد بن منصور، وراجع: عون المعبود ج٢ ص٣٣٢ والبحار ج٦١ ص٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٠٥ و ٢١٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢١٠ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٨ والوسائل ج٨ ص٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٣ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٥٥ وعن فتح الباري ج٩ ص٥٧٩ وعن البخاري ج٧ ص١٢٦ والمحاسن ج٢ ص٦٣٣ و ٦٢٧ وجامع المدارك ج٤ ص٤٩٠ وفقه الصادق ج٢٢ ص٣٤٧ والكافي ج٦ ص٥٣٧ والفصول المهمة ج٣ ص٣٤٩ وتفسير الميزان ج١٣ ص١٢٢ والمبسوط ج١ ص٢٦١ والبيان ص٢٠١ ومجمع الفائدة ج٤ ص٢٢٧ والحدائق الناضرة ج٢٥ ص١٤٢ وأمالي الصدوق ص٥٩٧ والفايق في غريب الحديث ج١ ص١٨٩.

سار بها في أرض مجدبة[١].

٥٠ ـ أن لا يخصي البهائم[٢].

---

(١) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٥ عن البزار، وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص٢٣٧ وراجع: البحار ج٦١ ص٢١٣ وج٧٣ ص٢٧٩ وج٧٢ ص٦٢ والوسائل ج٨ ص٣٣١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص٢٥٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٥٧ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٨ وعون المعبود ج٢ ص٣٣٣ وعن صحيح مسلم ج٣ رقم ١٥٢٥ والجامع للشرايع ص٣٩٨ والمحاسن ج٢ ص٣٦١ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٠ ومكارم الأخلاق ص٢٦٢ والجامع الصغير ج١ ص١٠٣ و ١٠٤ وفيض القدير ج١ ص٤٧٤ و ٤٨٠ وشرح أصول الكافي ج٨ ص٣٣٦ ومسند أحمد ج٢ ص٣٣٧ وشرح صحيح مسلم ج١٣ ص٦٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص١٦١ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص١٤٤ ورياض الصالحين للنووي ص٤٣٥ والكامل ج٣ ص٣٥ وسنن الترمذي ج٤ ص٢٢٠ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٥٢ وصحيح ابن حبان ج٦ ص٤٢٠ و ٤٢٢ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٥٥ وموارد الظمآن ص٢٤٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٧٣ وج١٦ ص١٣٦.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج٥ ص٢٦٥ وكشف الأستار ج٢ ص٢٧٤ وراجع: البحار ج٦١ ص٢٢٣ و ٢٢٤ وج١٠٠ ص١٩١ والوسائل ج٨ ص٣٨٢ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٤٨ و ٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٤ وتحفة الأحوذي ج٤ ص١٧٠ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٥٦ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٣١٧ والكامل ج٢ ص١٨١ والفصول المهمة ج٣ ص٢٥٤ و ٣٥٢ والمحاسن ج٢ ص٦٣٤.

٥١ ـ أن لا يحرِّش فيما بينها[1] إلا الكلاب.

وفسره المجلسي: بأن المراد: تحريش الكلب على الصيد، لا تحريش الكلاب على بعضها.

٥٢ ـ أن يهيء للبهيمة الضالة، مكاناً ويطعمها ويسقيها[2].

---

(١) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٧ عن الترمذي، وأبي داود، وراجع: البحار ج٦١ ص٢٢٣ و ٢٢٦ و ٢٢٧ وج٩٧ ص١٩١ والمحاسن ص٦٣٤ و ٦٢٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٦٠، والسرائر ج٣ ص٥٦٣ المستطرفات، والكافي ج٦ ص٥٥٤، وسنن أبي داود ج١ .ص٥٧٧ وج٣ ص٣٦ وعون المعبود ج٢ ص٣٣١ وج٧ ص١٦٥ والوسائل ج٨ ص٣٨٢ ومسند ابن أبي الجعد ص٣١٣ والأدب المفرد ص٢٦٣.

وراجع: المعجم الأوسط ج٢ ص٣٣١ والكامل ج٣ ص١٩١ و ٢٣٨ وج٦ ص٦ والجامع للشرايع ص٣٩٧ ونيل الأوطار ج٨ ص٢٤٩ وفقه السنة ج٣ ص٥١١ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٨٧ وكنز الفوائد ص٢٩٤ وعوالي اللآلي ج١ ص١٧١ والفصول المهمة ج٣ ص٣٥٢ و ٣٥٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٥٥ ومواقف الشيعة ج٣ ص٢٠١ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٤ وسنن الترمذي ج٣ ص١٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٢ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٢٩٩ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٤٥٤ ومسند أبي يعلى ج٤ ص٣٨٩ والمعجم الكبير ج١١ ص٧٠ والجامع الصغير ج٢ ص٦٨٣ وفيض القدير ج٢ ص٤٥٢ وضعيف سنن الترمذي ص١٩٥.

(٢) البحار ج٤١ ص١١٨ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص١١١ ودعائم الإسلام ج٢ ص٤٩٧ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص١٣٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص١٣٣.

٥٣ ـ أن لا يجيعها[١].

٥٤ ـ أن لا يورد ذا عاهة منها على مصح[٢].

---

(١) كنز العمال (ط الهند) ج٩ ص٣٧ و (ط سوريا) ج١٣ ص٣٨٢ عن الطبراني والبحار ج٦١ ص١١١ وميزان الحكمة ج١ ص٧١٢ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وسنن أبي داود ج١ ص٥٧٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٣٧ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص١٥٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص١٥٩ ورياض الصالحين للنووي ص٤٣٧ والعهود المحمدية ص٣٩٥ وتفسير الإمام العسكري ص٦٣٩ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٣٨٤ وج٥ ص١٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٧٤ وأسد الغابة ج٣ ص١٣٤ وتهذيب الكمال ج١ ص٢٣٧ وج٦ ص١٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٥٧ والبداية والنهاية ج٦ ص١٥١ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٥١٢ وج١٢ ص٤٠٥.

(٢) الوسائل ج٨ ص٣٧١ عن معاني الأخبار ص٨٢ وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٦٨ و ٦٩ و ٧١ عن أحمد والبيهقي، وأبي داود، وابن جرير والتحفة السنية ص٣٣٩ ونيل الأوطار ج٧ ص٣٧٢ و ٣٧٥ و ٣٧٧ وفقه السنة ج١ ص٤٩٧ والقواعد والفوائد ج١ ص٣٩٧ وج٢ ص٣٨٣ والطرائف ص٢١٣ ونهاية الدراية ص١٨٦ ومسند أحمد ج٢ ص٤٠٦ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٣١ وصحيح مسلم ج٧ ص٣١ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٣١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٣٥ و ٢١٦ وشرح صحيح مسلم ج١ ص٣٥ وج١٤ ص٢١٣ وفتح الباري (المقدمة) ص١٣٩ وج١٠ ص١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ٢٠٦ والديباج على مسلم ج٥ ص٢٣٧ وعن عون المعبود ج١٠ ص٢٩٠ و ٢٩١ والمصنف للصنعاني ج١٠ ص٤٠٤ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٣٠٣ و ٣٠٧ و ٣١٠ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٤٨٢ و ٤٨٤ والمعجم الأوسط =

فعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يورد ذو عاهة على مصح.

وأما الروايات التي تحدثت عن أنه لا عدوى ولا طيرة[1] فلعله يراد بها: المنع من أن يصل في ذلك إلى حد الوسواس..

وإلا فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله»: ما يدل على عدوى بعض الأمراض، مثل الجذام، والطاعون، فراجع[2].

مع ملاحظة: أن بعض ما كان يظنه الناس معدياً لم يكن معدياً في واقع الأمر، فلعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال: لا عدوى، أو من الذي عدى الأول[3] ناظر إلى خصوص المرض الذي سأله السائل عنه.

٥٥ ـ أن يؤخر حمل الدابة[4].

٥٦ ـ أن تكون الأحمال على ظهور الدواب متعادلة غير مائلة[5].

= ج٤ ص١٢ وفيض القدير ج٦ ص٥٦١ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٧٩ والفصول في الأصول ج٣ ص١٣١ والعلل ج٣ ص٢٠٠ والتاريخ الكبير ج٢ ص٢٧٠١ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٦٩ والإصابة ج١ ص٦٦ و ٦٧ والبداية والنهاية ج٨ ص١١٣.

(١) راجع على سبيل المثال: كنز العمال (ط الهند) ج١٠ص٦٨ ـ ٧٣ وسائر المصادر السابقة.

(٢) كنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٦٨ و ٦٩ و ٧٠ عن أحمد، والبخاري، وابن خزيمة، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي وراجع: سائر المصادر السابقة.

(٣) راجع: كنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٦٨ ـ ٧٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٢ والوسائل ج٨ ص٣٩٤ والبحار ج٦١ ص٢١٥.

(٥) البحار ج٦١ ص٢٠٤ والوسائل ج٨ ص٣٩٤ عن المحاسن، ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٢ والمحاسن ج٢ ص٣٦١.

٥٧ ـ أن لا يجلس على الدابة متوركاً[١].

٥٨ ـ النهي عن إعطاء القنبرة للصبيان يلعبون بها[٢].

٥٩ ـ كان الإمام السجاد «عليه السلام» يتعمد أن يزرع، لتنال القنبرة من الطير من ذلك الزرع[٣].

٦٠ ـ أن يبقي في الصحراء ما يقع من الخوان لتنال منه هوام الأرض[٤].

٦١ ـ أن لا يركب على الدابة ثلاثة أشخاص[٥].

---

(١) البحار ج٦١ ص٢١٤ عن الكافي، والوسائل ج٨ ص٣٥٢ عن الكافي ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٧ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٦٤٨ والتحفة السنية ص٣٤٢ والعروة الوثقى (ط قديم) ج٢ ص٤١٥ وج٤ ص٣٣٤ والكافي ج٦ ص٥٣٩ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ وكتاب النوادر ص١٢١.

(٢) الوسائل ج١٦ ص٢٤٩ عن الكافي (الفروع) ج٦ ص٢٢٥ وعن التهذيب ج٩ ص١٩ وكشف اللثام (ط قديم) ج٢ ص٢٦٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٠٩ ومسند الإمام الرضا ج٢ ص٣١٧ وشرح اللمعة ج٧ ص٢٨٤ ومسالك الأفهام ج١٢ ص٤٦ ومجمع الفائدة ج١١ ص١٨٤ وجواهر الكلام ج٣٦ ص٣١٣ وجامع المدارك ج٥ ص١٥٥ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٢٣ والبحار ج٥٨ ص٣٠٣.

(٣) الوسائل ج١٦ ص٢٥٠ والكافي (الفروع) ج٦ ص٢٢٥ ومجمع الفائدة ج١١ ص١٨٤ وأمالي الطوسي ص٦٨٨ والبحار ج٦١ ص٣٠٤ وج١٠٠ ص٦٧ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٢٣.

(٤) المحاسن ج٢ ص٤٤٥ والكافي ج٦ ص٣٠١ والوسائل ج١٦ ص٤٩٩ والفصول المهمة ج٢ ص٤٤٠ والبحار ج٦٣ ص٤٢٩.

(٥) الوسائل ج٨ ص٣٦٣ و ٥٧٢ عن الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والمحاسن =

٦٢ ـ أن لا ينام على الدابة، فإن ذلك يسرع في دبرها[1]. (أي في ظهور التقرحات، والجروح في ظهرها).

٦٣ ـ أن لا يلعنها[2].

٦٤ ـ أن لا يشتمها[3]. بأن يقول لها: قبح الله وجهك مثلاً.

= والخصال، والبحار ج٦١ ص٢٠٣ و ٢١٩ وج٧٣ ص٣٥٧ و ١٥٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٢٢ وكنز العمال ج٩ ص١٩٥ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٧ وفتح الباري ج١٠ ص٣٣٢ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٤٩ والمحاسن ج٢ ص٦٢٧ والكافي ج٦ ص٥٤١ وعلل الشرايع ج٢ ص٥٨٣ والخصال ص٩٩.

(١) الوسائل ج٨ ص٣٥٣ عن المحاسن، والكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والتحفة السنية ص٣٤٢ والحدائق الناضرة ج١٤ ص٥٨ وكشف الغطاء ج٢ ص٤٢٣ وجواهر الكلام ج١٨ ص١٦٩ والعروة الوثقى (ط قديم) ج٢ ص٤١٧ وج٤ ص٣٣٧ والمحاسن ج٢ ص٣٧٥ والكافي ج٨ ص٣٤٩ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٩٧ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٩١ ومكارم الأخلاق ص٢٥٣ والبحار ج١٣ ص٤٢٣ وج٧٣ ص٢٧١ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص٨٣ وقصص الأنبياء ص٣٧٠.

(٢) راجع: عون المعبود ج٢ ص٣٣١ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٨٨ والبحار ج٦١ ص٢١٢ و ٢٠٣ والوسائل ج٨ ص٣٥٣ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٦ والسنن الكبرى ج٥ ص٢٥٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٧ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٥١ وكتاب الدعاء ص٥٧٧ والمعجم الكبير ج١٨ ص١٨٩ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ وميزان الحكمة ج٤ ص٢٧٨٤.

(٣) راجع: البحار ج٧٣ ص٣٢٩ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٦٤ والوسائل ج٨ =

٦٥ ـ عليه أن يسمن دوابه، وأن تكون فارهة[1].

٦٦ ـ نُهي عن ضراب الجمل للناقة، وولدها طفل، إلا أن يتصدق بولدها، أو يذبح[2].

٦٧ ـ أن لا يضرب الدابة إذا عثرت[3]، وفي رواية أخرى: نفرت[4].

= ص٣٥١ و ٣٥٣ وجواهر الكلام ج٣١ ص٣٩٤ والتحفة السنية ص٣٤٣ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٤ والفصول المهمة ج٣ ص٣٤٩.

(١) راجع: البحار ج٦١ ص٢١٥ عن الكافي، والسنن الكبرى ج٨ ص١٤ والوسائل ج٨ ص٣٤٦ ومستدرك الوسائل (ط حجرية) ج٢ ص٤٩ والدروس ج١ ص١٢٩ والذكرى ص٢٠ وميزان الحكمة ج٤ ص٢٨٨.

(٢) البحار ج٦١ ص٢٢٤ والوسائل ج١٢ ص١٧٣ والكافي ج٦ ص٢٥٤ و ٢٥٥ وج٥ ص٣٠٩ وجواهر الكلام ج٢٢ ص٤٦٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٣٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٥٢ ومسند الشاميين ج٢ ص٢٣٢ وج٤ ص١٣٤ والثقات ج٥ ص٣٢٧.

(٣) البحار ج٦١ ص٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢١٤ و ٢١٩ وج٧٦ ص٢٤٥ والمحاسن ج٢ ص٦٢٧ و ٦٣٣ والكافي ج٦ ص٥٣٨ و ٥٣٩ والوسائل ج٨ ص٣٥٧ و ٦٣٣ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٩٩٦ والتحفة السنية (مخطوط) ص٣٤٣ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٥ والكامل ج٤ ص٣٣٦ وتهذيب الكمال ج١٤ ص١٤٩ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣٧٥ وأصول السرخسي ج٢ ص٣٤٤ والسير الكبير ج١ ص٥٦ ورد المحتار لابن عابدين ج٤ ص٣٤٨.

(٤) البحار ج٦١ ص٢٠٢ والأمالي للصدوق ص٥٩٧ والوسائل ج٨ ص٣٥١ ومنتهى المطلب (ط قديم) ج٢ ص٦٤٨ والتحفة السنية (مخطوط) ص٣٤٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٦ وتأويل مختلف الحديث ص٥٠ ومجمع =

ونرجح الرواية التي تقول: إضربوها على العثار ولا تضربوها على النفار، لأنها قد عللت ذلك بالقول: فإنها ترى ما لا ترون. أي: أن نفورها لم يكن بلا سبب، بل لأنها قد رأت أمراً لا ترونه انتم.

وأما عثارها فيدل على خمولها وتكاسلها فيما يطلب منها الجد فيه..

وقد يؤيد ذلك: بما ورد من جواز ضربها إذا لم تمش فيك كما تمشي إلى مذودها.

٦٨ ـ أن لا يقول للدابة إذا عثرت: تعست[1].

٦٩ ـ أن لا يستقصي حلب الدابة حتى لو لم يكن لها ولد، بل يبقي شيئاً في ضرعها، فإن ذلك يوجب در الحليب[2].

٧٠ ـ أن لا يجز نواصي الخيل، ولا أعرافها، ولا أذنابها[3].

= البحرين ج٣ ص١٢١ العروة الوثقى ج٢ ص٤١٥ وج٤ ص٣٤٣ ومكارم الأخلاق ص٢٦٣ والفصول المهمة للعاملي ص٣٤٩.

(١) الوسائل ج٨ ص٣٥٢ و ٣٥٦ والبحار ج٦١ ص١٦٩ و ٢٠٩ والتحفة السنية (مخطوط) ص٣٤٣ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٨٧ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٦٤.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٤ ص٣١١ و ٣٢٢ و ٣٣٩ وسنن الدارمي ج٢ ص٨٨ والبحار ج٧٣ ص٣٤٨ وج٦١ ص١٤٨ ومعاني الأخبار ص٢٨٤ والنهاية في اللغة ج٢ ص٢٥ والمجازات النبوية ص٢٥٠ ونهج البلاغة (شرح عبده) الرسالة رقم ٢٥ والسنن الكبرى ج٨ ص١٤ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧ ص٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٦٩.

(٣) مكارم الأخلاق ص٢٦٤ والبحار ج٦١ ص١٧٣ ومستدرك سفينة البحار ج٣=

٧١ـ أن لا يصري الضرع[١].

والتصرية: ترك ذات الدر أن لا تحلب أياماً ليجتمع اللبن في ضرعها، فيُرى غزيراً.

غير أن هذا النهي قد لا يكون لأجل الرفق بالدابة، وإنما لأنه يستبطن تدليساً، أو غشاً للمشتري..

٧٢ـ أن لا يطأ بها زرعاً، لكي لا تعثر[٢].

٧٣ ـ أن لا يطيل الركوب على الدابة بغير حاجة، وترك النزول للحاجة[٣].

٧٤ـ أن يهتم بحفظها حتى لا تضيع وتتلف[٤].

= ص٢٤٥ ومسند أحمد ج٤ ص١٨٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٧٣ ومسند الشاميين ج١ ص٢٦٨ وكتاب أمثال الحديث ص١٥٣ وكنز العمال ج١٤ ص١٨١ والدر المنثور ج٣ ص١٩٧ وأسد الغابة ج٣ ص٣٦٣.

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٠ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٣٠٤ وشرح مسلم للنووي ج١٠ ص١٦٥ ومسند الطيالسي ص٣٢٩ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٠ ومجمع البحرين ج٢ ص٦٠٧ والخلاف ج٣ ص١٠٢ و ١٢٦ وتذكرة الفقهاء (ط قديم) ج١ ص٥٢٦ ومجمع الفائدة ج٨ ص٤٤٣ والحدائق الناضرة ج١٩ ص٩٣ ومختصر المزني ص٨٢ وتلخيص الحبير ج٨ ص٣٣٣ والمغني ج٤ ص٢٣٣.

(٢) مكارم الأخلاق ص٣٤٩ و ٢٦٣ والبحار ج٧٣ ص٢٩١.

(٣) البحار ج٦١ ص٢١٩ والسنن الكبرى ج٥ ص٢٥٥.

(٤) مستدرك الوسائل ج٣ ص٥٠ عن دعائم الإسلام.

٧٥ ـ أن لا يربط قوائم الدابة بعضها ببعض، ثم يتركها لترعى[١].

فقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كره الشكال في الخيل.

وقد فسروا الشكال: بكون رجلي الفرس محجلتين بأن يكون فيهما بياض، وهو كلام غير دقيق، فقد اختلفت أقوالهم من حيث إن الشكال هل يكون في يد ورجل، أو يكون في رجل واحدة، أو في رجلين ويد، أو في يدين ورجل.

ونقول:

إن ما ذكروه في معنى الشكال: هو المعنى المجازي للشكال، ومعناه الحقيقي هو: العقال. ولم يظهر أنه «صلى الله عليه وآله» قد قصد المعنى المجازي، بل الظاهر هو: إرادة معناه الحقيقي، أي أنه ربط قوائم الفرس ببعضها البعض.

وهو معنى صحيح، فلماذا لجأوا إلى المعنى المجازي، وتركوا المعنى الحقيقي للعبارة؟!

٧٦ ـ أن لا يصفِّر بالغنم، إذا كانت ذاهبة إلى مرعاها[٢].

---

(١) معاني الأخبار ص٢٨٤ والبحار ج٦١ ص١٩٧ وج٧٣ ص٣٤٨ وسنن الترمذي ج٣ ص١٢١ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٥٣٣ والمعجم الأوسط ج٧ ص٢٣٤ والفايق في غريب الحديث ج٢ ص٢١٣ والتاريخ الكبير ج٤ ص١٥٦ وغريب الحديث ج٣ ص١٨ والصحاح ج٥ ص١٧٣٧ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٤٩٦ ولسان العرب ج١١ ص٣٥٩ .

(٢) البحار ج٦١ ص١٥٠ والوسائل ج٨ ص٣٧١ والمحاسن ص٦٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٤.

٧٧ ـ أن لا يقتل النحل، والنمل، والصرد، والخطاف، والهدهد، وغيرها مما ورد النص بخصوصه[1].

٧٨ ـ أن لا يسقي البهائم الخمر[2] وغير ذلك مما لا يحل أكله أو شربه..

٧٩ ـ أن يجلس على الولايا، أو يضطجع عليها، ربما لكي لا يعلق بها الشوك أو التراب، فتضر الدابة حين توضع على ظهرها[3].

٨٠ ـ إذا كان يأكل طعامه، فليطعم منه الحيوان الذي ينظر إليه[4].

---

(١) الجامع للشرايع ص٣٨٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٦٥ وج٤ ص٩ وأمالي الصدوق ص٥١٢ والوسائل ج٨ ص٣٥٣ ومكارم الأخلاق ص٤٢٧ والبحار ج٦١ ص٢١٥ و ٢٦٧ وج٧٣ ص٣٣١ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٥٠٧ وج١٠ ص٧ و ٢٢٢ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٤٤ والمعجم الكبير ج١٢ ص٣٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص١٧٢ والكامل ج٦ ص١٠١ وفتح العزيز ج٧ ص٤٨٩ وتلخيص الحبير ج٧ ص٤٨٩.

(٢) النهاية ص٥٩٢ والمهذب ج٢ ص٤٣٣ والسرائر ج٣ ص١٣٢ ومختلف الشيعة ج٨ ص٣٤٦ والبحار ج٦٣ ص٤٩٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤٣٢ والدر المنثور ج٢ ص٣٢٥ وطبقات المحدثين بإصبهان ج٢ ص٣٣١ وج٣ ص٥٨٩ وميزان الإعتدال ج٣ ص٩ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص١٣٣ وج٢ ص٢٤٧.

(٣) المصنف للصنعاني ج١١ ص٣٢ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٧٨.

(٤) البحار ج٤٣ ص٣٥٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٨ ص٥١٦ ومستدرك الوسائل ج٧ ص١٩٧ وج٨ ص٢٩٥ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص١٥٥ وميزان الحكمة ج١ ص٩٢.

٨١ ـ أن لا يغني في حال ركوبه الدابة[1].

٨٢ ـ أن لا ينزي حماراً على عتيقة[2]. والمراد بالعتيقة: الفرس العربية.

٨٣ ـ أن يقلد الخيل، ولا يقلد الدابة الأوتار[3].

---

(١) البحار ج٦١ ص٢٠٤ و ٢٠٦ وج٧٣ ص٢٩١ وج٤٦ ص٢٤٥ و ٢٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٤٨ والوسائل ج٨ ص٣٠٦ و ٣٠٧ والمحاسن ص٦٢٧.

(٢) البحار ج٦١ ص٢٢٤ و ٢٢٥ وج١٦ ص٣٦٦ وج٢٧ ص٥٠ وج٧٠ ص٣٢١ وج٧٧ ص٢٧٠ و ٣٠٣ وج١٠٠ ص٥٩ والوسائل ج١ ص٣٤٣ وج٦ ص١٨٧وج١٢ ص١٧٣ والرسالة السعدية ص٩٣ ومصباح المنهاج ج٣ ص٢٨٠ ومسند زيد بن علي ص٤٦٣ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٣٣ ومستدرك الوسائل ج١ ص٣٣٤ وج٨ ص٣٠١ وج١٣ ص١٨٦ ومسند الرضا لداود الغازي ص١٤٤ وسنن النبي ص٢٧٣ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٢١٢ وصحيفة الرضا ص٩٤ و ٥ والدروس ج٣ ص١٨٣ والكافي ج٥ ص٣٠٩ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٥٢ وتفسير الميزان ج٦ ص٣٣٠ وحياة الإمام الرضا ج١ ص٢٤٨ ومجمع البحرين ج٣ ص١١٧.

(٣) البحار ج٦١ ص٢١٠ والمجازات النبوية ص٢٥٩ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٦٠ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٤٥ وكتاب النوادر ص١٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٤٥ ومسند أحمد ج٣ ص٣٥٢ وج٤ ص٣٤٥ وسنن أبي داود ج١ ص٥٧٦ وسنن النسائي ج٦ ص٢١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٣٠ ومجمع الزوائد ج٥ ص٢٥٩ و ٢٦١ وعن فتح الباري ج٦ ص٩٩ وحاشية السندي على النسائي ج٦ ص٢١٨ وعن عون المعبود ج٧ ص١٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٧٠٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٣٧ =

وأما ما ورد: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» نهى عن أن تقلد الدابة الأوتار، وأمر بقطع قلائد الخيل[1]، فقد يكون ذلك النهي لأجل أنها قد قلدت الأوتار التي كان «صلى الله عليه وآله» قد نهى عنها.

٨٤ ـ أن لا يسفد الفحل أنثاه على ظهر الطريق، إلا أن يواريا، بحيث لا يراهما رجل ولا امرأة[2].

وقد أظهرت الشروط المعتبرة في الذبح، الكثير من الحالات التي يجب مراعاتها، والتي تدخل في سياق الرفق بالحيوان، ومنها ما يلي:

= ومسند أبي يعلى ج١٣ ص١١٥ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٧٤ والمعجم الأوسط ج٩ ص١٣ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٣٨١ ومسند الشاميين ج١ ص٤٣٠ الفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٤٤ والجامع الصغير ج١ ص٦٤٠ وكنز العمال ج١٦ ص٤٢٢ وج١٢ ص٣٢٨ وفيض القدير ج٣ ص٦٨٢ و ٦٨٣ وكشف الخفاء ج١ ص٣٩٨ وأحكام القرآن ج٣ ص٨٩ و ٥٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٣٧ والدر المنثور ج٣ ص١٩٦ و ١٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٨٤ و ٣٨٦ والنهاية في غريب الحديث ج٤ ص٩٩ وج٥ ص١٤٨ ولسان العرب ج٣ ص٣٦٦ وج٥ ص٢٧٤ ومجمع البحرين ج٣ ص٥٤٠ وتاج العروس ج٢ ص٤٧٥.

(١) البحار ج٦١ ص٢١٧ وحياة الحيوان ج١ ص٢٨٨.

(٢) المحاسن ص٦٣٤ والبحار ج٦١ ص٢٢٥ و ٢٢٦ وج١٠٠ ص٧٨ عنه وعن نوادر الراوندي ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٥٢ والمهذب البارع ج٣ ص١٨٦ ومن لايحضره الفقيه ج٣ ص٤٧٣ والوسائل ج٨ ص٣٨١ وج١٤ ص٩٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٨٦ وج١٤ ص٢٨٨ ومكارم الأخلاق ص٢٣٦ وكتاب النوادر ص١١٩ وعوالي اللآلي ج٣ ص٣٠٥.

٨٥ ـ أن يخفي السكين عن الحيوان[1].

٨٦ ـ أن لا تراه البهيمة وهو يحدُّ شفرته، لذبحها[2].

٨٧ ـ أن يسرع في عملية الذبح[3].

---

(١) ميزان الحكمة ج٣ ص٢٥٠٠ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢٣١ و ٢٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٨٠ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٣ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٣ والمعجم الوسط ج٤ ص٥٣ والمعجم الكبير ج١١ ص٦٣ ونصب الراية ج٦ ص٤٦ والعهود المحمدية ص٢١١ و ٣٩٤ و ٧٢١ وكنز العمال ج٦ ص٢٦٥ وفيض القدير ج٦ ص١٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٧٧.

(٢) مستدرك الحاكم ج٤ ص٢٣١ والمعجم الكبير ج١٢ ص٢٨٩ وكنز العمال (ط الهند) ج٦ ص١٣٧ و ٢٦٥ والبحار ج٦٢ ص٣١٦ و ٣٢٨ ومستدرك الوسائل ج٥ ص٦٣ والمعجم الصغير للطبراني ج٢ ص١٠٥ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٨٠ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٥٥٣ وعون المعبود ج٨ ص٨ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٥٨ والعهود المحمدية ص٣٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٧٧.

(٣) راجع: مسند أحمد ج٢ ص١٠٨ وج٤ ص١٢٣ وسنن النسائي ج٧ ص٢٣٠ والسنن الكبرى ج٣ ص٦٥ ومسالك الأفهام ج١١ ص٤٩١ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٤ ونيل الأوطار ج٩ ص١٨ والبحار ج٦٢ ص٣١٦ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٥٩ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٨٠ ونصب الراية ج٦ ص٤٧ والجامع الصغير ج١ ص٩٥ والعهود المحمدية ص٢١٢ و ٧٢١ وفيض القدير ج١ ص٤٤٦ والكامل ج٤ ص١٤٨ وتاريخ بغداد ج٨ ص٤٩ وميزان الإعتدال ج٢ ص٤٧٩.

٨٨ ـ أن لا يفصل رأس الذبيحة.

٨٩ ـ أن لا يشرع بسلخ جلدها قبل خروج الروح[1].

٩٠ ـ أن يسقي الحيوان الذي يريد ذبحه قبل ذبحه[2].

فقد روي أن الإمام السجاد «عليه السلام» مر على قصاب يذبح كبشاً، فقال له: هل سقيت؟!

٩١ ـ أن لا يذبح ذات الجنين لغير علة[3].

٩٢ ـ أن لا يذبح ذات الدَر. أي التي تحلب، بغير سبب[4].

---

(١) البحار ج٦٢ ص ٣٢٨ والجواهر ج٣٦ ص١٢٣ ومستدرك الوسائل (ط مؤسسة أهل البيت) ج٣ ص٦٦ و ٥٧٠ وج١٦ ص١٣٥ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٠ وكشف اللثام ج٢ ص٢٦٠ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٣٧ ومختلف الشيعة ج٨ ص٣٠٢ وفتاوى ابن الجنيد ص٣١٤.

(٢) مسالك الأفهام ج١١ ص٤٩١ والتحفة السنية ص٣٠٧ ورياض المسائل (ط قديم) ج٢ ص٢٧٦ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٤٨ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٣ وفقه الصادق ج٢٤ ص٤٤ والبحار ج٦٢ ص٣١٥.

(٣) دعائم الإسلام ج٢ ص١٧٧ ومستدرك الوسائل والبحار ج٦٢ ص٣٢٩.

(٤) سنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٦٢ وعن صحيح مسلم ج٦ ص١١٧ وشرح صحيح مسلم ج١٣ ص٢١٤ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٣١٨ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٧ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٥٨ والبحار ج٦٢ ص٣٢٩ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٤٤٠ وتركة النبي ص٦٦ والمعجم الكبير ج١٩ ص٢٥٢ و ٢٥٨ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢٠٨ وتحفة الأحوذي ج٧ ص٣١ وإكرام الضيف ص٥٢ ومسند أبي يعلى ج١ ص٨٠ وج١١ ص٣٧ وج١١ ص٤٢ ورياض الصالحين للنووي ص٢٧٤ والجامع الصغير ج١ ص٤٤٦ =

٩٣ ـ أن يُرْسَلَ إذا ذُبِحَ ولا يكتف. (وهذا في الطير خاصة).

٩٤ ـ أن لا يقلب السكين إذا ذبح، ليدخلها تحت الحلقوم، ويقطعه إلى فوق.

٩٥ ـ أن لا يمسك يد الغنم ورجله إذا ذبحه، بل يمسك صوفه وشعره.

٩٦ ـ أن يعقل البقر، ويطلق الذنب، إذا ذبحها.

٩٧ ـ أن يشد أخفاف البعير إلى آباطه، ويطلق رجليه إذا نحره[1].

٩٨ ـ أن لا يذبح الشاة عند الشاة، ولا الجزور عند الجزور، وهو ينظر إليه[2].

= وكنز العمال ج٦ ص٣٣٢ وج٧ ص١٩٤ و ١٩٦ وفيض القدير ج٣ ص١٥٣ و ١٥٤ وجامع البيان ج٣٠ ص٣٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص١٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٥٨٣ والدر المنثور ج٦ ص٣٨٩ وفتح القدير ج٥ ص٤٩٠.

(١) راجع في هذه الموارد: الوسائل ج١٦ ص٢٥٥ والكافي (الفروع) ج٦ ص٢٢٩ وفقه الصادق ج٤٤ ص٦٠ وكشف الرموز ج٢ ص٣٥٥ والنهاية ص٥٨٤ ومسالك الأفهام ج١١ ص٣٨٦ ومجمع الفائدة ج١١ ص١٣١ وكفاية الأحكام ص٢٤٧ ورياض المسائل (ط قديم) ج٢ ص٢٧٦ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٤٥ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٢ وجامع المدارك ج٥ ص١٢٧ وتهذيب الأحكام ج٩ ص٥٥ والبحار ج٦٢ ص٣٠٠.

(٢) الوسائل ج١٦ ص٢٥٨ والكافي ج٦ ص٢٣٠ والتهذيب ج٩ ص٥٦ و ٨٠ ومختلف الشيعة ج٨ ص٣٠٥ و ٥٥٢ وإيضاح الفوائد ج٤ ص١٣٨ والدروس ج٢ ص٤١٦ والمهذب البارع ج٤ ص١٧٤ ومسالك الأحكام ج١١ ص٤٩٠=

٩٩ ـ أن لا يكسر رقبة الذبيحة، بعدما يذبح حتى تبرد[1].

١٠٠ ـ أن لا يذبح حتى يطلع الفجر[2].

= ومجمع الفائدة ج١١ ص١٣٣ وكشف اللثام (ط قديم) ج٢ ص٢٦٠ والتحفة السنية ص٣٠٧ ورياض المسائل ج٢ ص٢٧٦ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٥١ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٧ وجامع المدارك ج٥ ص١٢٨ وعوالي اللآلي ج٢ ص٣٢١ وج٣ ص٤٦٠.

(١) الوسائل ج١٦ ص٢٦٧ و ٢٥٨ وراجع ص٢٧٦ والتهذيب ج٩ ص٥٥ ـ ٦٠ والبحار ج١٠ ص٢٥٦ وج٦٢ ص٣١٤ و ٣٢٨ وكشف الرموز ج٢ ص٣٥٣ والمهذب البارع ج٤ ص١٧٢ وشرح اللمعة ج٧ ص٢٣١ ومجمع الفائدة ج١١ ص١١٨ و ١٢٩ و ١٣٤ وكشف اللثام (ط قديم) ج٢ ص٢٥٩ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٣٥ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٥ وجامع المدارك ج٥ ص١٢١ و ١٢٨ وفقه الصادق ج٢٤ ص٤٢ والكافي ج٦ ص٢٢٩ و ٢٣٣ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٥ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٣٤ وعوالي اللآلي ج٢ ص٣٢٠ وج٣ ص٤٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٨٠ وعن فتح الباري ج٩ ص٥٢٧ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢١ و ٢٨٣.

(٢) الوسائل ج١٦ ص٢٧٥ و ٢٧٤ وعن الكافي (الفروع) ج٢ ص١٤٩ و ١٤٨ وعن التهذيب ج٢ ص٣٥٣ وجامع المدارك ج٥ ص١٢٤ ومسالك الأفهام ج١١ ص٤٨٩ وكشف اللثام (ط قديم) ج٢ ص٢٦٠ ورياض المسائل (ط قديم) ج٢ ص٢٧٦ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٤ والمبسوط ج١ ص٣٩٣ ومنتهى المطلب ج٢ ص٧٥٩ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٥٠ ونيل الأوطار ج٥ ص٢١٧.

١٠١ ـ أن لا يُجر الحيوان إلى الذبح بعنف[1].

١٠٢ ـ أن لا يَجره برجله إلى الذبح[2].

١٠٣ ـ أن ينزله ويضجعه برفق قبل الذبح[3].

١٠٤ ـ أن يستعمل السكين الحادة[4].

١٠٥ ـ أن لا يقطع النخاع قبل خروج الروح[5].

---

(١) مسالك الأفهام ج١١ ص٤٩١ والتحفة السنية ص٣٠٧ ورياض المسائل (ط قديم) ج٢ ص٢٧٦ ومستند الشيعة ج١٥ ص٤٤٨ وجواهر الكلام ج٣٦ ص١٣٣ وفقه الصادق ج٢٤ ص٤٤ والبحار ج٦٢ ص٣١٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٦٤٠ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٥٩ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٣ والعهود المحمدية ص٣٩٤ وفيض القدير ج٦ ص١٧٥.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٦٤٠ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٣ والعهود المحمدية للشعراني ص٣٩٤ وفيض القدير ج٦ ص١٧٥.

(٣) دعائم الإسلام ج٢ ص١٧٩ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٣٢ عنه.

(٤) مستند الشيعة ج١٠ ص٤٤٨ وكشف اللثام (ط قديم) ج٢ ص٢٥٨ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٧٤ والبحار ج٦٢ ص٣٢٧ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٧٩ والكامل ج٦ ص٤٢٦ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص١٣١.

(٥) راجع: مستدرك الوسائل ج١٦ ص١٣١ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٤٩٢ و ٤٦٣ والوسائل ج١٦ ص٢٥٨ و ١٦٧ وراجع ص٢٧٦ وفي هامشه عن الكافي ج٢ ص١٤٧ و ١٤٨ وعن التهذيب ج٢ ص٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ والبحار ج١٠ ص٢٥٦ وج٦٢ ص٣٢٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٣٣ وإيضاح الفوائد ج٤ ص١٣٧.

١٠٦ ـ أن لا يذبح شيئاً من الحيوان قد رباه[١].

١٠٧ ـ أن لا يذبح الحيوان الذي كان قد اقتناه[٢].

والفرق بين هذا وسابقه واضح، فإن الإقتناء قد يحصل، ولو لم يكن هناك تربية له، لأن تربية الحيوان معناها: أن يكون قد أخذه منذ صغره، وصار يرعاه إلى أن يكبر، وأما الإقتناء: فهو شراء الحيوان والإحتفاظ به مدة من الزمن.

١٠٨ ـ أن لا يكون الذبح هو جزاء المملوك الصالح، فلا يذبح الدابة إذا خدمت خدمة حسنة زماناً[٣].

---

(١) الوسائل ج١٦ ص٣٠٨ وج١٠ ص١٧٥ عن تهذيب الأحكام، والكافي، ومستدرك الوسائل ج٣ ص٦٩، ومجمع الفائدة ج١١ ص١٦٥ وج٧ ص٣١٥ والحدائق الناضرة ج١٧ ص٢١٣ ومستند الشيعة ج١٢ ص٣٦٩ ومسالك الأفهام ج١٢ ص٣٤ ومدارك الأحكام ج٨ ص٨٧ وذخيرة المعاد ج٣ ص٦٧٩ وجواهر الكلام ج١٩ ص٢٣٠ وج٣٦ ص٢٩٣ وجامع المدارك ج٢ ص٤٧٩ وفقه الصادق ج١٢ ص١٢٢ والكافي ج٤ ص٥٤٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٣٩٣ وتهذيب الأحكام ج٥ ص٤٥٢ وج٩ ص٨٣.

(٢) الفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢٠٨ والجامع الصغير ج٢ ص٦٨٩ وكنز العمال ج٤ ص٩٨ وفيض القدير ج٦ ص٤٠٦ وشرح الأسماء الحسنى ج١ ص٢٧٦ والكامل ج٣ ص١٣٥.

(٣) راجع: البحار ج٦١ ص١١٢ و ١٣٧ وج١٧ ص٤٠٢ عن الطبراني والثاقب في المناقب ص٧٨ والعهود المحمدية ص٣٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٤٠٥ وبصائر الدرجات ص٣٧١ والإختصاص ص٣٠٠.

١٠٩ ـ أن يجير الطير إذا استجار به، فإذا دخل منزلك طائر فلا تذبحه[1].

١١٠ ـ أن لا يركلها برجله ليعجل خروج نفسها[2].

١١١ ـ أن لا يحرك الذبيحة من مكانها حتى تفارق الروح[3].

نهاية المطاف:

قد كان هذا الذي ذكرناه غيضاً من فيض، مما يمكن استخلاصه من النصوص المختلفة، من ضوابط وأحكام، ونصائح وتوجيهات، تحدد نظرة الإسلام إلى المخلوقات، وتبين طريقة التعامل معها في الحالات المختلفة..

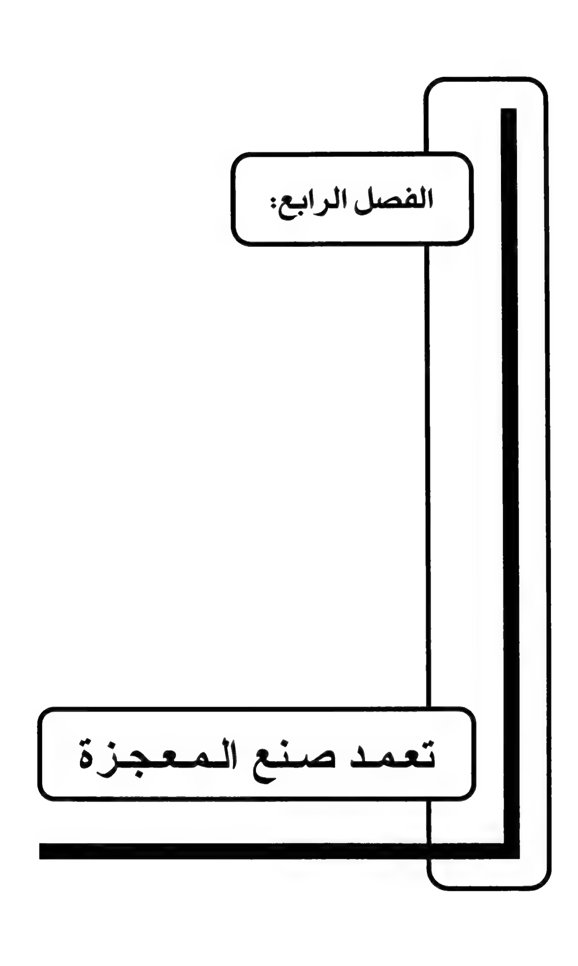
نسأل الله أن يوفق العاملين لاستخلاص ذلك كله من مصادره، وعرضه بالطريقة اللائقة به، ليكون ذلك طريقة عمل، ونهج حياة، وسبيل نجاة.

---

(١) الوسائل ج١٦ ص٢٤٨ وج٢ ص١٠١٢ ومختلف الشيعة ج٨ ص٢٩١ وكشف اللثام (ط ق) ج٢ ص٢٦٤ وإيضاح الفوائد ج٤ ص١٤٨ ومسالك الأفهام ج١٢ ص٤٥ والتحفة السنية ص٣٠٥ والحدائق الناضرة ج٥ ص٦ ومستند الشيعة ج١٥ ص٢٨٠ وج٣٦ ص٣١٢ وتهذيب الأحكام ج٩ ص٨١ والفصول المهمة ج٢ ص٤٢٠ والبحار ج٧٥ ص١٠٩.

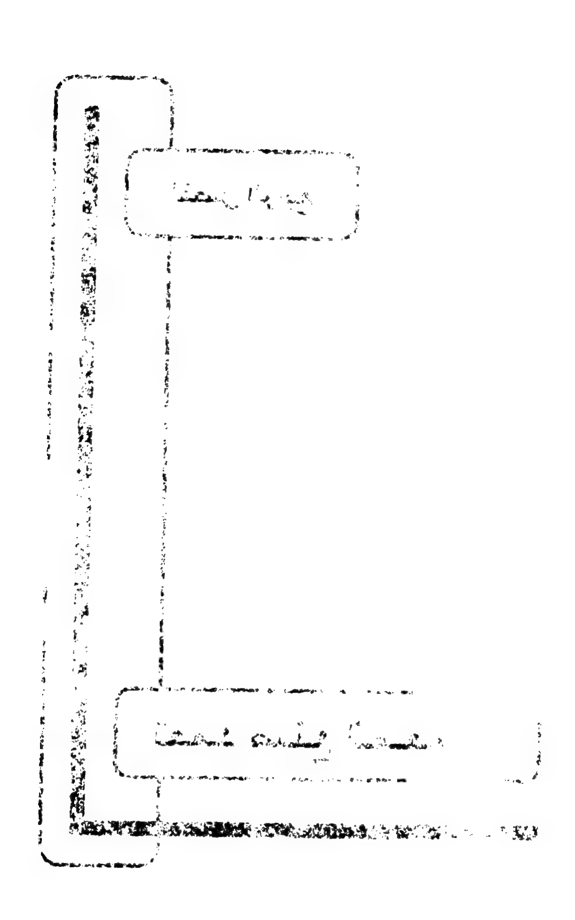
(٢) مختلف الشيعة ج٨ ص٣٠٢ وفتاوى ابن الجنيد ص٣١٤.

(٣) مستند الشيعة ج١٥ ص٤٤٨ وروضة الطالبين ج٢ ص٤٧٦.



الفصل الرابع:

تعمد صنع المعجزة



تعمد صنع المعجزة:

قالوا: إنه لما بركت ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسماة بـ «القصواء» في ذلك المكان، نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأقصى الحديبية على ثمد[1] من ثمادها ظنون[2] قليل الماء يتبرَّض[3] الناس ماءه تبرُّضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه.

فاشتكى الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلة الماء، وفي لفظ: «العطش»، فانتزع سهماً، من كنانته، فأمر به، فغرز في الماء، فجاشت بالرَّواء حتى صدروا عنها بعطن[4].

---

(١) الثمد: الماء القليل الذي لا مادة له.

(٢) الظنون: أي الشحيحة، أو القليلة الماء.

(٣) يتبرَّضون الماء: ينتظرون خروجه، وهو قليل.

(٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء، والمراد: أنهم قد رووا، أو رويت إبلهم حتى بركت حول الماء راجع: البحار ج٢٠ ص٣٣١ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٩ وعن صحيح البخاري ج٣ ص١٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٩ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٣ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٨ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٠ =

قال المِسْوَر: وإنهم ليغترفون بآنيتهم جلوساً على شفير البئر.

قال محمد بن عمر: والذي نزل بالسهم ناجية بن الأعجم ـ رجل من أسلم، ويقال: ناجية بن جندب وهو سائق بدن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد روي: أن جارية من الأنصار قالت لناجية وهو في القليب:

يا أيها الماتح دلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا

فقال ناجية وهو في القليب:

قد علمت جارية يمانيه   أني أنا الماتح واسمي ناجيه

وطعنة ذات رشاش واهيه   طعنتها تحت صدور العاديه[1]

= والفايق في غريب الحديث ج١ ص٣٠٠ وعن كنز العمال ج١٠ ص٤٩٠ وإرواء الغليل ج١ ص٥٥ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٥ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٥ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٧ وزاد المسير ج٧ ص١٦٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٦ وعن تاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٧٤ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص١٩٨ وج٦ ص١٠٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ وج٧ ص٣٧٠ وج٩ ص٤٤٩.

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٩١ والبحار ج١٨ ص٣٧ وأسد الغابة ج٥ ص٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠.

قال محمد بن عمر: حدثني الهيثم بن واقد، عن عطاء بن مروان، عن أبيه قال: حدثني أربعة عشر رجلاً ممن أسلم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه ناجية بن الأعجم، يقول: دعاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين شُكي إليه قلة الماء، فأخرج سهماً من كنانته، ودفعه إليَّ، ودعا بدلو من ماء البئر، فجئته به، فتوضأ فمضمض فاه، ثم مجَّ في الدلو ـ والناس في حر شديد ـ وإنما هي بئر واحدة، قد سبق المشركون إلى بَلْدَح فغلبوا على مياهه، فقال: «انزل بالدلو فصبها في البئر، وأثر ماءها بالسهم». ففعلت، فوالذي بعثه بالحق ما كدت أخرج حتى يغمرني، وفارت كما تفور القدر، حتى طمت واستوت بشفيرها، يغترفون من جانبها حتى نهلوا من آخرهم.

وعلى الماء يومئذٍ نفر من المنافقين، منهم عبد الله بن أُبي.

فقال أوس بن خولى: ويحك يا أبا الحباب!! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شيء؟

فقال: إني قد رأيت مثل هذا.

فقال أوس: قبحك الله، وقبح رأيك!

فأقبل ابن أُبي يريد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا أبا الحُبَاب: أنَّى رأيت مثلما رأيت اليوم»؟

فقال: ما رأيت مثله قط.

قال: «فلم قلته»؟

فقال ابن أُبي: يا رسول الله استغفر لي، فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: يا

رسول الله استغفر له، فاستغفر له[1].

فقال عمر: ألم ينهك الله ـ يا رسول الله ـ أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم؟!

فأعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأعاد عليه، فقال له: «ويلك إني خيِّرت فاخترت، إن الله يقول: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ..﴾[2].

فلما مات عبد الله، جاء ابنه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إن رأيت أن تحضر جنازته.

فحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقام على قبره، فقال له عمر: ألم ينهك الله أن تصلي على أحد منهم»[3].

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٠٢ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٤٨ وتفسير الميزان ج٩ ص٣٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤١ وكتاب سليم بن قيس ص٢٣٩ والبحار ج٣٨ ص٣٢٦.

وقد ورد: أنه لما أكثر عليه عمر بن الخطاب، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً، وإني أؤمل أن يدخل في الإسلام بسببه كثير»، فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج. (تفسير السراج المنير ج١ ص٦١٢ للخطيب الشربيني وأسباب النزول للواحدي ص١٩٣ وروح المعاني للآلوسي ج١٠ ص١٥٤).

(٢) الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٣) تفسير الميزان ج٩ ص٣٥ وتفسير القمي ج١ ص٣٠٢ وتفسير الصافي ج٢ ص٣٦٤ وكتاب سليم بن قيس ص٢٣٩ والبحار ج٢٢ ص٩٧ وج٣٠ ص١٤٨ وج٣١ ص٦٣٣.

وروى ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، عن البراء بن عازب (رضي الله عنهما) قال: أنا نزلت بالسهم.

وروى أحمد، والبخاري، والطبراني، والحاكم في الإكليل، وأبو نعيم عن البراء بن عازب، ومسلم عن سلمة بن الأكوع، وأبو نعيم عن ابن عباس، والبيهقي عن عروة، قال البراء: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحديبية أربع عشرة مائة، ـ والحديبية: بئر ـ فقدمناها وعليها خمسون شاة ما ترويها فتبرضها، فلم نترك فيها قطرة.

قال ابن عباس: وكان الحر شديداً، فشكى الناس العطش، فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتاه، فجلس على شفيرها، ثم دعا بـ «إناء».

وفي لفظ: بـ «دلو» فتوضأ في الدلو، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

قال البراء: ولقد رأيت آخرنا أخرج بثوب خشية الغرق، حتى جرت نهراً[1].

وقال ابن عباس، وعروة: ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها، وهم جلوس على شفيرها.

وروى البخاري في المغازي، وفي الأشربة، عن جابر بن عبد الله، عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنهما) قالا: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله «صلى الله عليه وآله» بين يديه ركوة.

وقال جابر في رواية: وقد حضر العصر، وليس معنا ماء غير فضلة،

---

(١) قال الصالحي الشامي: أخرجه البخاري ٧/ ٥٠٥ (٤١٥٠).

فجعل في إناء، فأتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما لكم»؟

قالوا: يا رسول الله، ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا نشرب إلا ما في ركوتك. فأفرغتها في قدح، ووضع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده في القدح، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا،

فقال سالم بن أبي الجعد: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟

قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[1].

---

(١) قال الصالحي الشامي: أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم ٤١٥٢ وراجع فيما تقدم: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ ـ ٤٢ وج٩ ص٤٤٨ والإصابة ج٣ ص٥٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١١ و ١٢ والمنتظم ج٣ ص٢٦٨، والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ و ٢٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٤ و ٣٢٥ والمواهب اللدنية ج١ ص٢٦٨ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٦٧ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ وسنن الدارمي ج١ ص١٤ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٢٦ ونظم درر السمطين ص٧١ وعن كنز العمال ج١٢ ص٣٦٧ ومسند أحمد ج٣ ص٣٢٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٢ وصحيح ابن خزيمة ج١ ص٦٦ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٨١ ودلائل النبوة ص١٢١ وجامع البيان ج٢٦ ص٩٣ وجامع أحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٤٣٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٥ وج٦ ص١٠٦ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٢٨٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٥. وراجع: نهاية الإرب ج١٧ ص٢٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٩٨.

قالوا: ولما ارتحلوا أخذ البراء بن عازب ذلك السهم، فجف الماء[1].

ولنا مع ما تقدم عدة وقفات، هي التالية:

النبي ﷺ يصنع المعجزة:

قرأنا في النصوص السابقة:

أنه «صلى الله عليه وآله» لا يكتفي بالدعاء ليزيد لهم ذلك الماء القليل. بل هو ينتزع سهماً من كنانته، ويطلب منهم أن يغرزوها في موضع خروج الماء. ثم تجري عملية غرزه، على يد أحدهم، الذي اعتبر ذلك بمثابة فضيلة له، وأرادوا من التاريخ أن يسجلها له..

وليكون ذلك تخليداً لهذه الكرامة الإلهية الظاهرة لرسوله الأكرم «صلى الله عليه وآله»..

واختيار هذه الطريقة في استنباط الماء له مراميه ودلالاته، ولعل مما يشير إليه هو الأمور التالية:

١ ـ إنه يظهر بوضوح تام: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تصدى للتصرف التكويني بصورة عملية، بطريقة تدلل على أن ذلك من شؤونه وداخل تحت إرادته واختياره. وليس هو مجرد دعاء قد استجاب الله تعالى له في خصوص هذا المورد وانتهى الأمر.. وقد تكون هناك مصلحة في الاستجابة له في موضع آخر ومناسبة أخرى، وقد لا تكون.

٢ ـ إن استمرار وجود السهم في البئر أمام أعين المستفيدين من مائه

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٩١ والبحار ج١٨ ص٣٨.

سوف يبقي القضية ماثلة أمام أعينهم، وسيعطيهم ذلك النفحة الروحية الغامرة التي يحتاجون إليها، خصوصاً في هذا الأمر الذي سيواجهون فيه المفاجآت التي تمس غرورهم، ويحتاجون في إعادة توازنهم الروحي إلى مثل تلك النفحات.

٣ ـ إن المعرفة الحسية تبقى أقوى تأثيراً في الناس العاديين، من المعرفة التصورية، خصوصاً مع بقاء مكونات هذه المعرفة ماثلة للعيان مدة من الزمن. ومع اقترانها بحركات متنوعة، وأعمال مختلفة، وجهد جسدي لإنتاجها، ولو من خلال الذين حملوا ذلك السهم، ونزلوا به إلى البئر وغرسوه فيها..

٤ ـ ويعزز هذا الأمر ويقويه ويرسخه في وجدان الناس، السعي لتسجيل ذلك الحدث المرتبط بالغيب في الشعر العربي الذي يلامس مشاعر الإنسان وأحاسيسه، حتى لو كان الذين يبذلون تلك المحاولة يريدون توظيفها في مجالات، لا يحق لهم التعرض لها، ولا المساس بها.

لا حاجة إلى التنازع:

قد رأينا: أن الروايات قد اختلفت في من نزل بالسهم إلى البئر، هل هو البراء بن عازب، أو ناجية بن الأعجم، أو ناجية بن جندب، أو خالد بن عبادة الغفاري؟

وقد لاحظنا: أن ثمة تسابقاً في نسبة ذلك الأمر إلى هذا، أو ذاك،

وأنشدت أسلم أبياتاً من الشعر، نسبتها لناجية[1].

وزعمت أسلم أيضاً: أن جارية من الأنصار قالت شعراً في ذلك[2].

ولعل سبب هذا التسابق هو ظنهم: أن ذلك يتضمن إثبات فضيلة لفاعله. فأراد كل فريق أن يجر النار إلى قرصه، وينسب الفضل إلى نفسه..

غير أننا نتوقف هنا عند أمرين:

الأول: أن ثمة شكاً كبيراً في صحة ما زعموه، من نزول أي من الناس إلى تلك البئر.

فقد روي أيضاً: أن الناس لما لم يبق في العين قطرة ـ وكان الحر شديداً ـ شكوا العطش، فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتى تلك البئر، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء أو بدلو، فتوضأ فيه، ثم مضمض، ودعا، ثم صبه فيها[3].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ وأسد الغابة ج٥ ص٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٦.

(٢) الإصابة ج٣ ص٥٤١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ وأسد الغابة ج٥ ص٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٩١ والبحار ج١٨ ص٣٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤١ و ٧٣ و ٧٤ وج٩ ص٤٤٩ عن البخاري، وأحمد، والطبراني، ومسلم، وأبي نعيم، والحاكم في الإكليل، والبيهقي، والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٧٥ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ والخرائج والجرائح ج١ ص١٢٣ ومناقب آل أبي=

وفي نص آخر عن ناجية بن جندب: أنه «صلى الله عليه وآله» نزل على الحديبية، وهي تنزح، فألقى فيها سهماً أو سهمين من كنانته، ثم بصق فيها، ثم دعا فعادت عيونها[1].

وعن أوس بن خولي: توضأ في الدلو، ثم أفرغه فيها، وانتزع السهم، ثم وضعه فيها.

وعن عروة: توضأ في الدلو، وصبه في البئر، ونزع سهماً من كنانته، فألقاه فيها، ففارت[2].

فذلك كله يدل على: أنه لم يرسل أحداً إلى البئر، لا بالدلو، ولا بالسهم، بل هو «صلى الله عليه وآله» الذي جاء إلى البئر، وألقى فيها هذا، وصب فيها ذاك، وبصق فيها..

الثاني: لنفترض صحة الرواية التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كلف شخصاً بأمر السهم والدلو.

= طالب ج١ ص٩١ والبحار ج١٨ ص٣٧ وج٢٠ ص٣٤٦ و ٣٥٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٣٠ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٨٣.

(١) الإصابة ج٣ ص٥٤١ عن الحسن بن سفيان في مسنده، وعن ابن مندة في المعرفة، وابن السكن، والطبراني، والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٧ والمعجم الكبير ج٢ ص١٧٩ وعن كنز العمال ج١٠ ص٤٧٦ و ٤٧٧ وتاريخ الجرجاني ص١٦٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٣ وج٩ ص٤٤٩ وراجع: المنتظم ج٣ ص٢٦٨ وجوامع السيرة النبوية ص١٦٤ و ١٦٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ص٣٧٦ و ٣٧٧ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ والبحار ج١٨ ص٣٧ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥.

إلا أننا نقول:

إن ذلك لا يحمل معه منح أي وسام أو فضيلة لذلك الشخص، ولا يدل على الاعتراف له بشيء من الفضل والكرامة، ما لم يصاحب ذلك إشارة أو دلالة أخرى تظهر هذه الخصوصية فيه..

بل ربما يكون هناك من الدلالات ما يشير إلى: أن من كلفه النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك هو الذي يحتاج إلى تثبيت اليقين، وإزالة الريب عن قلبه..

وعلى هذا الأساس نقول:

إنه لا دليل على: أن من كلف بغرس السهم في البئر، كان من هذا الفريق أو من ذاك، حتى نجد شواهد أخرى تشير إلى ذلك.

مياه بلدح، ومياه الحديبية:

ويظهر من النصوص السابقة: أن العيون الغزيرة والمياه الكثيرة قد كانت في بلدح، حيث نزل المشركون.. أما الحديبية فكانت المياه شحيحة فيها، وإنما هي بئر واحدة[1].

وما أشبه الليلة بالبارحة فإن المشركين في بدر، كانوا على عيون الماء، ولم يكن لدى المسلمين ماء.. وقد سقى الله المسلمين الماء بالمعجزة في بدر، وفي الحديبية كان المشركون على العيون الغزيرة والعذبة.. والمسلمون كانوا بلا ماء، فسقاهم الله تعالى بالمعجزة أيضاً.

---

(١) تاريخ الإسلام (المغازي) ص٣٧٦ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨٠ والبحار ج٢٠ ص٣٤٦ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥ ومجمع البيان ج٩ ص١٨٣.

ثم كانت النتائج بين بدر والحديبية متشابهة، فقد نصر الله المسلمين فيهما معاً، وكان لهم في الحديبية أعظم الفتح. وهكذا كان الحال في بدر.

من الذي نزل بالسهم؟

وقد اختلفوا في الشخص الذي تولى مهمة غرس السهم في بئر الحديبية.

فالبراء بن عازب يقول: أنا نزلت بالسهم[1].

وروي: أن خالد بن عبادة الغفاري[2] قال ذلك عن نفسه.

وروي: أن الذي نزل به هو ناجية بن الأعجم.. حسبما روي عنه أنه قاله[3].

ورواية أخرى تقول: إنه ناجية بن جندب، سائق بُدن رسول الله «صلى

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٥ والسيرة النبوية لدحلان (ط دار إحياء التراث) ج١ ص٤٨٤ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤١ و ٧٣ والإصابة ج٣ ص٥٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٢ وجوامع السيرة النبوية ص١٦٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٢ قسم٢ ص٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٤ وأسد الغابة ج١ ص١٧٢ وج٥ ص٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٦ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٣ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ و ٤١ وراجع ص٤٠ والإصابة ج٣ ص٥٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣١٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٠٩.

الله عليه وآله»[1].

وقد يمكن ترجيح: أن يكون اسم الذي نزل إلى البئر هو ناجية وذلك استناداً إلى أبيات الشعر المتقدمة، التي صرح فيها باسم ناجية..

غير أننا نقول:

أولاً: إن غاية ما يدل عليه هذا الشعر هو: أن الماتح للناس كان اسمه ناجية.. وقد يكون الماتح هو نفسه الذي نزل بالسهم، وقد يكون الماتح شخصاً، والذي نزل بالسهم شخصاً آخر.

غير أن مما لا شك فيه: أن ناجية كان في البئر حين قيل هذا الشعر، وأنه قد كان ثمة حاجة إلى استخراج الماء من البئر، قبل أن يفيض منه إلى خارجه.

ثانياً: إن ثمة تناقضاً يثير الشبهة في صحة أصل نزولهم، فالشعر يقول: إن ناجية بن جندب كان يمتح الماء للناس، وكان الناس يمدحونه ويمجدونه على ذلك.

بينما رواية ناجية بن الأعجم تقول: إن الماء فاض، حتى كاد يغمره قبل أن يتمكن من الخروج من البئر، وصار الناس يفترقون من جانبها حتى نهلوا عن آخرهم.. فلم تكن هناك حاجة لوجود ماتح أصلاً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٠ والإصابة ج٣ ص٥٤١ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٩ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٥ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣١٥.

كما أن رواية البراء قد صرحت: بأن البئر فاضت حتى جرت نهراً.

وقال بعضهم: إن وجه الجمع بين تلك الروايات المتناقضة في من نزل بالسهم، هو: أنهم جميعاً قد تعاونوا على ذلك[1].

إن صحة هذا الجمع تتوقف على الصعوبة البالغة في النزول إلى البئر، بحيث يحتاج النازل إليها إلى مساعدة، مع أنه لا دليل يثبت ذلك.

ولو فرضنا: صحة ذلك، وأنهم عاونوا حامل السهم على النزول، فهل يصح قول كل واحد منهم: إنه هو الذي نزل بالسهم؟!..

أما قول الزرقاني: تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره. فهو غير ظاهر الوجه.

فما معنى هذا الكلام؟! أوليست الحفرة كانت موجودة؟! وكانت بئراً واحدة، حسبما صرحوا به؟!..

أم أن تلك البئر كانت قد ردمت، وكانت بحاجة إلى حفر جديد؟! فلماذا كان الناس حولها ويتبرضونها؟! ولماذا لم تصرح الروايات بغير تثوير موضع الماء بالسهم؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

توضأ، وتمضمض، ثم مج في الدلو:

ثم إن الروايات قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» قد توضأ، ومضمض فاه، ثم مج في الدلو، وبعثها فصبت في البئر، وأثير ماؤها

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٣ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٨٤ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص١٨١ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٢٠٦ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٥.

بالسهم»[1].

ونقول:

١ ـ إن في هذا الحديث تأكيداً على قداسة أشخاص اختارهم الله، واصطفاهم، واجتباهم، وعلى أن لمباشرة هؤلاء الأشخاص للأشياء تأثيراً في نمائها، وفي حلول البركة فيها..

٢ ـ إن هذا الفعل من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستبطن دعوة عفوية للناس إلى أن يكون كل همهم هو تزكية نفوسهم، وتطهيرها، لتكتسب طرفاً من هذه القداسة، التي يعلمون أنها وليدة ذلك الطهر، ولو في بعض مراتبها.. وأنها صنيعة هذا القرب من الله، ورهينة رضاه..

٣ ـ هذا كله بالإضافة إلى ما أشرنا إليه مرات كثيرة من أن ظهور هذه المعجزات والكرامات هام جداً في الربط على قلوب المؤمنين، وفي قطع دابر التسويلات الباطلة التي يثيرها المنافقون. ويخدعون بها الكثيرين من البسطاء الطيبين والغافلين أو من الهمج الرعاع الذين يميلون مع الريح، ولا يميِّزون الصحيح الصريح، من المريض والقبيح..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤١ و ٧٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٢ وجوامع السيرة النبوية ص١٦٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٥ وراجع: كنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٣٠٣ و ٣٠٤ والبحار ج١٨ ص٣١ ـ ٣٨ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٠ والبداية والنهاية ج٦ ص١٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٨٨ وعن البخاري ج٤ ص٢٣٤ و ج٥ ص١٥٦ وعن فتح الباري ج٦ ص٤٢٥ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٢١٥.

والكلمة المنسوبة إلى ابن أبي في هذا الموقف وهي قوله: «قد رأيت مثل هذا» وجدت آذاناً صاغية، تلقفتها، وتركت لها أثراً في قلوبهم، ودمرت أو فقل اخترقت جدار السكينة في نفوسهم..

إستغفار الرسول ﷺ لابن أبي:

وعن استغفار الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» لابن أبي، حين طلب منه أن يستغفر له، نقول:

قد يقال: أنه لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: إنه لا ريب في أن المنافق مشرك في واقعه وحقيقته، فإن كان ابن أبي منافقاً، فالمفروض: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً به، فكيف يستغفر له، وقد أنزل الله النهي عن الإستغفار للمشركين..

ثانياً: إنه حتى لو لم تكن آية النهي عن الإستغفار للمشركين قد نزلت آنئذٍ، فإن المنع من ذلك كان ثابتاً في دين الحنيفية، التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتعبد بها، فلم يكن يجوز له أن يفعل ذلك، حتى لو كان ذلك المشرك غير مظهر لشركه..

وقد قال تعالى مشيراً إلى ذلك: **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾**[1].

ثالثاً: إنهم يزعمون: حسبما تقدم في الجزء السابق: أن النبي «صلى الله

---

(١) الآية ١١٤ من سورة التوبة.

عليه وآله» قد نهى عن الاستغفار لأمه في غزوة بني لحيان، وقد كان ذلك قبل الحديبية.

بل هم يزعمون: أن قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ..**﴾[1] قد نزلت قبل الهجرة بثلاث سنوات[2].

ولم تقيِّد الرواية هذا النهي بما يوجب التفريق بين المشرك المستتر بشركه، والمشرك المعلن به..

غير أننا نقول:

إنه لابد من تقييد هذه الآية وسواها، بأن المقصود هو: الشرك المعلن دون سواه، لأن المطلوب من النبي «صلى الله عليه وآله» هو معاملتهم بما يوجبه ظاهر حالهم.. لا بما علمه «صلى الله عليه وآله» من خلال علمه الخاص، وهو علم النبوة..

فإذا كانوا يعلنون أنهم على الإسلام، يمارسون شعائره، فلا يجوز إنكار ذلك عليهم، ولا فضح أمرهم، وذلك تأليفاً لهم على الإسلام، ولكي يعيشوا في أجوائه، ليدخل الإيمان في قلوبهم بصورة تدريجية، وليمكن أيضاً لأبنائهم وعشائرهم ومن يلوذ بهم، أو يتصل بهم أن يعيشوا مع المسلمين، وليروا بأم أعينهم محاسن هذا الدين، كما هو ظاهر.

فالنهي عن الاستغفار للمشرك، إنما هو بالنسبة للمعلن بشركه، لا

---

(١) الآية ٦ من سورة المنافقون.

(٢) راجع: كتابنا «ظلامة أبي طالب»، وقد تقدم في الجزء السابق من هذا الكتاب، حين الحديث عن استغفار النبي «صلى الله عليه وآله» لأمه: أن هذه الآية: إنما نزلت لتأكيد إيمان أبي طالب «رحمه الله» فراجع.

للمتستر به..

ولو أراد أن يتنكر للمنافقين لم يكن معنى لوضع سهم المؤلفة قلوبهم، وذلك واضح لا يخفى.

المنافقون في الحديبية:

وقد ذكروا: أن جماعة من المنافقين قد حضروا في الحديبية..

وقد صرحت الروايات المتقدمة، وكذلك الرواية الآتية تحت عنوان «التوحيد، والاعتقاد بالأسباب» وكذلك روايات أخرى، أشرنا إليها في الفصل السابق ـ صرحت جميعها ـ: بوجود المنافقين مثل ابن أُبي، والجد بن قيس وغيرهما في غزوة الحديبية، وبأنهم قد صدرت منهم أمور دعت الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» إلى اتخاذ مواقف تناسب الحال..

وقد قرأنا آنفاً: أن ابن أُبي كان على الماء في نفر من المنافقين، وأنه سئل عن المعجزة التي أظهرها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ فيما يرتبط بفيضان الماء ـ فادَّعى أنه رأى مثل هذا.. ثم اعترف لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه لم ير مثله قط.

وأنه طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يستغفر له، فاستغفر «صلى الله عليه وآله» له[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٢ وكتاب سليم بن قيس ص٢٣٩ والبحار ج٣٨ ص٣٢٦ وج٢٢ ص٩٧ وج٣٠ ص١٤٨ وج٣١ ص٦٣٣ وتفسير القمي ج١ ص٣٠٢ والتفسير الصافي ج٢ ص٣٦٤ وتفسير نور الثقلين ج٢ ص٢٤٨.

ونقول:

إنه إذا كان هؤلاء المنافقون قد حضروا الحديبية، وإذا كانت بيعة الرضوان قد حصلت في هذه المناسبة، وبايع جميع من كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ بمن فيهم المنافقون ـ وإذا كانوا جميعهم يدخلون الجنة باستثناء صاحب الجمل الأحمر حسبما تقدم، فإن السؤال الذي يلح بطلب الإجابة الصحيحة والصريحة هو التالي:

إنه بناءً على ذلك، وبناءً على قول أهل السنة بعدالة جميع الصحابة، استناداً إلى آيات بيعة الشجرة وهي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[2].

فإن ابن أُبي وجميع من حضر في الحديبية ممن هم على شاكلته، لابد أن يحكم بصحة إيمانهم استناداً إلى ذلك. ولا يجوز لأهل السنة إطلاق القول بنفاقه أصلاً، فضلاً عن دعواهم: أنه كان رأس المنافقين في المدينة.

ويؤكد هذا الأمر ويزيده وضوحاً لنا، وتعقيداً بالنسبة إلى أصول أهل السنة: أنهم يقولون: إن الله سبحانه قال لرسوله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآية ١٨ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٠ من سورة الفتح.

بالنسبة للمنافقين: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

وبعدما تقدم: فإنه يرد على أهل السنة سؤال آخر، وهو: إذا لم يكن هؤلاء هم المنافقون! فمن المقصود بالآيات التي تحدثت عن المنافقين في سورة «المنافقون» و «البقرة» و «التوبة» وفي «آل عمران» و.. و.. وتحدث عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مناسبات كثيرة كما يظهر من مراجعة كتاب الدر المنثور وغيره من كتب التفسير بالمأثور، فضلاً عن غيرها من كتب الحديث والتاريخ، وما إلى ذلك؟!

وبناء على ما تقدم نقول:

إن هناك حلولاً لهذه المعضلة، نذكر منها ما يلي:

١ ـ أن يأخذوا بمذهب أهل البيت «عليهم السلام» في عدد التكبير في صلاة الميت حيث رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يكبر على المنافقين أربعاً، وعلى صحيحي الإيمان خمساً..

٢ ـ أن يعترفوا: بأن آية بيعة الرضوان لا تدل على عدالة جميع من بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل على عدالة خصوص المؤمنين منهم، ولابد من معرفة صحة الإيمان في كل واحد منهم بدليل آخر..

ومما يزيد هذا الاستدلال إشكالاً: أن الآية الأخرى قد أشارت إلى احتمالات نكث البيعة من قبل بعض من بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ أن يتراجعوا عن الحكم بنفاق ابن أُبي، والجد بن قيس، وغيرهما

---

(١) الآية ٨٤ من سورة التوبة.

ممن حضر الحديبية، ويحكموا بأنهم أصحاب إيمان صحيح..

فإذا اختاروا هذا الحل، فإنهم يكونون قد خالفوا حقيقة ثابتة من الناحية التاريخية، وعليهم بالإضافة إلى ذلك أن يبيِّنوا لنا من هو المقصود بالآيات التي وردت في سورة «المنافقون»، وفي سورة «البقرة»، وفي سورة «آل عمران»، وفي سورة «التوبة» و.. و..؟! ومن هم المقصودون بكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الشأن؟!

ثم إن عليهم إذا ادَّعوا عدم نفاق ابن أُبي: أن يبيِّنوا لنا سبب سعي عمر لمنع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الصلاة على ابن أُبي، ولماذا لم يستجب له الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» حين طلب منه عمر الامتناع عن ذلك؟!

أبو سفيان على بئر الحديبية!:

وزعموا: أن أبا سفيان قال لسهيل بن عمرو: قد بلغنا أنه ظهر بالحديبية قليب[1] فيه ماء. فقم بنا ننظر إلى ما فعل محمد. فأشرفا على القليب، والعين تنبع تحت السهم، فقالا: ما رأينا كاليوم قط. وهذا من سحر محمد قليل[2].

وصرحت نصوص أخرى: بأن قريشاً قد جاءت إلى الحديبية، لا خصوص أبي سفيان.

---

(١) القليب: هو البئر.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٩١ والبحار ج١٨ ص٣٧.

ونقول:

إن كان ذلك قد حصل قبل الصلح، فيرد عليه:

أن أبا سفيان لا يجرؤ على المجيء إلى الحديبية إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها، خصوصاً مع وجود تلك الجموع معه، فإنهم لن يسكتوا عن وجود رجلين غريبين يظهران فيما بينهم، بل لابد أن يتعرفوا عليهما، فإذا عرفوهما فسيكون لهم شأن معهما، وأي شأن.

وإن كان ذلك قد حصل بعد الصلح، وبعد ارتحال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه من المسلمين..

فيرد عليه: أنهم يقولون: إن البراء بن عازب قد انتزع ذلك السهم من موضعه، وذلك حين ارتحال الرسول «صلى الله عليه وآله» والمسلمين عنه.. فجف الماء كأن لم يكن هناك شيء[1].

ولكننا مع ذلك نقول:

إن أبا سفيان كان يعرف الحديبية، وأنها لا ماء فيها، فإذا كان مع النبي «صلى الله عليه وآله» ألف وأربع مائة أو خمس مائة رجل، ومعهم رواحلهم ودوابهم، وربما طائفة من النساء، فلابد أن يحتاجوا إلى الكثير من الماء الذي يعرف أنه غير متوفر في الحديبية.

وهذا يقرِّب إلى الذهن أن يكونوا قد سمعوا بأمر البئر، وبمعجزة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودفعهم ذلك إلى الذهاب إلى هناك بعد رحيله «صلى الله عليه وآله»، فرأوا أنها قد غارت أيضاً، لكي يتبين لهم أن

---

(١) نفس المصادر السابقة.

البركات مرهونة به «صلى الله عليه وآله».

ولكن عنادهم، دفعهم إلى الجحود، واعتبار ذلك من السحر.

ولعلهم أرادوا إطلاق هذه الشائعة، لكي لا يتأثر الناس بما سمعوه عن معجزات وكرامات حصلت لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

التوحيد، والإعتقاد بالأسباب:

روى الشيخان وأبو عوانة، والبيهقي عن زيد بن خالد «رضي الله عنه» قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى بنا النبي «صلى الله عليه وآله» الصبح، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: قال الله عز وجل: «أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما المؤمن: من قال: مطرنا برحمة الله وبفضل الله، فهو مؤمن بي وكافر بالكواكب.

وأما من قال: مُطرنا بنجم كذا ـ وفي رواية: بنوء كذا وكذا ـ فهو مؤمن بالكواكب كافر بي»[1].

---

(١) الديباج على مسلم ج١ ص٨٩ وصحيح ابن حبان ج١ ص٤١٧ وتفسير مجمع البيان ج١٠ ص٢٨ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٢٢٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٤ وزاد المسير ج٧ ص٢٤٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج٨ ص٥٢١ والمغازي ج٢ ص٥٨٩ و ٥٩٠ وموسوعة التاريخ الاسلامي ج٢ ص٦١١ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٢ وراجع: تذكرة الفقهاء (ط جديد) ج٤ ص٢٢٣ والذكرى للشهيد الأول ص٢٥٢ ومغني المحتاج ج١ ص٣٢٦=

وفي نص آخر: أصبح الناس رجلان مؤمن بالله كافر بالكواكب، وكافر بالله مؤمن بالكواكب.

قال محمد بن عمر: وكان ابن أُبي بن سلول قال: هذا نوء الخريف، مُطرنا بالشعرى.

وروى ابن سعد، عن أبي المليح، عن أبيه، قال: أصابنا يوم الحديبية مطر لم يبل أسافل نعالنا، فنادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن صلوا في رحالكم[1].

= ونيل الأوطار ج١ ص٣٣٧ ونيل الأوطار ج٤ ص١٦٠ والوسائل ج٨ ص٢٧٢ ومستدرك الوسائل ج٦ ص١٩٥ والجواهر السنية ص١٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١٥٨ وعن صحيح البخاري ج٢ ص٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٣٥٧ ومسند أبي الجعد ص٤٢٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٢٢٩ وصحيح ابن حبان ج٣ ص٥٠٣ والأذكار النووية ص١٨٢ وكنز العمال ج٣ ص٦٣٦ وإرواء الغليل ج٣ ص١٤٤ وزاد المسير ج٧ ص٢٩٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٢٧ وج٣ ص٣٣٣.

(١) راجع النصوص المتقدمة في: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٢ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ٥/ ٢٥٩ (٤١٤٧) وأخرجه مسلم في الإيمان (١٢٥) والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٣١.

ونضيف نحن المصادر التالية: المنتظم ج٣ ص٢٧٣ والسيرة ج٣ ص٢٥ ومسند أحمد ج٥ ص٧٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٧١ وعون المعبود ج٣ ص٢٧٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص١٣٧ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٨٠ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٣٥ ـ ٣٤٨ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٤٦ والمعجم الكبير ج١ ص١٨٨ و ١٨٩ وموارد الظمآن ص١٢٣ =

ونقول:

إن الأمر هنا يحتاج إلى بعض التوضيح، وذلك على النحو التالي:

إعتقاد العرب بالأنواء:

لقد كان العرب يعتقدون: أن الأنواء هي التي تحدث المطر، أو الريح.

والأنواء ثمانية وعشرون في كل سنة.

والنوء عبارة عن غروب نجم مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق من أنجم المنازل، وذلك يحصل في كل ثلاثة عشر يوماً إلا الجبهة ـ النجم المعروف ـ فإن لها أربعة عشر يوماً.

وكان هذا الاعتقاد راسخاً في العرب، وكان لابد من إزالته. ليصح الاعتقاد بالتوحيد، وتزول عنهم رواسب الشرك، وعوارضه..

القرآن: الغيث والريح بيد الله:

ولم يزل القرآن يصرح بأن الله هو الذي ينزل الغيث، وهو الذي يزجي السحاب، ويرسل السماء عليهم مدراراً، وهو الذي يرسل الرياح.

فقال تعالى: ﴿**يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً**﴾[1].

وقال: ﴿**إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**﴾[2].

= وعن كنز العمال ج٨ ص٣٠٩ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٠٥ والتاريخ الكبير ج٢ ص٢١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٢٥.

(١) الآية ٥٢ من سورة هود والآية ١١ من سورة نوح.

(٢) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾(١).

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾(٢).

وعن الرياح يقول: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾(٣).

ويقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾(٤).

ويقول: ﴿وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾(٥).

ويقول: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء﴾(٦).

سعي الرسول ﷺ لاقتلاع هذا الاعتقاد:

وقد حفلت كتب الحديث والتاريخ وغيرها بالنصوص الواردة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتي تدين هذا الاعتقاد، وتدعو للتخلص منه..

وهذا المورد الذي نحن بصدد الحديث عنه هو أحد مفردات الدعوة، حيث أخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» عن الله سبحانه: أن من يقول

---

(١) الآية ٢٨ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٤٣ من سورة النور.

(٣) الآية ٢٢ من سورة الحجر.

(٤) الآية ٥٧ من سورة الأعراف ونحوها الآية ٤٨ من سورة الفرقان.

(٥) الآية ٦٣ من سورة النمل.

(٦) الآية ٤٨ من سورة الروم.

مُطرنا بنجم كذا، أو بنوء كذا، فهو كافر بالله.

وليس المراد هنا: كفر النعمة، كما يحاول البعض أن يدّعي، بل المراد الكفر الحقيقي، لأنه يريد أن يذكر لهم منطق أهل الجاهلية، لكي يقرر: أن القول: بأن الفاعل الحقيقي للمطر وللريح هو النوء الفلاني، كفر صريح لا يلتقي مع الإيمان بشيء.

وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: «لو أمسك الله المطر عن الناس سبع سنين، ثم أرسله، لأصبحت طائفة كافرين، قالوا: هذه بنوء الدبران» أو المجدح كما ورد في الروايات[1].

مع أن انقطاع المطر عنهم سبع سنين يدل على: أن الأنواء لا تأثير لها، لأن الأنواء موجودة طيلة هذه السنين السبع كلها. ولم يؤثر وجودها في نزول المطر.

وقد ذكر السيوطي في كتابه: «الدر المنثور» ج٦ ص١٦٢ ـ ١٦٤ أحاديث كثيرة عن عشرات المصادر، صريحة بإدانة ـ وبعضها يصرح بكفر ـ من يصرُّ على أن التأثير في المطر هو للأنواء، فراجع.

---

(١) البحار ج٥٥ ص٣٢٩ وراجع ص٣٢٧ ـ ٣٣٠ والدر المنثور ج٦ ص١٦٣ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٢٨٣ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٥٠٠ ومسند أحمد ج٣ ص٧ وراجع: سنن النسائي ج٣ ص١٦٥ ومسند الحميدي ج٢ ص٣٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٥٦٤ وج٦ ص٢٣٠ وراجع: مسند أبي يعلى ج٢ ص٤٨٢ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٥٠١ وكتاب الدعاء ص٢٩٨ وموارد الظمآن ص١٦٠ وعن كنز العمال ج٣ ص٦٣٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص٢٧٤ والتاريخ الكبير ج٧ ص٥٥ وتهذيب الكمال ج١٩ ص٢٩٠.

واللافت هنا: أنه رغم كثرة تعرض النبي «صلى الله عليه وآله» لإدانة هذا الاعتقاد فقد نقل عن عمر بن الخطاب أنه قال: مُطرنا كذا.

واعتذر عنه الحلبي: بأنه لعله لم يبلغه النهي عن ذلك[1].

ولكن من الواضح: أن عمر كان حاضراً في الحديبية، كما صرح به الحلبي نفسه.

وربما يقال: إن هذا الاعتذار يبقى مجرد احتمال.

وهناك احتمال آخر، وهو: أنه قد قال ذلك على سجيته، متأثراً بما كان يعتقده في الجاهلية..

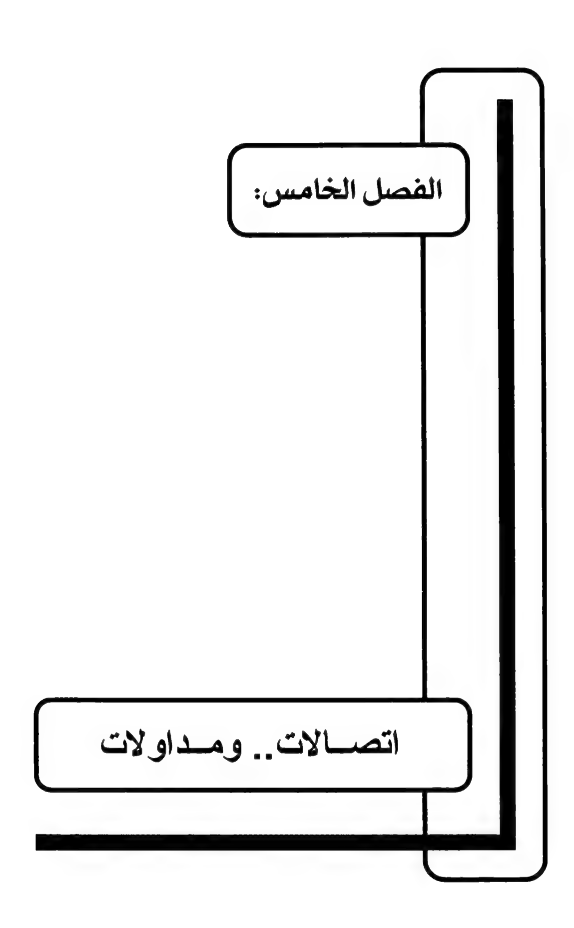
ولعل من ذكر: أن المراد هو: كفر النعمة، وأن النهي ليس نهي تحريم بل هو نهي كراهة[2] قد أراد حفظ ماء الوجه للخليفة الثاني في قوله هذا..

والله هو العالم بحقيقة الحال.

---

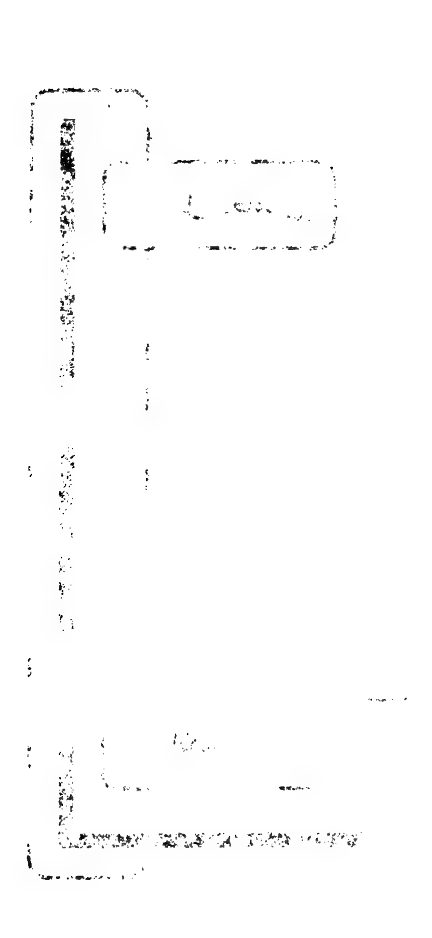
(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٥.

(٢) المصدر السابق.



الفصل الخامس:

اتصـــالات.. ومـــداولات



هدايا قبلت:

وأهدى عمرو بن سالم، وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» غنماً وجزوراً، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عبادة جُزُراً ـ وكان صديقاً له ـ فجاء سعد بالجزر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخبره أن عَمْراً أهداها له، فقال: «وعمرو قد أهدى لنا ما ترى، فبارك الله في عمرو».

ثم أمر بالجزر أن تنحر وتقسم في أصحابه، وفرق الغنم فيهم عن آخرها، وشرك فيها، فدخل على أم سلمة من لحم الجزور كنحو ما دخل على رجل من القوم.

وشرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شاته، فدخل على أم سلمة بعضها، وأمر «صلى الله عليه وآله» للذي جاء بالهدية بكسوة[1].

ونقول:

إنه لم يظهر من نصوص التاريخ إسلام عمرو بن سالم، أو بسر بن سفيان الخزاعي فإن كانا أو أحدهما ما زال على الشرك، فإن قبول هديتهما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦١١.

يتنافى مع ما روي عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه لا يقبل هدية مشرك. وقد تقدم ذلك في الفصل الذي تحدثنا فيه عن إيمان أبي طالب، فراجع.

فقبوله «صلى الله عليه وآله» هديتهما يدل على تقدم إسلامهما. ويدل على ذلك أيضاً، ما صرحت به هذه الرواية، من أنه «صلى الله عليه وآله» قد دعا لعمرو بقوله: «فبارك الله في عمرو».

إتصالات ومداولات:

لما اطمأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالحديبية: جاءه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة، منهم: عمرو بن سالم، وخراش بن أمية، وخارجة بن كرز، ويزيد بن أمية. وكانوا عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بتهامة، منهم المسلم، ومنهم الموادع. لا يخفون عنه بتهامة شيئاً.

فلما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سلموا، فقال بديل بن ورقاء: جئناك من عند قومك، كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، قد نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، والنساء والصبيان، يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنَّا لم نأت لقتال أحد، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه، إن قريشاً قد أضرت بهم الحرب ونهكتهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة يأمنون فيها، ويخلون فيما بيننا وبين الناس ـ والناس أكثر منهم.

فإن أصابوني فذلك الذي أرادوا.

وإن ظهر أمري على الناس كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو يقاتلوا وقد جَمُّوا.

وإن هم أبوا فوالله لأجهدن على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله تعالى أمره».

فوعى بديل مقالة رسول الله، وقال: سأبلغهم ما تقول: وعاد وركبه إلى قريش، فقال ناس منهم: هذا بديل وأصحابه، وإنما يريدون أن يستخبروكم، فلا تسألوهم عن حرف واحد.

فلما رأى بديل أنهم لا يستخبرونه قال: إنَّا جئنا من عند محمد، أتحبون أن نخبركم عنه؟

فقال عكرمة بن أبي جهل، والحكم بن أبي العاص: ما لنا حاجة بأن تخبرونا عنه، ولكن أخبروه عنا: أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبداً، حتى لا يبقى منا رجل.

فأشار عليهم عروة بن مسعود الثقفي بأن يسمعوا كلام بديل، فإن أعجبهم قبلوه، وإلا تركوه، فقال صفوان بن أمية، والحارث بن هشام: أخبرونا بالذي رأيتم وسمعتم.

فقال بديل لهم: إنكم تعجلون على محمد «صلى الله عليه وآله»، إنه لم يأت لقتال، إنما جاء معتمراً، وأخبرهم بمقالة النبي «صلى الله عليه وآله» فقال عروة: يا معشر قريش، أتتهمونني؟

قالوا: لا.

قال: ألستم بالوالد؟!

قالوا: بلى.

قال: ألست بالولد؟

قالوا: بلى.

وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس القرشية.

قال: «ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ لنصركم، فلما تبلّحوا علي نفرت إليكم بنفسي، وولدي، ومن أطاعني؟

قالوا: قد فعلت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: إني لكم ناصح، وعليكم شفيق، لا أدخر عنكم نصحاً، فإن بديلاً قد جاءكم بخطة رشد لا يردها أحد أبداً، إلا أحد شر منها. فاقبلوها منه، وابعثوني حتى آتيكم بمصداقها من عنده، وأنظر إلى من معه، وأكون لكم عيناً آتيكم بخبره.

فبعثته قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء رسولَ الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا محمد، تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي على أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، قد لبسوا جلود النمور، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم، وإنما أنت ومن قاتلهم بين أحد أمرين أن تجتاح قومك، ولم يسمع برجل اجتاح قومه وأهله قبلك. أو بين أن يخذلك من ترى معك، وإني والله لا أرى معك وجوهاً، وإني لا أرى إلا أوباشاً.

وفي رواية: فإني لأرى أوشاباً[1] من الناس، لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم، وخليقاً أن يفروا ويدعوك.

---

(١) الأوشاب: الأوباش، والأخلاط من الناس، انظر المعجم الوسيط ٢/ ١٠٤٥.

وفي رواية: وكأني بهم لو قد لقيت قريشاً أسلموك، فتؤخذ أسيراً، فأي شيء أشد عليك من هذا؟

فغضب أبو بكر ـ وكان قاعداً خلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: امصص بظر اللات، أنحن نخذله، أو نفِرُّ عنه؟!

فقال عروة: من ذا؟

قالوا: أبا بكر.

فقال عروة: أما والله لولا يدٌ لك عندي لم أجزك بها لأجيبنك.

وكان عروة قد استعان في حمل دية، فأعانه الرجل بالفريضتين والثلاث، وأعانه أبو بكر بعشر فرائض.

فكانت هذه يد أبي بكر عند عروة.

وطفق عروة كلما كلَّم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مس لحية النبي «صلى الله عليه وآله»، والمغيرة بن شعبة قائم على رأسه «صلى الله عليه وآله» بالسيف، على وجهه المغفر ـ لما قدم عروة لبسها ـ فطفق المغيرة كلما أهوى عروة بيده ليمس لحية النبي «صلى الله عليه وآله» يقرع يده بنعل السيف ويقول: اكفف يدك عن مس لحية رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل ألا تصل إليك، فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه.

فلما أكثر عليه غضب عروة وقال: ويحك!! ما أفظك وأغلظك!

وقال: ليت شعري!! من هذا الذي آذاني من بين أصحابك؟ والله لا أحسب فيكم ألأم منه، ولا أشر منزلة.

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة».

فقال عروة: وأنت بذلك يا غدر، والله ما غسلت عنك غدرتك بعكاظ إلا أمس، لقد أورثتنا العداوة من ثقيف إلى آخر الدهر.

وجعل عروة يرمق أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» بعينه، فوالله ما يتنخم رسول الله «صلى الله عليه وآله» نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلوا على وضوئه، ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه، تعظيماً له.

فلما فرغ عروة من كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورد عليه الرسول «صلى الله عليه وآله» مثل ما قال لبديل بن ورقاء، وكما عرض عليهم من المدة. فأتى عروة قريشاً، فقال:

يا قوم، إني وفدت إلى الملوك: كسرى، وقيصر، والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكاً قط أطوع فيما بين ظهرانيه من محمد في أصحابه، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً، وليس بملك.

والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه أيهم يظفر منه بشيء، ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له، ولا يتكلم رجل منهم حتى يستأذن، فإن هو أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت.

وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، قد حرزت القوم.

واعلموا أنكم إن أردتم منهم السيف بذلوه لكم.

وقد رأيت قوماً لا يبالون ما يصنع بهم إذا منعتم صاحبهم، والله لقد رأيت معه نساء ما كن ليسلمنه أبداً على حال، فَرُوا رأيكم، فأتوه يا قوم، واقبلوا ما عرض عليكم، فإني لكم ناصح، مع أني أخاف أن لا تُنصروا على رجل أتى زائراً لهذا البيت، معظماً له، معه الهدي ينحره وينصرف.

فقالت قريش: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، أَوَغيرك تكلم بهذا؟ ولكن نرده عامنا هذا، ويرجع إلى قابل.

فقال: ما أراكم إلا تصيبكم قارعة.

فانصرف هو ومن تبعه إلى الطائف.

فقام الحليس ـ وهو بمهملتين، مصغَّر ـ بن علقمة الكناني وكان من رؤوس الأحابيش، وفي نص آخر: كان يومئذٍ سيد الأحابيش[1] فقال: دعوني آتيه.

فقالوا: ائته.

فلما أشرف على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال «صلى الله عليه وآله»: «هذا فلان من قوم يعظمون البدن، وفي لفظ: الهدي، ويتألهون، فابعثوها له».

فبعثت له.

فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي عليها قلائدها، قد أكلت أوبارها من طول الحبس، ترجّع الحنين، واستقبله الناس يلبون قد أقاموا

---

(١) الأحابيش هم: بنو الهون بن خزيمة، وبنو الحرث بن عبد مناف، وبنو المصطلق. سموا بذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بمكة اسمه حبشي.

نصف شهر، وقد تَفِلوا وشَعِثوا، صاح وقال: سبحان الله «ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت!! أبى الله أن تحج لخم، وجذام، وكندة، وحمير، ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت، هلكت قريش وربِّ الكعبة. إن القوم إنما أتوا عُمَّاراً».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أجل يا أخا بني كنانة».

وذكر ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد: أنه لم يصل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما رأى ذلك إعظاماً لما رأى.

فيحتمل أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاطبه من بعد.

فرجع إلى قريش، فقال: إني رأيت ما لا يحل منعه، رأيت الهدي في قلائده، قد أكل أوباره، معكوفاً عن محله، والرجال قد تَفِلوا، وقَمِلوا أن يطوفوا بهذا البيت.

والله ما على هذا حالفناكم، ولا عاقدناكم، على أن تصدوا عن البيت من جاءه، معظماً لحرمته، مؤدياً لحقه. وساق الهدي معكوفاً أن يبلغ محله.

والذي نفسي بيده لَتُخَلُّنَّ بينه وبين ما جاء له، أو لأنْفِرَنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد.

فقالوا: كف عنا يا حُليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، وفي لفظ: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، كل ما رأيت من محمد مكيدة.

فقام مِكْرَز ـ بكسر الميم، وسكون الكاف، وفتح الراء ـ بن حفص. فقال: دعوني آته.

فلما طلع ورآه النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «هذا رجل غادر» وفي لفظ: «فاجر».

فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلَّمه بنحو ما كلم به بديلاً وعروة، فرجع إلى أصحابه، فأخبرهم بما ردَّ عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» [1].

بيانات للتوضيح أو التصحيح:

وتستوقفنا في النصوص المتقدمة أمور كثيرة، لابد من الاكتفاء بالإشارة الموجزة إلى بعضها، وفق ما يتيسر لنا، فنقول:

مفارقة لا يرضاها حليس:

لقد ذكر النص المتقدم: أن حليس بن علقمة لم يستطع أن يرضى بالمفارقة الظاهرة، والتي هي غير منطقية ولا معقولة، وهي: أن تمنع قريش ابن عبد المطلب من زيارة بيت الله، وتسمح لأشتات قبائل العرب بذلك، مثل لخم، وجذام، وحمير، وكندة!!

---

(١) راجع النصوص المتقدمة في: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣ ـ ٤٦ وراجع السيرة الحلبية ج٣ ص١٣ ـ ١٦ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ و ١٤٦ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ ـ ٧٨ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٢٠ والكافي ج٨ ص٣٢٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص٩٥ والخراج لأبي يوسف ص٢١٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧ ص١٣٤ ورسالات نبوية ص١٧٠ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٩ و ٤٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٦.

فعبد المطلب كان وبقي رمزاً عظيماً بالنسبة للعرب، ولم يكن يمكن لأحد أن يستهين بموقعه، أو أن يتجاهل مكانته عند الله تعالى، أو أن ينكر تقواه وقداسته، خصوصاً وأنه سيد مكة، بل سيد العرب، ولم يزل اسمه مرتبطاً بالقداسات، والكرامات، والاستقامة على خط الخير والصلاح، والسداد والفلاح..

وقد ظهر لابن عبد المطلب وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات أكثر مما ظهر لجده من معجزات، وكرامات وقداسات. وها هو قد جاء على صفة وحالة تظهر وتجسد ما هو عليه من التقوى والارتباط بالله، وتعظيم البيت.. وذلك بصورة عملية قوية، وقادرة على أن تحضر عبد المطلب نفسه إلى الذاكرة، بل إلى المشاهدة بعين الباطن، والضمير والوجدان.

فانتفض وجدان الحليس، وانطلق ينذر بإعادة النظر في كل العقود والعهود التي كانت بين الأحابيش وبين قريش.. بل هو يتجاوز ذلك إلى أن يتهدد ويتوعد بأن ينفر مع الأحابيش كلها لنصرة محمد «صلى الله عليه وآله»..

وعلى قريش أن تأخذ هذا التهديد بعين الاعتبار، فإن عروة بن مسعود الثقفي قد سبق الحليس في اتخاذ موقف رافض لهذه السياسة الظالمة، وانسحب ومن تبعه إلى بلاده..

وهذا بالذات هو بعض ما تخشاه قريش، ويؤرقها، ويقض مضاجعها.

تحليل ابن مسعود ليس دقيقاً:

قد ظهر من النصوص المتقدمة:

أن عروة بن مسعود، وإن كان في يوم الحديبية لا يزال مشركاً، ولكنه

كان يطرح الأمور مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفق تحليله الذي كان يراه منطقياً ومعقولاً..

فهو قد اعتبر نصرة الأوشاب ـ وهم الخليط غير المتجانس ـ لا تنتهي إلى نتيجة؛ لأنهم يندفعون إلى الأمور كأفراد استناداً إلى إحساسهم الداخلي، بما يحققه لهم هذا الاندفاع من نتائج، فإذا كان يرى نفسه فرداً منقطعاً عن عشيرته، فسوف يرى من هذه النتائج ما يتناسب مع حجمه كفرد. فإذا وازن بينها وبين الثمن الذي قد يدفعه من أجلها، ألا وهو نفسه التي هي أعز ما في الوجود عليه، فسيرى أنه مغبون في هذه الصفقة، فتدعوه نفسه للفرار.

أما إذا كانت له عشيرة تشاركه في هذه الاهتمامات، أو كان لديه رصيد معنوي يرى نفسه مطالباً بحفظه، وبالدفاع عنه، فإنه يشعر بوجود من وما تتوفر لديه حوافز الدفاع عنه وحفظه.

وسوف تختلف نظرته إلى طبيعة المنافع التي سوف يحصل عليها، حيث سيرى أنها أصبحت بحجم عشيرته كلها. فإذا كبرت في عينه النتائج، وتضاءلت احتمالات الخسارة، وأصبح هناك شعور أكبر بالأمن، فإن الاندفاع في الحرب، والإصرار على تحقيق النصر فيها سوف يكون أكبر، واحتمالات حصول هذا النصر أكثر وأوفر..

ولكن قد غاب عن ذهن عروة بن مسعود: أن الإيمان بالله سبحانه، وبالجنة والنار، وبالثواب والعقاب، وأن ترسيخ حب الله، وحب الرسول «صلى الله عليه وآله»، وحب الحق، وحب الإيمان وتنامي ذلك في القلب وفي الروح ـ إن ذلك ـ لابد أن يضاعف من اندفاع الناس للدفاع عما يحبون، وأن يسهل عليهم ما يصيبهم في هذه الحياة الدنيا، إذا كان يوجب

لهم الأمن والفوز والفلاح في الآخرة..

بل إن ذلك كله يجعل هذا الإنسان ليس فقط لا يهتم بالحفاظ على نفسه وحياته، وإنما هو يلتذ ويسعد حين يضحي بالنفس والمال، والولد، على قاعدة: «فزت ورب الكعبة»، كما أن طعم الموت لابد أن يصبح لديه أحلى من العسل..

ثم هو لابد أن يحزن، ويبكي، ويتحسر إذا فاته ذلك.

وبذلك يظهر: أن رابطة العشيرة، والمصلحة، وحمية الجاهلية، وما إلى ذلك سوف لا يبقى لها تأثير يذكر في الدفع، أو في الرفع..

وقد أثبتت الوقائع في بدر وسواها هذه الحقيقة بما لا مزيد عليه.

المنطق القبائلي، والمنطق الإيماني:

وقد حاول ابن مسعود أن يقدم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» معادلة ترتكز إلى المنطق العشائري، وإلى القيم الجاهلية، في مغازيها ومراميها، وذلك حين طالبه بالنظر في خيارين كلاهما مرفوض عشائرياً وجاهلياً، وهما:

١ ـ أن يجتاح قومه بالحرب، وهذا أمر لا ترضاه العقلية العشائرية، وتعتبره من موجبات العار الذي لا يقدم عليه أحد يلتزم بهذا المنطق، قال عروة: أن تجتاح قومك، ولم يسمع برجل اجتاح قومه، وأهله قبلك.

٢ ـ أن تكون نتيجة الحرب هي: أن يفر عنه أصحابه الذين هم أشواب[1] من الناس، فيأسره قومه، وهذا أمر لا يرضاه لنفسه، فإن الأسر عار وذل أيضاً..

---

(١) أي خليط.

واللافت هنا: أن عروة قد استند في حصر الأمر بهذين الخيارين إلى أن قريشاً قد أظهروا الحقد والتصميم على حربه، ولبسوا جلود النمور، وهم يقسمون بالله أن لا يخلوا بينه وبين البيت..

ويا ليت عروة بن مسعود يتذكر:

أولاً: إن قريشاً أهل محمد «صلى الله عليه وآله» وقومه، فلماذا يلبسون لابن عشيرتهم ولمن هو في جملة أهلهم جلود النمور، ولماذا يحقدون عليه، ويصرون على حربه، فإن المفروض هو: أن يعالج المنطق القبلي هذه الظاهرة، وأن يقضي عليها، وأن يزول حقدهم عليه، وممانعتهم ومنعهم إياه من دخول حرم الله لنفس هذا السبب، وهو كونهم أهله، وعشيرته..

ثانياً: إن ما يريدون منعه منه وعنه ليس لهم فيه حق، فإنه بيت الله، وهم مجرد خدم وسدنة لهذا البيت، ولا يرضى حتى منطقهم الجاهلي بمنع أحد من حجه أو من عمرته، أو من زيارة بيت ربه سبحانه وتعالى..

ثالثاً: إن هؤلاء الأهل والعشيرة قد ظلموا أخاهم وسيدهم، وأقدس رجل فيهم، وأخرجوه ومن معه من بلده وأهله، وماله، من غير ذنب أتاه إليهم.. وقد آذوه وحاولوا قتله، واستئصال شأفته، وإبادة خضرائه في حروبهم ضده.. فلماذا فعلت قريش ذلك؟!..

مع أنه ـ حسب منطق ابن مسعود ـ : لم يسمع برجل اجتاح قومه وأهله قبلهم.. فلماذا جرَّت باؤهم في ذلك كله.. ولم تجر باء محمد «صلى الله عليه وآله» هذه المرة؟! ولو بمقدار أن يسمحوا له بزيارة بيت ربه، ثم يرجع عنهم من دون قتال، ولا حتى جدال..

رابعاً: لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه أصروا على

زيارة البيت، فهل ستقاتله قريش، أم ستتركه؟!

إن كلام عروة بن مسعود نفسه صريح في أنها ستقاتله، بصورة متعدية وظالمة، فلماذا لم يوجه عروة إليها نفس هذا الكلام.. قبل أن يأتي رسولاً من قبلها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليسوِّق لاستمرار هذا الظلم، ويباركه، ويدعمه بظلم فاحش آخر؟!..

لقد كان عليها أن تخضع لهذا المنطق، الذي جاءت لتطالب الآخرين بالخضوع له، وتكف عن القتال، وتمكن زوار البيت الحرام من الزيارة والعمرة.

عنادهم وموقف رسول الله ﷺ:

أما موقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكان حازماً، ولكنه لم يكن عدوانياً، بل هو عين الإنصاف والعدل، وهذا بالذات هو ما كان يثير حفيظة قريش، حيث وجدت نفسها في موقع العناد واللجاج من دون أن يكون لديها أي مبرر مقبول أو معقول، حتى أمام شركائها في الرأي والموقف، وحلفائها ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن هم على دينها. فإن ما كان يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: إننا جئنا لزيارة بيت ربنا، فمن صدنا عنه قاتلناه.

فهو لم يطالب إلا بحق يقرُّ له به كل أحد، ولا مجال للمراء فيه، وهو حق عام يطالب به جميع الناس قريشاً بالذات، فمن أنكر هذا الحق على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلابد أن ينكره على نفسه أولاً.

من هنا نجد: أن جميع من جاؤوا من قبل قريش إلى النبي «صلى الله

عليه وآله» لم يكن لديهم حجة يعتصمون بها، فكانوا يلجأون إلى محاولة تخويفه «صلى الله عليه وآله» والمسلمين من عاقبة دفع الأمور باتجاه الحرب..

ثم كانت حصيلة مساعيهم: أنهم يرجعون إلى قومهم ليواجهوهم بنفس المنطق الذي سمعوه من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وذلك بدءاً من بديل بن ورقاء الخزاعي الذي قال لقريش: إنكم تعجلون على محمد، إنه لم يأت لقتال، إنما جاء معتمراً، ثم أخبرهم بمقالة النبي «صلى الله عليه وآله» حسبما تقدم.

مروراً بعروة بن مسعود الذي قال لهم: قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

وكذلك الحليس بن علقمة، الذي قال لقريش حين رجع إليها: ما على هذا حالفناكم، ولا عاقدناكم، على أن تصدوا عن البيت من جاءه معظماً لحرمته، مؤدياً لحقه الخ..

وانتهاءً بمكرز بن جابر، الذي رجع إلى قريش، ولم يجد لديه ما يحمله إليها، سوى ما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» له..

تصدع صفوف المشركين:

فاتضح بذلك كله:

أن الأمر قد انتهى بتصدع صفوف أهل الشرك.. وظهور الخلاف العميق فيما بينهم. إلى حد أن زعماء أقوياء في صفوفهم هم الذين يسعون لإقناع قريش بقبول عروض النبي «صلى الله عليه وآله»، ويعلنون أن خطته

خطة رشد وصلاح..

وهي نتيجة ذات أهمية فائقة، وحاسمة أيضاً.

وقد ظهر الخلاف بينهم حين قرر بديل بن ورقاء، أنهم يعجلون على محمد «صلى الله عليه وآله»، وأن اتهامهم إياه بأن حركته هذه حركة عدوانية اتهام باطل، فهو لم يأت لقتال أحد.

ثم إن عروة بن مسعود أيد بديلاً فيما قاله..

ثم عرض عليهم أن يحقق لهم في صحة أقوال بديل. فلما رضوا بذلك، وذهب في مهمته تلك، عاد إليهم بما يزيد في إضعاف موقفهم، وزعزعة ثباتهم. ويزيد من خوفهم ورعبهم. خصوصاً وهو يصف لهم طاعة أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» له، وتعظيمهم إياه، وأن هذا التعظيم، وتلك الطاعة هي لرجل ليس ملكاً مع أنها فوق تعظيم أتباع الملوك ـ بمن فيهم كسرى وقيصر ـ لملوكهم..

بل إنه يتوقع حتى من النساء، اللواتي كنّ في ذلك الجمع دفاعاً عن محمد «صلى الله عليه وآله» ضارياً مستميتاً.. وهذا ما لا يسعد قريشاً، ولا يؤنسها، بل هو يدفع بها إلى حالة من الخوف تصل إلى حد الرعب.

ثم هو يصف لهم كيف كان أصحابه «صلى الله عليه وآله» يتبركون بشعره، أو بكل آثاره.. حتى إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وكيف يبادرون لامتثال أوامره، ويذكر لهم كيف يخفضون أصواتهم عنده، ولا يحدُّون النظر إليه، وغير ذلك.

ولا شك في أنه سيصيبهم الذهول لهذا الوصف، الذي إذا رجعوا إلى أنفسهم، فإنهم لا يجدون شيئاً منه فيما بينهم، بل هم يجدون النقيض والمباين

له.. وهذا ما يجعلهم يدركون حجم الصعوبات التي سوف يواجهونها لو دخلوا معه في أي صراع. ويزيد في رعبهم من الأخطار التي تنتظرهم معه..

ثم يعلن عروة بن مسعود رأيه لهم، وهو: أن الرشد في قبول ما عرضه عليهم محمد «صلى الله عليه وآله»..

ثم كانت الحجة الأقوى التي استند إليها هي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما جاء زائراً للبيت، معظماً له، ومعه الهدي.. فخافت قريش من تأثير هذا المنطق، وقالوا له: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور..

وكانت النتيجة هي: انفصاله هو ومن تبعه عن قريش، وانصرافه إلى الطائف.

ثم زاد هذا التصدع في صفوف أهل الشرك حين رجع الحليس ـ وهو من رؤوس الأحابيش ـ إلى قريش من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» بموقف حازم، ليقول لها: «والله ما على هذا حالفناكم، ولا عاقدناكم على أن تصدوا عن البيت من جاءه معظماً لحرمته، مؤدياً لحقه، وساق الهدي. معكوفاً أن يبلغ محله.

والذي نفسي بيده، لتخلُّن بينه وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد».

فقالوا: كف عنا يا حليس، حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به..

تبرك الصحابة برسول الله صلى الله عليه وآله:

وفي سياق آخر نلاحظ ما يلي:

١ ـ إن ما ذكره عروة بن مسعود عن تبرك الصحابة بوضوء رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، وبشعره، وحتى بنخامته[١]، ما هو إلا واحد من مئات الشواهد الدالة على مشروعية التبرك بالأنبياء والأولياء، وبآثارهم.

كما أنه يدل على: أن لنفس جسد الرسول «صلى الله عليه وآله» قداسة وبركة، وهذا لا يختص بالأنبياء «عليهم السلام»، بل يشمل غيرهم من الأولياء والأصفياء ومن سعد بالاصطفاء والاجتباء.

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع، فإن المناسبة لا تقتضي ذلك، غير أننا نشير إلى: أن جواز التبرك وعدمه إنما يؤخذ من النصوص الواردة عن المعصوم «عليه السلام»، وليس هو من الأمور التي تحكم أو تتحكم بها العقول..

وذلك: لأن التبرك معناه طلب: البركة ـ التي هي النماء والزيادة ـ من

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٩ وكنز العمال (ط الهند) ج١٠ ص٣١١ ـ ٣١٥ عن مصادر كثيرة ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٣ ـ ١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٩ والبحار ج١٧ ص٣٢ و ٣٣ وج٢٠ ص٣٣٢ و ٣٤٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٩٨ وعن البخاري ج٣ ص٢٥٤ و ٢٥٥، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٣ و ٤٢ وج١٠ ص٣٨ وعن الشفاء لعياض ج٢ ص٣٧ وعن شرح الشفا لملا علي القاري ج٢ ص٦٧ وعن كنز العمال ج١٦ ص٢٣٦ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١٢ وإرواء الغليل ج١ ص٥٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢١٢ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٢.

مكامنها ومناشئها، سواء أكانت زيادة مادية أم معنوية، مع إحراز كونها قابلة للانتقال والاكتساب..

وهذا وذاك إنما يطلب من قبل الخالق، الذي هو الفاعل والجاعل..

فإذا أخبرنا الله ورسوله: أن البركة حاصلة في شخص رسوله، أو وليه، أو في القرآن الكريم، أو في الحجر الأسود.

وأخبرنا أيضاً: أنها قابلة للانتقال، والاكتساب، فلابد من أخذ ذلك منه، وقبوله عنه، ولا يصح رده بالقياسات العقلية الناقصة، ولا يجوز دفعه بالحدسيات والظنون، فإن الله سبحانه يريد أن تعبده مخلوقاته حسبما يرسمه لهم، ويريده منهم.. وليس لهم في ذلك أي خيار.

٢ ـ ومن جهة ثانية، فإن ما جرى في الحديبية، من تبرك الصحابة بشعر الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبفضل وضوئه، وغير ذلك قد أرعب قريشاً، واضطرها لإعادة النظر في حساباتها.

٣ ـ إن ما جرى في الحديبية ليس هو الدليل الوحيد على جواز التبرك، بل هناك مئات من الشواهد، والدلائل، والنصوص التي تؤكد ذلك.. فمجموعها هو الدليل القاطع وهو من حيث الغزارة والكثرة أضعاف أضعاف ما يتحقق به التواتر.. فلو جاز التشكيك في ذلك كله، ورده، ورفضه، واعتباره شركاً، فإن الأمر يصبح دائراً بين أمرين:

أحدهما: أنه يمكن الشك في كل الثوابت، والمتواترات من الشرع الشريف، فلا مجال لإثبات شيء منها، حتى ما هو من قبيل أن صلاة الظهر أربع ركعات!!

الثاني: أن يكون تبركهم حاصلاً وثابتاً فعلاً، وكان ذلك من الشرك،

فلابد من الحكم على كل من مارس ذلك أنه قد دخل في دائرة الشرك، وارتكاب المعاصي الكبيرة.

وهل يمكن لأحد أن يدين أعاظم الصحابة، وينسبهم إلى الشرك والكفر، بل هو يدين رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، الذي قبَّل الحجر الأسود، وتبرك بعلي «عليه السلام»، وسكت عن جميع الذين كانوا يمارسون التبرك بشعره، وبوضوئه، وبكثير من الأمور العائدة إليه[1].. وقَبِلَ هذا الشرك منهم، وأعانهم عليه، حينما كان يوزع شعره عليهم في الحديبية ليتبركوا به؟!!

التبرك لا يختص بالأحياء:

قلنا إن التبرك معناه: طلب النماء والزيادة والخير بتقديم وسيلة يحبها الله تعالى، فيستجيب للطالب من أجلها، وأنبياء الله «عليهم السلام»، يحب الله تعالى أشخاصهم، ويحب أيضاً كل ما يتعلق بهم، أو ينسب إليهم من آثار وغيرها، فإذا جعلها الطالب وسيلته إلى الله سبحانه، فإنه تعالى يتحفه بما طلب، وينعم عليه بهباته ويخصه ببركاته..

هذا.. ولا يختص الاستشفاء والتبرك بذات النبي أو الولي بصورة ما إذا

---

(١) الوسائل ج٩ ص٤٠٤ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٥٠٧ وج٥ ص٣٧٣ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٩١ ورياض الصالحين ص١٣٩ والبيان في تفسير القرآن ص٤٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٦٤ و ٤٨٨ والمحاسن ج٢ ص٥٢١ وعن البحار ج٦٣ ص٢٣٠ وشرح مسلم ج١٣ ص٢٢٤ وعن فتح الباري ج٩ ص٤٣٢ وعن عون المعبود ج١٠ ص١٨٣ وصحيح ابن حبان ج٤ ص٢٠٧ وسير أعلام النبلاء ج١١ ص٢١٢.

كان حياً؛ لأن وفاته لا توجب انقطاع تأثيره، كما يريدون أن يدَّعوا؛ فإن حرمة النبي والولي عند الله بعد وفاته هي نفسها في حياته، ولأجل ذلك يتوسل به أهل الحاجات، ويتبرك بقبره وبآثاره طلاب الخيرات والبركات، ويستشفى بتربته وبشعره، وبعصاه وسواها، من لم يجد له من آلامه سبيل نجاة..

ومنهم من أوصى: أن يوضع من شعر النبي «صلى الله عليه وآله» وأظفاره في كفنه بعد موته[1].

وقد رووا: أن أم سلمة كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبي «صلى الله عليه وآله» في جلجلٍ لها (أي ما يشبه القارورة) فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عين أو أذى أُرسل إليها إناء فيه ماء، فجعلت الشعرات في الماء ثم أخذوا الماء، يشربونه للاستشفاء، والتبرك به[2].

وحين كانت أم سلمة تنشف عرقه «صلى الله عليه وآله»، وتعصره في قواريرها، سألها النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فقالت: نرجو بركته لصبياننا.

قال: أصبت[3].

---

(١) الطبقات الكبرى ج٥ ص٤٠٦ وج٧ ص٢٥ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص١٤٣ وج١١ ص٣٣٧ وج١٦ ص٤٨٧ وتهذيب التهذيب ج١١ ص٣٦٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٣ ومسند أحمد ج٦ ص٢٩٦ وصحيح البخاري ج٧ ص٥٧ وفتح الباري ج١٠ ص٢٩٨ وتاريخ المدينة ج٢ ص٦١٨.

(٣) راجع: صحيح مسلم ج٤ ص٨٣ وج٧ ص٨٢ ومسند أحمد ج٣ ص٢٢١ و ٢٢٦ وفتح الباري ج١١ ص٦٠ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٩.

المغيرة قائم بالسيف خلف رسول الله ﷺ:

لقد ذكروا فيما تقدم: أن المغيرة كان قائماً على رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسيف، وأنه منع عروة بن مسعود من أن يلمس لحية النبي «صلى الله عليه وآله»..

وقد ردوا على هذه الرواية بما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى عن القيام على رأس الجالس.

ثم أجابوا: بأن الممنوع هو: ما كان منه على وجه العظمة والكبر. أما قيام المغيرة، على رأس النبي «صلى الله عليه وآله» فكان بقصد الحراسة، ونحوها من ترهيب العدو[1].

ونقول:

إن هذا غير مقبول:

أولاً: لأن الحراسة وترهيب العدو لا يحتاجان إلى هذا القيام، لإمكان حصولهما بأساليب وطرائق أخرى غير القيام على رأس النبي «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن المنهي عنه هو نفس هذا المظهر، الذي هو من مظاهر الكبر والعظمة، وإن لم يكن الجالس متكبراً ولا طالباً للعظمة.. فهو نظير التشبه بالكفار وأهل الفسوق، فإن ما يبغضه الله هو السعي لإيجاد الشبه، بالإضافة إلى ظهور نفس هذا الشبه أيضاً، فإن الله لا يرضى أن يظهر رسم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٤ والتراتيب الإدارية ج١ ص٣٤٦ وفتح الباري ج٥ ص٢٤٩ وعون المعبود ج٧ ص٣١٧ وج١٢ ص٢٦٥.

الصليب على ثياب المسلمين؛ وإن كانوا لم يقصدوا ذلك، بل قصدوا مجرد لبس الثوب للتستر به. وهكذا الحال بالنسبة لمن يتمثل له الرجال «صفوفاً».

وفي نص آخر: «قياماً»، فليتبوء مقعده من النار[1].

وكما أرادوا أن يمنحوا المغيرة بن شعبة هذا الوسام، من أجل أن يكافئوه على خدماته لمعاوية، ومعونته لمناوئي علي «عليه السلام»، ومشاركته لهم في

---

(١) راجع: التراتيب الإدارية ج١ ص٣٤٦ وفتح القدير ج٤ ص٤٣٠ ورواية «قياماً» في: إعانة الطالبين للدمياطي ج٣ ص٣٠٥ وج٤ ص٢١٩ والقواعد والفوائد للشهيد الأول ج٢ ص١٦١ و ٢٨٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٣٤ وج١٠ ص٣٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٣٤٨ وتاريخ بغداد ج٢ ص١٧١ وج١١ ص٣٦١ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٣٥١ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٤٦٧ وج١٣ ص١٤٠ ولسان الميزان ج٢ ص٤٢٦ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٦٥ والأمالي للطوسي ص٥٣٨ ومكارم الأخلاق ص٤٧١ ومشكاة الأنوار ص٣٥٨ والبحار ج٧١ ص٩٠ وج٧٣ ص٣٨ والجامع الصحيح ج٤ ص١٨٤ ومجمع الزوائد ج٨ ص٤٠ وفتح الباري ج١١ ص٤١ و ٤٢ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٨٢ والمعجم الكبير ج١٩ ص٣٥١ و ٣٥٢ والجامع الصغير ج٢ ص٥٥٣ والعهود المحمدية للشعراني ص٨٣٤ وفيض القدير ج٦ ص٤١ وكشف الخفاء ج٢ ص٢٢٠ ونظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني ص٢٢٣ واللمعة البيضاء ص٥٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٩٩ و ٦٣٣ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٠٠٤ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٥ والوسائل ج٨ ص٥٦٠ ومسند أحمد ج٤ ص١٠٠ وسنن أبي داود ج٢ ص٥٢٥ وأحكام القرآن ج٣ ص١٢٣ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٢١٩.

الهجوم على بيت فاطمة «عليها السلام»، وعلى ضربه لها حتى أدماها، وألقت ما في بطنها، استذلالاً منه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومخالفةً منه لأمره، وانتهاكاً لحرمته[1].

بالإضافة إلى أفاعيل ومواقف معروفة له، ذكر العلامة التستري بعضها، فراجع[2].

وهكذا يقال بالنسبة لما رووه، من أن الضحاك بن سفيان كان يقوم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسيفه[3]. فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يرضاه من المغيرة أو الضحاك، أو من غيرهما، وسيرته «صلى الله عليه وآله» خير شاهد على هذه الحقيقة..

غير أننا لا نستبعد: أن يكون المغيرة قد حضر ذلك المجلس، على حالة معينةٍ، واختارها هو لنفسه، وأنه قد تحرش بعروة، وضايقه، حتى نفد

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٤١٤ والبحار ج٤٣ ص١٩٧ وج٤٤ ص٨٣ وج٣١ ص٦٤٥ ومرآة العقول ج٥ ص٣٢١ وضياء العالمين (مخطوط) ج٢ ق٣ ص٦٤ والعوالم (حياة الإمام الحسن) ص٢٢٥ واللمعة البيضاء ص٨٧٠ وبيت الأحزان ص١١٦ وصحيفة الإمام الحسن للفيومي ص٢٧٠ ومجمع النورين ص٨١.

(٢) راجع: قاموس الرجال (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج١٠ ص١٩٤ ـ ٢٠٠

(٣) التراتيب الإدارية ج١ ص٣٤٦ عن الإستيعاب ونور النبراس، والروض الأنف، والإصابة ج٢ ص٢٠٧ عن البغوي، وابن قانع، والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٢٠٧ وأسد الغابة ج٣ ص٣٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٥٥٨ وعن كنز العمال ج١٣ ص٤٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٤١٦.

صبره. ووجَّه إليه تلك الكلمات اللاذعة..

واللافت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعترض على عروة في ما نسبه إلى المغيرة.. بل اكتفى بالتبسم، ثم بإخباره بقرابته له وموقعه منه.. فهل رأى ـ وهو نصير المظلومين الأول ـ أنه لا يحق له الدفاع عن المغيرة ولو بكلمة واحدة، تبين: أنه لا يحق لعروة أن يصفه بأنه ألأم وأشر رجل، وبأنه شديد الفظاظة والغلظة؟! أم أنه «صلى الله عليه وآله» قد رأى أن عروة محق في موقفه، وصادق فيما وصف به المغيرة؟!

امصص بظر اللات لغة مرفوضة:

وحين نقرأ كلمات أبي بكر التي واجه بها عروة بن مسعود، فإننا سوف نعجب كثيراً منها، حيث إنها:

١ ـ جاءت على طريقة غير مألوفة في الخطابات التي تكون بمحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث تضمنت كلمات لا يليق التفوه بها في محضره الشريف.

٢ ـ إنه لم يكن هناك أي داع إلى دفع الأمور بهذا الاتجاه، حتى لو لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» حاضراً في ذلك المجلس.. فإن كلمة «امصص بظر اللات»[1]، أو نحوها إنما جاءت رداً على قول عروة: إن

---

(١) البحار ج٢٠ ص٣٣١ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٤ و ٣٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢١٩ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٤ والمعجم الكبير ج٢٠ ص١١ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٦ وج٦ =

أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» لا ينصرونه في الحرب، بل يخذلونه، وهوتحليل مقبول لدى أهل الجاهلية ولا يحتاج أبو بكر في الإجابة عليه إلى استخدام هذه التعابير.

٣ ـ إن مبادرة أبي بكر إلى الكلام في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من دون إذن منه، غير مقبولة، خصوصاً مع ملاحظة: أن الله سبحانه قد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ولعل عدم مبادرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» للاعتراض على أبي بكر، يعود إلى أنه لم يرد أن يكسره أمام زعيم من زعماء الشرك..

٤ ـ وأما قول أبي بكر: أنحن نخذله، فإن كان يقصد به غيره من المسلمين، فهو صحيح؛ لأن هناك من لا يخذل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المسلمين.

وإن كان يريد أن يدخل نفسه في جملة من لا يخذل الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإن الوقائع لا تشجع على قبول هذا منه، والكل يعلم: أنه وأكثر المسلمين باستثناء علي «عليه السلام» قد فروا عنه «صلى الله عليه وآله» يوم أحد..

= ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٧ وج٦٠ ص٢٦ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٧٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩٠ و ١٩٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٧٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٧ وج٣ ص٣١٧ و ٣٣١.

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

وفي بدر كان الذي يصلى بنار الحرب، ويعالج الطعن والضرب، غيرأبي بكر بالتأكيد، فإنه احتمى برسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه كان يرى: أن المكان الأكثر أمناً هو الموضع الذي فيه النبي «صلى الله عليه وآله».. الذي كان الناس يلوذون به إذا حمي الوطيس.

وفي يوم الخندق لم يجرؤ على الإتيان بأي حركة خوفاً من عمرو بن عبد ود، مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من لعمرو وأضمن له على الله الجنة، فلم يجرؤ على مبارزة عمرو أحد سوى أمير المؤمنين «عليه السلام».

وفي غزوة بني قريظة أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بكر بالراية، فعاد بها مهزوماً أيضاً..

ألا يعتبر ذلك كله خذلاناً منه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فما معنى قوله لسهيل: أنحن نخذله؟!.

وأما خذلانه له بعد الحديبية، خصوصاً في خيبر ويوم حنين، فحدث عنه ولا حرج.

سخاء أبي بكر:

بقي أن نشير: إلى أننا نشك في ما ذكرته الروايات من سخاء لافت لأبي بكر، حيث ذكر عروة بن مسعود ـ فيما يزعمون ـ: أنه أعانه في دية بعشر فرائض.. وذلك لما يلي:

١ ـ إن أبا بكر قد ترك أباه وابنته حين الهجرة من دون نفقة، حتى اضطرت ابنته إلى أن تضع كيساً فيه حصى لكي يتلمسه أبو قحافة، ويظن

أنه أموال تركها أبو بكر لعياله[١].

٢ ـ إننا لم نعهد عن أبي بكر: أنه كان يملك فرائض، يمكنه أن يتخلى عنها لغيره بلا مقابل، بل كل ما ذكروه عنه هو: أنه كان عنده أربعة آلاف درهم، حملها معه إلى المدينة، وذكرنا: أن ذلك لا يصح، فراجع ما ذكرناه في الجزء الرابع من هذا الكتاب.

٣ ـ إن عروة بن مسعود كان من عظماء المشركين، بل قد زعموا: أنه أحد الرجلين اللذين عنتهما الآية الكريمة: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾**[٢].. والرجل الآخر هو الوليد بن المغيرة[٣].

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٣ وكنز العمال (ط الهند) ج٢٢ ص٢٠٩ و (ط دار الفكر) ج١٦ ص٦٨١والبداية والنهاية ج٣ ص١٧٩ والأذكياء لابن الجوزي ص٢١٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٥٩ عن أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وعن الطبري، وحياة الصحابة ج٢ ص١٧٣ و ١٧٤ والغدير ج٨ ص٥٨ ومسند أحمد ج٦ ص٣٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٥ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٢٣٩.

(٢) الآية ٢١ من سورة الزخرف.

(٣) راجع: قاموس الرجال ج٦ ص٣٠١ وتحف العقول ص٤٦٥ والإحتجاج ج١ ص٢٦ و ٢٧ و ٣١ وسعد السعود ص٧٦ وعدة الداعي ص١١٢ والبحار ج٩ ص١٤٩ و ٢٧٠ و ٢٧٣ وعن فتح الباري ج٦ ص٢٢٤ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٥٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص٦٤ وج١٨ ص٢٩٦ والتبيان ج٩ ص١٩٥ ومجمع البيان ج٩ ص٧٩ ونور الثقلين ج٤ ص٥٩٧ و ٥٩٨ =

فهل كان هذا الرجل العظيم، والسيد في قومه، فقيراً إلى حدّ أنه كان لا يملك مقدار دية كان قد حملها، مع أنهم يقولون: إن الفقير لا يسود في العرب، إلا أن أبا طالب ساد فقيراً.

٤ ـ قد يقال: إن عروة وإن كان غنياً، ورئيساً، ولكن الغنى والرئاسة لا يجب أن يكونا بحيث يستطيع أن يتخلى عن مائة من الإبل في دية حملها، فيحتاج في جمع قسم منها إلى الاستعانة بغيره..

ونجيب: ليت شعري لو جاز أن يكون عظيم القريتين بهذه المثابة فلماذا لم يطلب المعونة من أقرانه، فإن المناسب لسيد قومه، وأحد عظيمي القريتين أن لا يستعين بأقل وأذل بيت في قريش، حسبما ذكرته النصوص، فراجع ما قاله أبو سفيان حينما بويع أبو بكر[1].

وما قاله أبو بكر لأبي قحافة، حين رفع أبو بكر صوته على أبي سفيان[2].

= و ٢٢٢ وتفسير القرآن للصنعاني ج٣ ص١٩٦ وجامع البيان ج٢٥ ص٨٣ و ٨٤ و ٨٥ ومعاني القرآن ج٦ ص٣٥٠ وزاد المسير ج٧ ص٩٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٠٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٣٧ والدر المنثور ج٣ ص٣٠٠ وج٦ ص١٦ ولباب النقول ص١١٥ وفتح القدير ج٤ ص٥٥٣ و ٥٥٥ وأسد الغابة ج٣ ص٤٠٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٦٠٣.

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٤٥١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٧٨ والكامل لابن الأثير ج٢ ص٣٢٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج٢ ص٤٤ والنزاع والتخاصم ص١٩ وكنز العمال (ط الهند) ج٥ ص٣٨٣ و ٣٨٥ عن ابن عساكر، وعن أبي أحمد الدهقان في حديثه. وأنساب الأشراف ج١ ص٥٨٨.

(٢) النزاع والتخاصم ص١٩ والغدير ج٣ ص٢٥٣.

فإن ذلك كله، صريح في: ذل ومهانة قبيلة تيم، التي ينتسب إليها أبو بكر.

وكذلك الشعر الذي قاله عوف بن عطية في قبيلتي تيم وعدي[1].

وما ذكره معاوية في رسالته لزياد[2].

لقد كان من الطبيعي أن يأنف من ذلك، ويرفضه ويأباه حتى لو ألح عليه أبو بكر بقبوله، وقدم له الالتماس تلو الالتماس، والرجاء بعد الرجاء؟!..

٥ ـ إن هذا العطاء الجزيل من أبي بكر، وهو عشرة فرائض، مقابل الواحدة، والاثنتين، والثلاث التي كان يعطيه إياها الآخرون، يجعل أبا بكر في مصاف أجواد العرب مثل حاتم الطائي، وزيد الخيل، ولابد أن يطير ذكره في البلاد، ويسمع به ويتداول أخبار جوده الصغير والكبير من العباد، ولكننا لم نر أي أثر لذلك فيما قرأناه من فصول التاريخ.

٦ ـ ويزيد الأمر وضوحاً: أن الذي أحسن إليه أبو بكر هذا الإحسان العظيم الذي لا ينسى. لا يعرف أبا بكر ولا يميزه عن غيره، بل يسأل عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكيف لا يعرف العظماء أقرانهم؟!

وكيف نسي عروة هذا المتفضل عليه بهذه السرعة؟!

ألم يكن من المفترض: أن تصبح صورته محفورة في قلبه، لا يمحوها منه مر الأيام والليالي، وكر العصور والدهور؟!.. ولا سيما إذا كان فراقه له لم يطل أكثر من ست سنوات، وذلك على كبر السن، واكتمال الملامح وثباتها.. لا في أيام الطفولة أو الشباب، ليكون التغيير في الملامح سبباً في اشتباه الأمر عليه.

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص٣٨.

(٢) كتاب سليم بن قيس (ط النجف) ص١٤٠.

ولنفرض: أن الملامح قد تغيَّرت، فهل تغيَّر عليه صوته أيضاً؟!

٧ ـ لنفترض: أن أبا بكر كان يملك أموالاً، وأنه كان رئيساً، و.. و..

فإن ذلك: لا يبرر تصديقنا بحديث معونته لعروة بن مسعود بعشر فرائض.

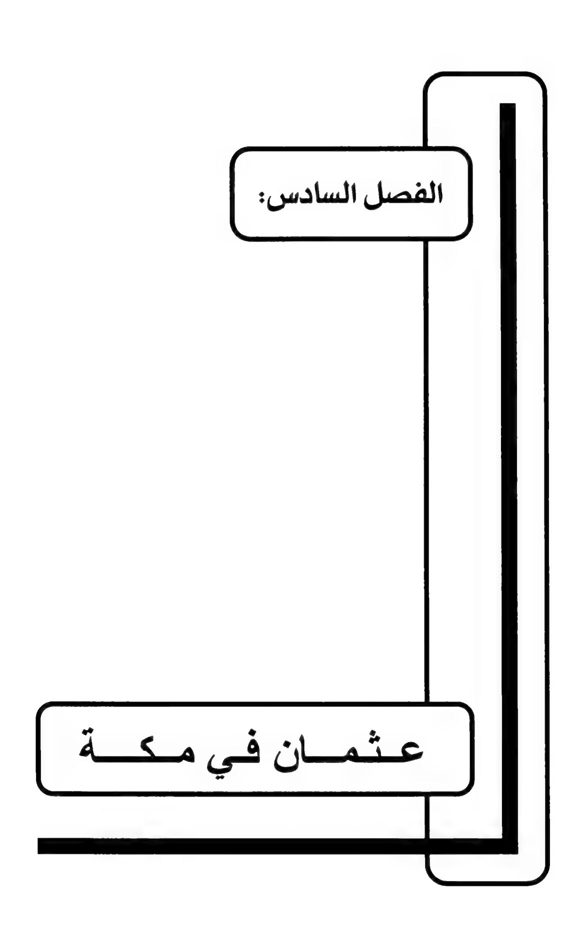
ونحن نرى: أنه لم يجرؤ على إنفاق درهمين لينال شرف مناجاة الرسول «صلى الله عليه وآله»، حتى نزل العتاب الإلهي له، ولغيره من الصحابة؛ باستثناء علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كان هو الوحيد الذي عمل بآية النجوى.. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) الآيتان ١٢ و ١٣ من سورة المجادلة. وراجع: دلائل الصدق ج٢ ص١٢٠ والأوائل ج١ ص٢٩٧ وتلخيص الشافي ج٣ ص٢٣٥ و ٢٣٧ ومناقب أمير المؤمنين ج١ ص١٨٨ و ١٩١ والمسترشد ص٣٥٦ والإحتجاج ج١ ص١٨١ والعمدة ص١٨٦ والطرائف ص٤٠ و ٤١ والبحار ج٦٧ ص٢٩ وج٢٩ ص١٥ وج٣٥ ص٣٧٩ والنص والإجتهاد ص٣٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٧٤ ونظم درر السمطين ص٩٠ وكنز العمال ج٢ ص٥٢١ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص٣٢٩ وتفسير القمي ج٢ ص٣٥٧ وتفسير فرات الكوفي ص٤٧٠ وخصائص الوحي المبين ص١٦٥ ونور الثقلين ج٥ ص٢٦٥ وشواهد التنزيل ج٢ ص٣١٢ و ٣٢٥ وفتح القدير ج٥ ص١٩١ وإعلام الورى ج١ ص٣٧٠. وراجع فصل هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» حين الحديث عن ثروة أبي بكر.





الفصل السادس:

عثمان في مكة

[illegible]

[illegible]

خراش رسول النبي ﷺ إلى مكة:

قال الصالحي الشامي: قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قريش خراش بن أمية على جمل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يقال له: الثعلب، ليبلغ عنه أشرافهم بما جاء له، فعقر عكرمة بن أبي جهل الجمل، وأرادوا قتله، فمنعه الأحابيش، فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يكد، فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما لقي[1].

عثمان إلى مكة:

وروى البيهقي عن عروة قال: لما نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحديبية فزعت قريش لنزوله إليهم، فأحب أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش، فقال: يا رسول الله، إني

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٢ وجامع البيان ج٢٦ ص١١١ والثقات ج١ ص٢٩٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٨٩١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٨.

أخاف قريشاً على نفسي، وقد عرفت قريش عداوتي لها، وليس بها من بني عديّ من يمنعني، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم.

فلم يقل له رسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً.

فقال عمر: يا رسول الله، ولكني أدلك على رجل أعز بمكة مني، وأكثر عشيرة وأمنع، وإنه يبلغ لك ما أردت: عثمان بن عفان!!

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عثمان، فقال: «اذهب إلى قريش وأخبرهم: أنّا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمّاراً، وادعهم إلى الإسلام».

وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم: أن الله تعالى ـ وشيكاً أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالإيمان.

فانطلق عثمان إلى قريش، فمر عليهم ببلدح، فقالوا: أين تريد؟

فقال: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم لأدعوكم إلى الإسلام، وإلى الله جل ثناؤه، وتدخلون في الدين كافة، فإن الله تعالى مظهر دينه، ومعز نبيه.

وأخرى: تكفون، ويكون الذي يلي هذا الأمر منه غيركم، فإن ظفر برسول الله «صلى الله عليه وآله» فذلك ما أردتم، وإن ظفر كنتم بالخيار بين أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس، أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامُّون. إن الحرب قد نهكتكم وأذهبت الأماثل منكم.

وأخرى: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبركم: أنه لم يأت لقتال

أحد، إنما جاء معتمراً، معه الهدي، عليه القلائد، ينحره وينصرف[١].

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك، فأخبره أنه لا يصل إلينا[٢].

ولقيه أبان بن سعيد[٣]، فرحب به أبان وأجاره، وقال: لا تقصر عن حاجتك، ثم نزل عن فرس كان عليه، فحمل عثمان على السرج، وردف

---

(١) أخرجه ابن سعد ج٢ ق١ ص٧٠ والبيهقي في الدلائل ج٤ ص١٣٣ وجامع البيان ج٢٦ ص١١١ وعين العبرة ص٢٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٢٠٠ و ٢٠١ والثقات ج١ ص٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٨ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج٢ ص٢٧٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦١٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٥٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٩ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦١٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٨.

(٣) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.. قال البخاري، وأبو حاتم الرازي، وابن حبان: له صحبة وكان أبوه من أكابر قريش وله أولاد نجباء أسلم منهم قديماً خالد وعمرو، فقال فيهما أبان الأبيات المشهورة التي أولها:

ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهد لما يفتري في الدين عمرو وخالد

الإصابة ١/ ١٠.

وراءه، وقال:

أقبل وأدبر لا تخف أحداً بنو سعيد أعزة الحرم

فدخل به مكة، فأتى عثمان أشراف قريش ـ رجلاً رجلاً ـ فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً، ودخل على قوم مؤمنين من رجال ونساء مستضعفين بمكة فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: قد أظلكم حتى لا يستخفى بمكة اليوم بالإيمان، ففرحوا بذلك، وقالوا: اقرأ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» السلام[1].

ولما فرغ عثمان من رسالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قريش قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف.

فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله». وأقام عثمان بمكة ثلاثاً يدعو قريشاً.

وقال المسلمون ـ وهم بالحديبية، قبل أن يرجع عثمان ـ: خلص عثمان من بيننا إلى البيت فطاف به.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون».

وقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه؟

قال: «ذلك ظني به، ألّا يطوف بالكعبة حتى نطوف».

وعند ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع ـ مرفوعاً ـ: «لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦.

فلما رجع عثمان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال المسلمون له: اشتفيت من البيت يا أبا عبد الله؟!

فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي! فوالذي نفسي بيده لو مكثت مقيماً بها سنة ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولقد دعتني قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت.

فقالوا: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أعلمنا، وأحسننا ظناً[1].

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر أصحابه بالحراسة بالليل، فكانوا ثلاثة يتناوبون الحراسة: أوس بن خولي ـ بفتح الخاء المعجمة والواو ـ وعباد بن بشر، ومحمد بن مسلمة.

وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة من الليالي، وعثمان بن عفان بمكة. وقد كانت قريش بعثت ليلاً خمسين رجلاً، وقيل: أربعين، عليهم مكرز بن حفص، وأمروهم أن يطوفوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» رجاء أن يصيبوا منهم أحداً، أو يصيبوا منهم غرة.

فأخذهم محمد بن مسلمة، فجاء بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأفلت مكرز، فخبَّر أصحابه، وظهر قول النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم: أنه رجل غادر[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٦ و ١٧ و ١٨ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٨ و ٨٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٠ وفتح الباري ج٥ ص٢٥١.

وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم:

كرز بن جابر الفهري، وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وعبد الله بن حذافة السهمي، وأبو الروم بن عمير العبدري، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وعمير بن وهب الجمحي، وحاطب بن أبي بلتعة، وعبد الله بن أبي أمية. قد دخلوا مكة في أمان عثمان[1].

وقيل: سراً، فعلم بهم فأخذوا.

وبلغ قريشاً حبس أصحابهم الذين مسكهم محمد بن مسلمة، فجاء جمع من قريش إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه حتى تراموا بالنبل والحجارة، وأسر المسلمون من المشركين ـ أيضاً ـ اثني عشر فارساً، وقتل من المسلمين ابن زنيم ـ وقد أطلع الثنية من الحديبية ـ فرماه المشركون فقتلوه[2].

وبعثت قريش سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، فلما جاء سهيل، ورآه النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: سهل أمركم[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ و ٥٥ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٨١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٧ والدر المنثور ج٦ ص٧٦ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٨ و ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٤ =

فقال سهيل: يا محمد إن الذي كان من حبس أصحابك، وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأي ذوي رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا، ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة، والذين أسرت آخر مرة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي».

فقالوا: أنصفتنا.

فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشُّتَيْم ـ بشين معجمة مصغر ـ بن عبد مناف التيمي، فبعثوا بمن كان عندهم: وهم عثمان، والعشرة السابق ذكرهم.

وأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أصحابهم الذين أسرهم.

= والبحار ج٢٠ ص٣٣٣ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٤٥ ومسند أحمد ج٤ ص٣٣٠ وصحيح البخاري ج٣ ص١٨١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٠ وفتح الباري ج٥ ص٢٥١ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٠ والأدب المفرد ص١٩٦ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ وعن كنز العمال ج١٠ ص٤٧٨ وإرواء الغليل ج١ ص٥٧ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٧ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٥ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ والجرح والتعديل ج٤ ص٢٤٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٩٤ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص١٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣.

وقبل وصول عثمان ومن معه بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن عثمان ومن معه قد قتلوا، فكان ذلك حين دعا إلى البيعة[1].

ولنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

على جمل رسول الله ﷺ:

١ ـ إن أول ما نلاحظه في النص المتقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بعث خراش بن أمية رسولاً لقريش، على جمل له «صلى الله عليه وآله»، اسمه ثعلب.

وكأن إعطاءه خصوص هذا الجمل يهدف إلى تسهيل الأمر على قريش بتقديم العلامة التي تجعلهم يتيقنون بكونه رسولاً من قِبَلِه «صلى الله عليه وآله» من دون حاجة إلى التماس القرائن والدلالات على ذلك. إذ قد تطول المدة، وتتراكم الشائعات، وتثور الظنون حول هذا الوافد، بأن يكون عيناً، ويريد أن يحمي نفسه بهذا الادعاء.. ويتعرض ـ من ثم ـ للمضايقة والأذى.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٦ ـ ٤٨ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٦٧ عن ابن إسحاق والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢١ وراجع: الطبقات الكبرى ج١ ص٤٦١ وحياة الصحابة ج٢ ص٣٩٧ و ٣٩٨ عن كنز العمال ج١ ص٨٤ و ٥٦ وج٥ ص٢٨٨ عن ابن أبي شيبة والروياني، وابن عساكر، وأبي يعلى، والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨ و ١٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٦٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٠ و ٤١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٣ وعن عون المعبود ج٧ ص٢٨٩ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص٧٧ والتنبيه والإشراف ص٢٢١.

٢ ـ إن إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» رسولاً من قبله إلى قريش، يخبرهم بما جاء له، دليل قاطع على حقيقة نواياه، وأن مجيئه إلى مكة ليس مبادرة قتالية، لأن الهدف لو كان هو القتال، لكان التستر على الأمر، ومفاجأة قريش، هو الأسلوب الأمثل، والطريقة الفضلى للنجاح فيما يقصده.

٣ ـ إن ما فعله عكرمة بن أبي جهل، قد جاء على خلاف ما تفرضه الأعراف والسنن حتى الجاهلية منها، فإن قتل الرسل عار، والعدوان عليهم رعونة غير مقبولة..

فما معنى: أن يعقر جمل هذا الرسول، وما هو المبرر لمحاولة قتله؟!.

ولأجل ذلك: لم يرتض الأحابيش هذه التصرفات، بل بادروا إلى منع القتل عن ذلك الرسول، ربما منعاً للعار، وربما حفاظاً على أنفسهم، حتى لا يتعاطف الناس مع محمد «صلى الله عليه وآله»..

عمر بن الخطاب يرفض طلب النبي صلى الله عليه وآله:

مما لا شك فيه: أن حقد قريش على علي أمير المؤمنين «عليه السلام» كان هائلاً وعظيماً. وقد أمره أبو طالب، وليس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن ينام في فراش النبي «صلى الله عليه وآله» على مدى ثلاث سنوات، حين حصرهم المشركون في شعب أبي طالب. من أجل أنه إذا فكرت قريش باغتياله «صلى الله عليه وآله»، كان هو الفداء له، والضحية دونه.

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره: بأن ينام في فراشه ليلة

الهجرة، فبادر إلى ذلك طائعاً مسروراً، ولم يسأل عما سيصيبه من جراء ذلك، بل قال له: أوتسلم يا رسول الله؟

فقال: نعم.

فخر ساجداً لله شكراً، حسبما تقدم بيانه في هذا الكتاب.

مع أن الرجال المتعطشين لدمه حاضرون خلف الباب، شاهرين سيوفهم بأيديهم، وهم ينتظرون اللحظة الموعودة، لينزلوا ضربتهم به، ولا مجال لتحاشي ذلك.

وكانت هذه هي سيرة علي «عليه السلام» وطريقته طيلة حياته مع رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقد كان متفانياً في الذب عنه، وفي الطاعة له. وكان السامع المطيع الذي لا يسأل، ولا يناقش، ولا يقترح، ولا يتردد، بل يكون كالسكة المحماة دائماً..

وليت شعري لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أمر عمر بن الخطاب بالمبيت في مكانه ليلة الهجرة، فهل كان سيمتثل أمره؟! أم كان سيعتذر عن ذلك بأن قريشاً سوف تقتله، وليس هناك من يدفع عنه من بني عدي، أو من غيرهم؟!.

وفي الحديبية لم يطلب منه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يصل إلى حد ما طلبه من أمير المؤمنين ليلة الهجرة، من حيث درجة الخطورة على حياته.. بل طلب منه أن يكون رسولاً، يتمتع بحصانة الرسل، الذين يعتبر الإعتداء عليهم عاراً وعيباً عند العرب، وعند سائر الأمم.

وكان قد أرسل غيره في هذه المهمة، وعاد سالماً، ومنع المشركون أنفسهم سفهاءهم من الاعتداء عليه، مستدلين بهذه الحجة نفسها وهي: أن

الرسل لا تقتل!!..

ولكن عمر بن الخطاب يرفض طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» هذا، ولا يقدم تعليلاً يرتبط بالشأن العام، أو بالقضية التي يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعالجها، فهو لم يقل مثلاً: إن ذهابي قد لا يحقق المطلوب الذي ترمي إلى تحقيقه..

بل هو قد اعتذر بأمر شخصي بحت. ليس له منشأ يقبله العقلاء الذين يعيشون أجواء التضحية في سبيل مبادئهم، بل لا يقبله حتى عقلاء أهل الشرك، والكفر أيضاً، لأنه إنما يستند إلى شعوره بالهلع والخوف، مع أن هذا الخوف لا يبرر ذلك، فإنه حتى لو كان له منشأ واقعي، لم يكن ينبغي أن يدفعه إلى التمرد على إرادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

بل كان المطلوب هو: أن يندفع لاكتساب هذا الشرف العظيم، ولينال هذا الفوز، الذي طالما حلم به الأولياء، والأصفياء، والأتقياء..

ومع غض النظر عن ذلك كله، نقول:

إنهم يدَّعون: أن الإسلام قد عزّ بإسلام عمر، وأنه قد كانت له بطولات عظيمة، ومواجهات رائعة مع المشركين قبل الهجرة، انتهت بانكسار شوكتهم. وعز الإسلام في مكة إلى حد أن مكَّن رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أن يطوف بالبيت، ويصلي الظهر معلناً[1].

فإذا كانت قريش قد خافت من عمر، وهو في مكة، وذلك قبل

---

(١) راجع ما ذكروه حول بطولات عمر في فصل: حتى الشعب، وذلك حين الحديث عن إسلامه.

الهجرة، فكيف لا تخاف منه، وقد أصبح خلفه جيوش جرارة، فيها رجال شداد وسيوف حداد، جربت حظها معها، وعرفت مدى فاعليتها، وله فيها أيضاً قبيلة وعشيرة، وعمر لم يزل هو عمر، لم يتغير ولم يتبدل، فليستعمل نفس صولاته السابقة، حيث لم يكن له نصير يمكنه أن يفكر فيه، أو أن يحامي عنه كما هو الحال الآن!!.

واللافت هنا: أننا نجده يشرح الأمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى كأنه يرى أن تلك الأمور قد غابت عن ذهنه «صلى الله عليه وآله»، أو أنه كان جاهلاً بها من الأساس..

والأدهى والأمر: أنه يقول لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: ولكنني أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني.. فهل كان «صلى الله عليه وآله» جاهلاً بوجود عثمان، وبموقعه العشائري بين أهل مكة؟! فيحتاج إلى من يدله عليه، وينبهه إلى مكانته بينهم، وموقعه فيهم؟!

دلالات أخرى في كلمات عمر:

وثمة دلالات أخرى في كلمات عمر بن الخطاب، التي حاول من خلالها أن يتملص ويتخلص من المهمة التي كلفه بها النبي «صلى الله عليه وآله».. فلاحظ ما يلي:

عداوة عمر لقريش:

تقدم أن عمر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: قد عرفت قريش عداوتي لها.

ونقول:

إن عداوة قريش لعمر هي كعداوتها لأي فرد آخر من المسلمين، بل قد

تكون عداوتها له هي الأقل والأضعف، كما أظهرته لنا وقائع في حرب أحد حيث طفت على السطح أمارات عديدة تشير إلى أن ثمة عطفاً من مقاتلي قريش وقادتها على عمر بن الخطاب ومحبة منهم، وسعياً منهم لحفظه..

وقد قال ضرار بن الخطاب لعمر بعد أن ضربه بالقناة: «والله ما كنت لأقتلك»[١].

وكانت هذه يداً له عند عمر، كان عمر يكافؤه عليها حين استخلف[٢].

كما أن عمر قد أخبر أبا سفيان بوجود النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم حياً، رغم أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد طلب منه أن لا يفعل[٣]. فظهر أنه يتعمد الدلالة عليه، في أخطر الأوقات، وأصعب الحالات..

يضاف إلى ذلك: أن خالد بن الوليد لقي عمر بن الخطاب في أحد، وما معه أحد، فنكب عنه، وخشي أن يؤذيه أحد ممن كان معه، فأشار إليه بأن يتوجه إلى الشعب لينجو منهم[٤].

---

(١) مغازي الواقدي ج١ ص٢٨٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٧٤ وج١٥ ص٢٠ عنه وعن البلاذري، وابن إسحاق، وطبقات الشعراء لابن سلام ص٦٣ وراجع: البداية والنهاية ج٣ ص١٠٧ عن ابن هشام، والبحار ج٢٠ ص١٣٥ و ١٣٨ ومناقب أهل البيت ص٣٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤ ص٣٩٣ و ٣٩٧.

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص٦٣.

(٣) راجع: فصل: في موقع الحسم، من هذا الكتاب.

(٤) المغازي للواقدي ج١ ص٢٧٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٢٣ ومناقب أهل البيت ص٣٣٢.

وفي حرب أحد أيضاً: هنأه أبو سفيان على ما اعتبره نصراً له في الجولة الأولى، حيث قال له: أنعمت عيناً، بقتلى بدر[1].

وقال أبوسفيان له: إنها قد أنعمت يا بن الخطاب.

فقال: إنها[2].

واعتبره أبو سفيان آنئذٍ أبر من ابن قميئة الذي كان يقاتل المسلمين مع أبي سفيان.

ثم إنه لم يعترض يوم أحد على الخائفين، المنهزمين الذين اقترحوا توسيط عبد الله بن أُبي لدى أبي سفيان، وذلك بعد أن صعدوا على الصخرة التي في الجبل[3].

أما في حرب بدر، فكانت مشورة عمر مثل مشورة أبي بكر، وهي: أن قريشاً ما آمنت منذ كفرت، وما ذلت منذ عزت، ولم يخرج النبي «صلى الله عليه وآله» على هيئة الحرب.. فترك الحرب هو الرأي.

فلماذا هذا التخذيل الشديد منه عن الحرب، وإظهار عزة قريش، حتى زعما: أنها ما ذلت منذ عزت؟! ولماذا يحاولان إشاعة درجة من الخوف لدى المسلمين؟!

وهنا يعود السؤال من جديد: أين هي عداوة قريش لعمر بن الخطاب؟! وأين هو نضال عمر بن الخطاب ضد قريش؟!..

---

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٦.

(٢) الأوائل ج١ ص١٨٤ و ١٨٥ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١٢.

(٣) راجع: فصل: في موقع الحسم، من هذا الكتاب.

عمر يعترف بواقع عشيرته:

وأما قول عمر: «وليس بها من بني عدي من يمنعني»، فقد تضمن اعترافاً بأن قبيلته غير قادرة على منعه، إما عجزاً منها وذلاً، وإما لأنه لم يكن لديه فيها صديق، ولا محب، ونرجح الأول، حيث ذكرنا في حديث إسلامه: أن عوف بن عطية يقول:

وأما الألأمان بنو عدي وتيم حين تزدحم الأمور

فلا تشهد بهم فتيان حرب ولكن أدن من حلب وعير

إذا رهنوا رماحهم بزبد فإن رماح تيم لا تضير[1]

قد ذكر المؤرخون: أنه لم يكن في بني عدي سيد أصلاً[2].

وأن عمر قد قال لأبي عبيدة في الشام: «إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام»[3].

ويقول معاوية عن قبيلتي تيم وعدي: «ليس في قريش حيان أذل منهما، ولا أنذل»[4].

وقال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكة: «لقد أَمِرَ أمر بني عدي بعد ـ

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص٣٨.

(٢) المنمق ص١٤٧.

(٣) المستدرك للحاكم ج١ ص٦١ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وصححه على شرط الشيخين.

(٤) الخصال ج٢ ص٤٦٣ والبحار ج٣٣ ص٢٦٢ وكتاب سليم بن قيس ص٢٤٢.

والله ـ قلة وذلة»[1].

وراجع ما قاله خالد بن الوليد لعمر حول هذا الأمر[2].

وذلك كله يؤكد لنا: أن ما يدَّعونه من أن الإسلام قد عز بعمر، وأنه قد ناضل قريشاً حينما أسلم، لو صح ـ وهو غير صحيح جزماً ـ فلابد أن يكون بالاستناد إلى قوته الشخصية وبطشه، وأنه لم يفعل ذلك بالاستناد إلى قبيلته، ولا بالاعتماد على نفوذها وزعامتها..

غير أننا نقول: أين كان هذا البطش عنه في أحد، والخندق، وحنين، وخيبر، وقريظة و.. و..؟!! ولماذا فر في مختلف المشاهد الصعبة، ولم يظهر شيئاً من هذا في أي منها؟!

ولماذا لا يعتمد على نفسه وعلى قوته الشخصية أيضاً في حمل رسالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى قريش؟ خصوصاً مع علمه: بأن الاعتداء على حامل الرسالة عيب عند العرب، وهذا يوفر له درجة من الطمأنينة والأمن حسبما أوضحناه..

إن أحببت دخلت عليهم:

ثم يأتي قول عمر، في آخر كلامه: «وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم» ليكون بمثابة رصاصة الرحمة القاتلة لكل احتمال يمكن أن يكون في

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص١٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٢ وكنز العمال ج١٠ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٤٥٤.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢١ وعن كنز العمال ج٥ ص٢٩٥ عن ابن عساكر، عن الواقدي.

صالح عمر بن الخطاب، لأن هذه الكلمة قد أظهرت: أنه يريد أن يجعل المسؤولية عن أي شيء يواجهه في مسيره ذاك تقع على عاتق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكأنه قال له: أنا أرفض طلبك طائعاً، بالاستناد إلى شواهد وأدلة، ولكني أنفذه مرغماً.

يضاف إلى ذلك: أن هذا يستبطن أكثر من إشارة ودلالة أخرى، ومنها: أن لا يكون لدى هذا المرغم أي ثواب فيما يقوم به، وأنه لو تعرض لأي خطر في مهمته تلك، فإنه يكون قد خسر نفسه في الدنيا والآخرة، حيث سيكون مجرد قتيل، ولا يكون شهيداً، وأن على أهله وذويه أن يتوجهوا إلى من أرغمه على هذا الفعل الذي سوف ينتهي إلى هذه النتيجة ويطالبوه بدمه، وبكل ضرر لحق به..

والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يرضى بذلك، بل يريد أن يجعل المسؤولية على عاتق عمر نفسه، وأن يفتح أمامه باب الرحمة الإلهية والفوز العظيم، ويمكِّنه من أن يختار الدخول من خصوص هذا الباب، فإن اختار أن يقصد التقرب إلى الله تعالى، وسعى في نيل رضوانه، كانت له المثوبة العظيمة، سواء تعرض لعدوان أعداء الله، أم نجا منهم..

وإن اختار أن يقوم بالعمل بهدف الحصول على الشهرة والمقام في الدنيا، ونحو ذلك، فذلك شأنه، ويكون هو المقصر في حق نفسه.

ولأجل ذلك: سكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم يجب عمر على كلامه بشيء، وكان لابد له من صرف النظر عن الموضوع، والبحث عن غيره لهذه المهمة.

عثمان إلى مكة:

وقد طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من عثمان: أن يذهب إلى مكة، ومنحه الفرصة لنيل الثواب، إن نوى القربة إلى الله تعالى، وقصد نصر الدين، وعز الإسلام.

أما إن نوى بذهابه الحصول على السمعة والشهرة، واكتساب المقامات الدنيوية، فسيكون جزاؤه دنيوياً، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يحب لأحد من أصحابه ذلك، بل هو يريد أن يكونوا في منتهى الطهر والنزاهة والإخلاص، والترفع عن الدنيا..

وطلب من عثمان أموراً ثلاثة هي:

أولاً: أن يخبر قريشاً بما قصده «صلى الله عليه وآله» من مجيئه هذا، وأنه إنما جاء معتمراً زائراً لبيت ربه.

ثانياً: أن يدعوهم إلى الإسلام.

ثالثاً: أن يدخل على رجال مؤمنين ونساء مؤمنات، ويبشرهم بالفتح القريب وبأن الله تعالى سيظهر دينه قريباً في مكة، وسيتمكن أهل الإيمان من إظهار دينهم فيها.

أساليب ونتائج:

وإننا نسجل هنا أمرين:

الأول: بالرغم من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعلم قريشاً بما جاء له بواسطة بديل بن ورقاء، وبواسطة عروة بن مسعود، ثم من طريق الحليس، وكذلك من خلال مكرز بن حفص..

لكن ذلك كله لم يره كافياً، حتى أرسل إليهم خراش بن أمية.

وقد تعمد أن يحمله على جمل له، يعرف أهل مكة: أنه له، وهو يذكّرهم بحروبهم ضده، وقد أراد «صلى الله عليه وآله» لهذا الجمل أن يدخل مكة.

وكان عَقْرُ عكرمة بن أبي جهل لهذا الجمل بالذات، لأنه عرف أنه جمل النبي نفسه «صلى الله عليه وآله»، ومن أجل أن راكبه رسول من قبل هذا النبي «صلى الله عليه وآله» بالذات.. إن ذلك كله قد جعل الناس يتسامعون بهذا الأمر، وأن يفشو ويشيع في مكة، ويتردد خبره فيها من أدناها إلى أقصاها. فيشعر الناس كلهم بأن محمداً «صلى الله عليه وآله» قريب منهم، وأن رسوله بينهم، وأن جمله يعقر في بلدهم وأن هذا الجمل قد أُخِذَ منهم!!

ولكن ذلك أيضاً لم يكن كافياً ولا مقنعاً، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن تطول مدة وجود رسوله في مكة، وأن يكون معه عشرة آخرون، لابد أن يلتقوا أيضاً بآخرين، من أقرانهم، ومعارفهم، وأن يشعر الناس بواقع الرحمة، وبالحنان والرفق بينهم وبين هؤلاء الوافدين. وأن يترددوا إلى بيوت مكة، وأن يتحركوا ذهاباً وإياباً في شعابها.. فإن ذلك كله كان مطلوباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدخل ضمن خطته في دفع الأمور باتجاه الحسم، الذي تخشاه قريش كل الخشية، وتأباه ـ من ثم ـ كل الإباء..

وكان ما أراده الله ورسوله.. وخاب أولئك الظالمون الجبارون والجاحدون.

الثاني: قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب من عثمان أن يدخل بيوت المؤمنين في مكة، ويبشرهم بقرب ظهور الإسلام في هذا البلد.

والذي نلاحظه هنا هو الأمور التالية:

١ ـ أنه طلب من عثمان: أن يدخل بيوت هؤلاء المؤمنين والمؤمنات ليروا شخصه بعنوان: أنه مرسل من قبل نبيهم، حاضراً بينهم، ماثلاً أمام أعينهم، يسمعون كلامه، ويسمع كلامهم، ولا يبقى الأمر في مستوى اللمحات البعيدة، التي يتسترون على ما تحمله من حنين إلى ذلك النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»..

٢ ـ إن في هذا إشارة لهم: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عالم بهم، مهتم بأمرهم، يشعر بآلامهم، ويعيش قضيتهم، وليسوا غائبين عن فكره وعن اهتمامه..

٣ ـ إن الأمر قد صدر إلى عثمان: أن يدخل على النساء أيضاً، وهنَّ العنصر الذي يستضعفه الناس، خصوصاً في الجاهلية، وبالأخص لدى أهل الاستكبار والجحود والطغيان منهم..

فكان لابد من الربط على قلوب هؤلاء النسوة، والشد من عزائمهن، وتقوية يقينهن، وإعطائهن جرعة من الصبر، وتمكينهن من تلمس خيط من الأمل، في ليل عذابهن الطويل..

٤ ـ إن بشارة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بالفتح، وبقرب ظهور الإسلام في مكة، من شأنه: أن يبعث في المسلمين هناك حياة جديدة، ويدفعهم لمضاعفة جهدهم في نشر الدعوة، واجتذاب الناس إلى هذا الدين..

٥ ـ كما أن دخول رسل النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة، ودعوتهم الناس إلى الإسلام سوف يشجع الخائفين، لتجاوز خوفهم، وينبه الغافلين

إلى أن ثمة معادلات جديدة قد ظهرت، وأن عليهم أن لا يصموا آذانهم عن هذا النداء، وأن لا يتجاهلوا هذه الدعوة، فقد أظهرت الأيام: أن الأمور غير مستتبة لقريش، وأن كلمتها ليست هي الأخيرة، ليس فقط في المحيط الذي حولها، وإنما في داخل مكة أيضاً..

وسوف تظهر نتائج ذلك كله بصورة سريعة، وتتجلى على شكل أحداث تتلاحق وتتسارع، بحيث تفقد قريش معها كل اختيار، حتى تجد نفسها أسيرة واقع، لم يكن يخطر في بالها، أو يمر في خيالها أن تنتهي الأمور إليه..

رسالة شفوية، أم كتاب؟!:

والنصوص، وإن اكتفت بالقول: إن عثمان قال لقريش: كذا وكذا..

ولكن هناك نصاً آخر يصرح: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب لهم معه كتاباً بذلك[1].

وقد يكون ما يذكرونه عن عثمان، من أنه قال: كذا وكذا، إنما أرادوا به التعبير عن مضمون هذا الكتاب.

ولعل إرسال الكتاب المدون إليهم هو الأَولى، وذلك لأن ذلك معناه: زيادة درجة الأمان لحامله، حيث يرى الناس: أنه مجرد رسول، وبذلك يقطع الطريق على اتهامه بأنه يتجاوز حدود ما أوكل إليه..

كما أن الكتاب يكون أوثق في إقامة الحجة عليهم، وأشد وقعاً على نفوسهم، وهو يشكل نقطة ارتكاز تستقر عليها اللفتة الذهنية حين تتحرك

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦.

الحوافز للالتفات إلى هذا الحدث، وتَذَكُّرِه..

عثمان بحاجة إلى من يجيره:

هذا.. وقد أظهرت الوقائع: أن عشيرة عثمان هي التي كانت تتولى كبر المواجهة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلا يمكن أن تتساهل في أمره «صلى الله عليه وآله»، ولم يصح قول عمر فيهم، حيث لم يجد عثمان عندها عزة ولا نصراً، بل احتاج إلى من يحميه ويجيره منها، فكان أبان بن سعيد بن العاص.. هو الذي أجاره.

ووجدت قريش: أن التعدي على عثمان سيعتبر تعدياً على من أجاره، ومن شأن هذا الأمر ـ لو حصل ـ: أن يؤدي إلى الإنقسام في صفوف أهل الشرك، وقد كانوا بأمسِّ الحاجة إلى تحاشي ذلك بكل ثمن.

وهذا الأمر يدل: على عدم صحة ما ذكره عمر بن الخطاب للنبي «صلى الله عليه وآله»، حينما زعم: أن عثمان أقدر منه على تحقيق مراده «صلى الله عليه وآله»؛ لأن له عشيرة تمنعه.

ويزيد هذا الأمر وضوحاً: أن عشيرة الرجل هي التي كانت تتولى تعذيبه إذا أسلم؛ لأن تعذيب سائر القبائل له كان يواجه بالرفض، ويثير المشاكل فعشيرة عثمان لا تمنعه بل ترى نفسها ملزمة بأذاه لكي لا تتهم بممالأة عناصرها، في مقابل التشدد مع غيرهم..

رسالة رسول الله ﷺ إلى قريش:

والذي يراجع النصوص المختلفة يلاحظ:

أن خطاب النبي «صلى الله عليه وآله» لقريش، وجميع رسائله لها، وكل

ما قاله لمبعوثيها، قد جاء على نسق واحد، وله مضمون واحد، لم يتغير. وقد أشرنا إلى هذا المضمون في فصل سابق..

ونعود، فنذكّر القارئ الكريم بما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يجدد دعوته لهم إلى الإسلام، ليظهر لهم: أن ما فعلوه ـ رغم فظاعته وبشاعته ـ لم يوجب استبعاد خيار الدعوة هذا.. وهو بذلك يفهمهم: أن الفرصة لا تزال سانحة أمامهم، وأن بإمكانهم أن يفكروا في هذا الاتجاه أيضاً..

٢ ـ إن الدعوة لهم إنما كانت إلى الإسلام الذي هو دين الله تعالى، وليس في هذا أي إذلال لهم، فإنه لم يدعهم للاستسلام له وإلى طاعته كشخص.. بل دعاهم ليكون هو وإياهم مسلمين لله تعالى، وفي طاعته سبحانه.

٣ ـ ثم عرض عليهم «صلى الله عليه وآله»: أن يكفوا عنه، وأن ينتظروا نتائج ما يجري بينه وبين غيرهم، وهي دعوة تتلاءم مع ميل نفوسهم إلى السلامة، والدعة.. مع ما في ذلك من أنهم قد يشعرون بالحاجة إلى توفير فرصة لهم لتجميع القوى واكتساب القدرات.

فالتروي في الأمر مطلوب، حيث إن الناس إن ظفروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسيحصل القرشيون على مطلوبهم، دون أن يخسروا شيئاً، وإن كانت الأخرى فسيكونون هم في أوج قوتهم، وفي حالة جمام وراحة، وسيكون النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون في حالة ضعف وإنهاك، وتصبح الفرصة أمامهم أكبر، واحتمالات النجاح أوفر وأكثر..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قدم لهم دليلاً حسياً على صوابية ما يعرضه عليهم، حين ذكر لهم: أن الحرب قد نهكتهم، وأذهبت الأماثل منهم.

٤ ـ ثم بيَّن لهم أيضاً: أن هناك ما يوجب المزيد من ضعف مصداقيتهم عند العرب، حيث يرى الناس: أن حربهم معه «صلى الله عليه وآله» في هذا الظرف، وضمن دائرة هذه العروض التي يطرحها عليهم لا مبرر لها، بل هي حرب ظالمة، وعدوانية. والعدوان والظلم فيها يأتي من قِبَلِهم.. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأت لقتال، بل هو قد جاء ليمارس حقه، الذي يقر له به القريب والبعيد، والعدو والصديق، إذ لم يكن في نظام زيارة البيت، والحج إليه، اشتراط: أن يكون ثمة انتقاء قرشي لزائريه، ومعظِّميه، بل كان لكل من يرى لهذا البيت حرمة وقداسة، الحق في زيارته وتعظيمه..

٥ ـ ثم هو من جهة أخرى: يقدم الدليل الحسي، الذي يلامس المشاعر، ويتصل بالروح، والقلب، والذي لابد أن يصارع نوازع الهوى، ويرفض الاستسلام لإملاءاتها، ويثير حالة صراع داخلي، ربما يكون القلب والروح والضمير هو المنتصر فيها..

والدليل الذي نتحدث عنه هو هذا الإحرام المعقود، وهذه البُدن التي أشعرها المحرمون، وساقوها لينحروها في المحل الذي أذن الله تعالى بنحرها فيه..

جواب قريش:

وكان جواب قريش دائماً هو رفض جميع هذه العروض، وأنها لا ترضى بأن يدخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليها مكة رغماً عنها. وهي بذلك تتناقض مع كل الدلائل التي تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» لم يأت لقتال، ولا يريد التوسل بالقوة لدخول مكة..

ولكن قريشاً تطرح الأمور بهذه الطريقة التضليلية انسياقاً مع كبريائها، وتوسلاً لتحقيق مآربها..

وقد أوجب ذلك تصدعاً قوياً في صفوف الشرك، وظهرت الإنقسامات، وتجلى الضعف، كما أظهرته الوقائع في الحديبية وبعدها..

بيعة الرضوان وشائعة قتل عثمان:

وقد زعموا: أن السبب في دعوة الناس إلى بيعة الرضوان هو الشائعة التي سرت في الناس: من أن عثمان قد قتل في مكة..

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس إلى البيعة..

ونقول:

إن كون سبب البيعة هو هذه الشائعة موضع شك كبير، لأنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بايع عن عثمان أيضاً.. وذلك بأن وضع ـ أو ضرب ـ إحدى يديه على الأخرى، وقال: «اللهم إن هذه عن عثمان الخ..»[1].

فإن صح هذا، فهو يدل على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» والناس كانوا يعلمون بحياة عثمان، فكيف يزعم الزاعمون: أن شائعة قتله كانت السبب في أخذ البيعة من الناس؟!

ودعوى: جواز أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرف بحياته بعد البيعة، ليس لها شاهد يؤيدها، بل هي مجرد توهم واقتراح لعله من

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٨٨ والإصابة ج٤ ص٣٧٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤ والصراط المستقيم ج٣ ص٣٤.

المحبين لعثمان..

وإذا كان سهيل بن عمرو قد شاهد بيعة الرضوان[1]، كما يستفاد من بعض النصوص، فلماذا لم يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أن عثمان حي يرزق، وأنه لا داعي للقلق عليه؟! ولماذا لم يسأل النبي «صلى الله عليه وآله» أو أحد من المسلمين عنه؟!

على أننا نقول:

لماذا لا يكون سبب بيعة الرضوان هو: الشائعة التي سرت عن قتل العشرة الذين أرسلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مكة لملاقاة أهاليهم، ودخلوا في أمان عثمان كما يزعمون.

أو أن سببها هو: الضغط على قريش لإطلاق سراحهم، بعد أن احتجزتهم.

كما أن من أسباب البيعة: استكبار قريش عن قبول طلب المسلمين زيارة بيت ربهم، وقضاء نسكهم وعمرتهم. أو غير ذلك من أمور ستأتي الإشارة إليها، أوجبت إظهار القوة أمام قريش والمشركين، وأن عليهم أن لا يتوهموا أن القضية هي مجرد هوى، أو قرار شخصي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد يعارضه فيه طائفة من أصحابه، أو على الأقل لا يوافقه عليه كثير ممن وافقوه في مسيره ذاك.

والذي نميل إليه: أن كل هذا الذي يقال عن شائعة قتل عثمان، وعن البيعة عنه، وغير ذلك من أمور، هو ـ كما تؤيده الدلائل والشواهد ـ مما

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١.

حاكته يد السياسة، التي لم تستطع أن تحفظ تسلسل الأحداث، ولا تمكنت من اكتشاف الخلل فيما يذاع ويشاع، وينشر، هنا وهناك، من قبل المحبين والمتزلفين، وقديماً قيل: لا حافظة لكذوب.

فكيف إذا اجتمع الكذّابون على أمر، وصار كل واحد منهم يدبلج ما يحلو له، من دون تنسيق أو تطبيق على ما تنتجه قرائح الآخرين؟!..

شائعة احتباس سهيل بن عمرو:

وقد زعموا أيضاً: أنه لما بلغ المسلمين: أن عثمان قد احتبس في مكة، احتبس المسلمون سهيل بن عمرو مبعوث قريش[1].

ونقول:

إننا نشك في ذلك: فإن سهيل بن عمرو إنما جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» معتذراً عما فعله سفهاؤهم، وأن ما جرى لم يكن عن رأي ذوي الرأي فيهم..

والظاهر: أن سهيلاً قد وصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في وقت البيعة ورأى ما جرى بأم عينيه، فناسب ذلك إطلاق شائعة من هذا القبيل.

حديث طواف عثمان:

ولا ندري مدى صحة حديث امتناع عثمان عن الطواف بالبيت، وأن قريشاً عرضت ذلك عليه، فرفض أن يسبق رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٦ عن شرح الهمزية لابن حجر.

وسبب شكنا في هذا الحديث يرجع إلى ما يلي:

١ ـ إنهم يزعمون: أن عثمان لم يستطع دخول مكة إلا بجوار، فما معنى أن تشتد عليه قريش هنا، ثم تسمح له بالطواف بالبيت بعد ذلك؟!

٢ ـ إنهم يزعمون: أن قريشاً قد حبست عثمان، رغم الجوار الذي أعطاه إياه أبان بن سعيد بن العاص.

وهذا يتنافى مع ذلك الرفق الذي شملته به.

٣ ـ لو أغمضنا النظر عن هذا وذاك، فإننا نقول:

إنهم يذكرون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر أصحابه: أن عثمان لم يطف بالبيت، ولا يطوف، فإن كان قد علم ذلك بواسطة الغيب، فلماذا لم يعلم بواسطة الغيب أيضاً، بسلامة عثمان من القتل، وبكذب الشائعة التي انطلقت حول ذلك؟! ولماذا بادر إلى عقد بيعة الرضوان استناداً إلى شائعة كاذبة؟!

وإن كان «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بهذا الأمر استناداً إلى معرفته بنفسية عثمان، وبطريقة تفكيره.. فذلك يحتاج إلى إثبات وشاهد.

٤ ـ من الذي قال: إن عثمان كان يعرف كيف يؤدي مناسك العمرة كما حددها الإسلام؟!

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال للناس حينما دخل مكة: «خذوا عني مناسككم»[1].

---

(١) مختلف الشيعة للعلامة الحلي ج٤ ص٥٣ و ١٨٣ و ٢٩٠ و ٣٠١ و ٣٥٢ والحدائق الناضرة للمحقق البحراني ج١٦ ص١٠٢ و ١٨٦ وج١٧ ص١٤ =

= و ٧٦ و ٢٤٥ ورياض المسائل للسيد علي الطباطبائي (ط جديد) ج٦ ص٢١٦ و ٤٣٢ و ٥٠٤ و ٥٣٤ و ٥٥٢ و ج٧ ص٧٩ و ٩٤ ومستند الشيعة للمحقق النراقي ج١٢ ص٧١ و ٢١٦ و ٢١٩ و ٢٩٩ وج١٣ ص٣٢ وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ج١٨ ص٥٥ وج١٩ ص٢٢ و ١٠٣ و ١١١ و ١٣٢ و ٢٤٨ و ٣١٣ و ٣٩٦ و ٤٢٢ وج٣٥ ص٤٤٣ والمجموع لمحيي الدين النووي ج٨ ص٢١ و ٣٠ و ٣١ و ٩٧ و ١٥٥ و ٢٣٥ و ٢٣٧ وتلخيص الحبير لابن حجر ج٧ ص٢٩٢ و ٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٧٠ و ٣٨٨ و ٤٠٥ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص٥١ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج٣ ص٤٢ و ٤٣ والمغني لعبدالله بن قدامة ج٣ ص٤١٤ و ٤٤٠ و ٤٤٢ و ٤٤٦ و ٤٥١ و ٤٧٢ و ٤٧٤ و ٤٧٦ و ٥٢٩ و ٥٣٠ وسبل السلام لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج٣ ص٣٧٨ وج٥ ص٤٣ و ٥٥ و ١١٠ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٤٤ و ١٥٤ وفقه السنة للشيخ سيد سابق ج١ ص٦٥٠ و ٧١٢ و ٧٣٤ وشرح صحيح مسلم للنووي ج٩ ص٢١ وج٨ ص٢٢٠ وفتح الباري ج١ ص١٩٣ و ٤١٩ وج٣ ص٣٨٨ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٤٣١ و ٤٥٦ و ٤٦١ و ٤٦٤ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٤٧٩ و ٥٥١ وعون المعبود ج٥ ص١٨٢ و ٢٣٣ و ٢٥١ و ٣١١ ونصب الراية للزيلعي ج٣ ص١٣٦ وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج١ ص١٠٠ وكشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٣٧٩ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٩٨ و ١١٧ و ١٢١ و ٣٤٨ و ٣٥٥ و ٣٧١ وفتح القدير للشوكاني ج١ ص١٦١ و ٢٠٤ والفصول في الأصول للجصاص ج٢ ص٣٣ وج٣ ص٢٣٢ والأحكام لابن حزم ج٣ ص٣٠٠ وأصول السرخسي لأبي بكر السرخسي ج١ ص١٢ و ١٤ وج٢ ص٢٧ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٦ ص٣٤٣ والإصابة لابن حجر ج١ ص٤٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٠٣ و ٢٣٤ وسبل الهدى =

فتعلم الناس منه كيفية الاعتمار، وكيفية الحج حينئذٍ، ولم يكن قد حج رسول الله «صلى الله عليه وآله» معلناً قبل هذا، ليكون عثمان قد حج معه، ولا دليل يدل على أنه قد تعلم منه ذلك شفاهاً.

٥ ـ ومما يلقي ظلالاً من الشك على هذه الأقوال أيضاً: أن الكلام كله يتمحور حول عثمان، مع أنهم يقولون: إن عشرة أشخاص قد دخلوا معه في أمانه، ولم نجد أحداً قد سألهم، أو سأل عنهم: هل طافوا حول الكعبة أم لم يطوفوا؟! أو على الأقل لم يحدثنا التاريخ بشيء من ذلك.

٦ ـ إن الظن المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يصب في هذه المرة أيضاً، وذلك لأن ما ظنه من طاعة عثمان وتقيُّده بأوامره، قد خيَّبه عثمان حين عصى أمره «صلى الله عليه وآله» الناس وعثمان منهم أن يحلقوا رؤوسهم، فلم يُستجب له «صلى الله عليه وآله» وكان كما يقول السهيلي: وحده، ومعه أبو قتادة (ونظن أن الصحيح: هو (ومعه عمر)، لأن عمر المعارض الحقيقي، بل هو رأس المعارضة).

نعم، إن عثمان وهذا الرجل أو ذاك، وحدهما اللذين عصيا أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصرا على التقصير، ووصفهما النبي «صلى الله عليه وآله» بأنهم قد شكُّوا (أي في دينهم)[1].

= والرشاد ج٨ ص٤٧٥ وعوالي اللآلي ج١ ص٢١٥ وج٤ ص٣٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٢٥ وإرواء الغليل ج٤ ص٣١٦ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٩ وج٢ ص١٨٣ و ٤٠٠ و ٤١٦ و ٤٢٩ و ٤٣١ وج٣ ص٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٦٧ و ٤٢٧.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣.

ما هو سبب البيعة إذن؟!

ونرجح: أن يكون سبب بيعة الرضوان ليس ما زعموه حول عثمان، وإنما هو:

إظهار مدى تصميم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على حقه الذي تنكره عليه قريش.

والضغط عليها من أجل فك أسر العشرة الذين احتجزتهم.

وتكذيب ما تحاول التسويق له، من أن الذين مع النبي «صلى الله عليه وآله» لا ينصرونه.

ولغير ذلك من أسباب يدخل بعضها في سياق التربية لأصحابه «صلى الله عليه وآله»، ويفيد في إعطاء الانطباع الواضح، وإشاعة الأجواء التي يريد النبي «صلى الله عليه وآله» إشاعتها في محيط الشرك من خلال ذلك.

أسرى قريش:

وذكرت النصوص التي قدمناها: أن محمد بن مسلمة كان على الحرس في إحدى الليالي فأسر حوالي خمسين رجلاً، وأفلت مكرز بن حفص.. فظهر مصداق قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مكرز: إنه رجل غادر.

ونقول:

إنه لا مانع من أن يكون مكرز بن حفص رجلاً غادراً، ولا نريد أن ننفي أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد وصفه بذلك. فقد يكون ذلك صحيحاً في نفسه.

ولكننا نقول: حفاظاً منا على الحق والحقيقة، وعلى مقام رسول الله

«صلى الله عليه وآله»، من أن ينسب إليه ما يكون موضع شبهة:

إن ما زعموه مصداقاً لقوله «صلى الله عليه وآله» لا يصلح لذلك؛ لأن المفروض: أنه لم يكن بين مكرز بن حفص، وبين النبي «صلى الله عليه وآله» عهد وعقد يلزم مكرزاً بعدم مهاجمة المسلمين، وبعدم نصب الكمائن لهم، وتحين الفرص للإيقاع بهم، بل هو يرى: أنه في حالة حرب معهم، فإذا جاء في خمسين رجلاً ليصيب منهم أحداً، أو غِرَّةً، فإن فعله هذا لا يكون هو المصداق لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنه: إنه رجل غادر..

ومما يدلل على صحة ما قلناه: أن الرواية نفسها تذكر: أن قريشاً بعثت مكرز بن حفص نفسه مع سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى ليخلِّصوا أولئك النفر الخمسين الذين أسروا، وليقولوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الذين قاتلوه، والذين حبسوا أصحابه في مكة كانوا من سفهائهم. ولم يكن ذلك بقرار من ذوي الرأي فيهم.

فإن صح أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك.

وصح أن يكون مكرز قد جاء مع المهاجمين.

وصح أنهم قد أسروا.

وصح أن الذي أسرهم هو محمد بن مسلمة، ولم يكن المقصود هو: تهيئة الأجواء لمنح محمد بن مسلمة وساماً ليكافئه به محبوه على مهاجمته بيت الزهراء «عليها السلام»، مع من هاجمها بعد وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله».

نعم.. لو صح ذلك كله، فإنه لابد من البحث عن مفردات غدر مكرز بن حفص في غير هذه الواقعة.

وقد ذكر لنا التاريخ غدراً من مكرز، ولكن ليس بالمسلمين، وإنما

بالمشركين.. ولسنا هنا بصدد البحث عن أمر كهذا..

مكرز بن حفص مرة أخرى:

هذا وقد ذكرت النصوص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أجاب مكرز بن حفص بنفس ما أجاب به عروة بن مسعود، وبديل بن ورقاء، والحليس..

ويظهر من الروايات أيضاً: أن مكرزاً قد جاء بعد هؤلاء..

ولكننا نقول:

قال اليعقوبي: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أبى أن يكلم مكرزاً، وقال: هذا رحل فاجر، فبعثوا إليه الحليس بن علقمة[1].

وعدم تكليم النبي «صلى الله عليه وآله» لمكرز بن حفص هو الأنسب بالوصف الذي أطلقه النبي «صلى الله عليه وآله» على هذا الرجل، وهو: أنه فاجر.

كما أن ظاهر كلام اليعقوبي هو: أن إرسال الحليس إنما كان بعد إرسال مكرز، وهذا هو الأنسب أيضاً، حيث يتوقع أن يكون البديل عن الرجل الفاجر رجلاً يتأله، ويعظم البيت، ويؤمن بالشعائر..

مسلمون دخلوا مكة، فأخذوا:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أسماء عشرة أشخاص دخلوا مكة بإذن رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد اختلفوا في طريقة دخولهم، هل كان

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج٢ ص٥٤.

سراً؟! أم دخلوا في أمان عثمان؟!

ونرجح: أن يكون دخولهم سراً، لتصريح الرواية: بأنهم «أخذوا»، فإنهم لو كانوا قد دخلوا في أمان عثمان فلماذا أخذتهم قريش؟ وإذا كان قد بدا لها أن تأخذهم، فلماذا لم يبد لها أن تأخذ عثمان معهم؟! ولم يكن في عثمان ما يميزه عنهم عندها، بل قد يكون أخذه هو الأولى بالنسبة إليها ولاسيما مع تكفل كل قبيلة بالتصدي لمن يسلم من أبنائها، حسبما تقدم.

وإذا كان عثمان قد دخل في جوار أبان، فلماذا لم يطلب منه أن يجير رفقاءه معه؟! وهل من المروءة أن يؤمن نفسه، ويترك رفقاءه؟!

وإذا كانوا قد دخلوا في أمانه وفي جواره، فكيف رضي من أجارهم أن يؤخذوا؟!

وقد تقدم: أنه ليس ثمة ما يدل على: أن أحداً منهم قد طاف بالبيت، ولا ظهر في شيء من النصوص التي بين أيدينا: أن قريشاً قد سمحت لهم بذلك، فرفضوه أو قبلوه، كما يزعمونه بالنسبة لعثمان..

ولم يظهر أيضاً من النصوص: أنهم شاركوا عثمان في أي نشاط، فلم تشر إلى ذهابهم معه لزيارة بيوت المؤمنين، أو دخولهم على زعماء قريش لإبلاغ رسالة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا كله يقرب احتمال أن يكونوا قد دخلوا إلى أهاليهم سراً، فكانوا عندهم، فنمي أمرهم إلى قريش، فأخذتهم.

هم عتقاء الله:

ومن أهم ما حدث في هذه الأثناء: أن أعداداً من الأرقاء والعبيد الذين

كانوا في مكة، وبعضاً من المستضعفين من قريش، كانوا قد لحقوا بالمسلمين قبل عقد الصلح، فكتبت قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يعيدهم إليها وجاء في الكتاب:

«والله، ما خرجوا إليك رغبة في دينك، وإنما خرجوا هرباً من الرق ».

فرفض النبي «صلى الله عليه وآله» طلبهم وقال: «هم عتقاء الله..»

وطلب منه سهيل بن عمرو ذلك أيضاً، وقال له: قد خرج إليك ناس من أبنائنا وأرقائنا، وليس بهم فقه في الدين وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا، فارددهم إلينا..

فقال ناس: صدقوا يا رسول الله، ردهم إليهم.

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وقال:

«ما أراكم تنتهون، يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم، من يضرب رقابكم على هذا، وأبى أن يردهم.

قال: هم عتقاء الله»[1].

---

(١) راجع: جامع الأصول ج٩ ص٢٢٣ والبحار ج٢١ ص١٦٨ وج٢٠ ص٢٦٤ و ٢٤٤ عنه وعن إعلام الورى ص١٩١، وسنن أبي داود ج١ ص٦١٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٢٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٩ وج١٠ ص٣٠٨ وعون المعبود ج٧ ص٢٦٣ وكنز العمال ج١٠ ص٤٧٣ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٧٥ والمعجم الأوسط ج٤ ص٣١٦ ونصب الراية ج٤ ص١٦ و ١٧ و ٣٠٩.

لا، ولكنه خاصف النعل:

وحسب نص آخر:

قالوا: «وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال له: يا محمد، إن أرقاءنا لحقوا بك، فارددهم علينا.

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال: لتنتهن ـ يا معشر قريش ـ أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول الله، أبو بكر ذلك الرجل؟!

قال: لا.

قيل: فعمر؟!

قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة.

فتبادر الناس إلى الحجرة ينظرون من الرجل!! فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»..».

وروى جماعة هذا الحديث عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقالوا فيه: إن علياً قص هذه القصة، ثم قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وكان الذي أصلحه أمير المؤمنين من نعل النبي «صلى الله عليهما وآلهما» شسعها، فإنه كان انقطع، فخصف موضعه، وأصلحه»[1].

---

(١) الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢٢ و ١٢٣، وأشار في هامشه إلى: كفاية الطالب ص٩٦ ومصباح الأنوار ص١٢١ وباختلاف يسير في سنن =

ونلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد غضب إلى هذا الحد، انتصاراً منه لأناس مستضعفين، ظلمهم أسيادهم بحرمانهم من حق الحرية الإعتقادية والدينية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل هو يهدد قريشاً، التي كانت ترى نفسها سيدة المنطقة العربية بأسرها، وترى أن لها الحق ـ من موقعها الديني، وكذلك من موقع مالكيتها لأولئك الأرقاء ـ أن يكون القرار الأول والأخير بالنسبة لأرقائها بيدها، لا ينازعها فيه أحد..

والناس يعترفون لها بهذا وذاك، ويقرونها على ما تزعمه لنفسها..

نعم، إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا يعترف لها بشيء مما تزعمه لنفسها ويزعمه الناس لها في هذا الاتجاه وذاك، وإنما هو يعطي لنفسه الحق في شن حرب كاسحة، ومدمرة، يريد لها أن تنتهي بضرب رقاب نفس هؤلاء الأسياد المتسلطين، حتى لو كانوا من قريش، أو كانوا سدنة البيت،

= الترمذي ج٥ ص٢٩٧ وإعلام الورى ص١٩١ وفي (ط أخرى) ص٣٧٢ وتاريخ بغداد ج١ ص١٣٣ والمستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢٩٨ والبحار ج٢٠ ص٣٦٠ و ٣٦٤ وج٣٢ ص٣٠١ وج٣٦ ص٣٣ وج٣٨ ص٢٤٧ والإفصاح ص١٣٥ والعمدة لابن البطريق ص٢٢٤ وعوالي اللآلي ج٤ ص٨٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤١ ودرر الأخبار ص١٧٤ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٢٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٣ والمناقب للخوارزمي ص١٢٨ وكشف الغمة ج١ ص٢١١ ونهج الإيمان ص٥٢٣ وكشف اليقين ص١٠٦.

لمجرد ضمان حرية الفكر والعقيدة حتى لمن هم عبيد أرقاء لهم، وقد اشتراهم أولئك الناس بأموالهم.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يهدد قريشاً بطريقة تجد فيها الشواهد على جدية ذلك التهديد، وأنه يسير باتجاه التنفيذ، حيث صرح لها: بأن من يتولى تنفيذ هذا القرار هو من نفذ مهمات مشابهة بكل دقة وأمانة وحزم.. ولم تزل تشهد قريش والمنطقة بأسرها آثار جهده وجهاده، طاعة لله ولرسوله..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يصوغ هذا التهديد بطريقة تستدعي طرح الأسئلة لمعرفة المزيد من الأوصاف، أو تدعو للتصريح باسم هذا الذي أشار إليه..

٤ ـ ولا ندري، فلعل طرح اسمي أبي بكر، وعمر، ليجيب النبي «صلى الله عليه وآله» بنفي أن يكونا مرادين في كلامه، قد جاء من قبل شخص يريد أن يسمع الناس هذا التصريح، لقطع دابر الكيد الإعلامي الذي قد يمارسه ذلك الحزب الذي عرف بالانحراف عن علي «عليه السلام» منذ بدايات الهجرة، وربما قبل ذلك أيضاً.

ولعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرَّف بعض أهل السر عنده بما يدبره هؤلاء في الخفاء، مما له مساس بمستقبل الدين والأمة، فكان بعض أهل السر يشعرون بأنه لا بد من إيضاح الأمور للناس بطريقة أو بأخرى ليتحملوا مسؤولياتهم، بعد أن تكون الحجة عليهم قد تمت..

٥ ـ ويسجل النبي «صلى الله عليه وآله» هذا الوسام الرائع لأمير المؤمنين «عليه السلام» في إطار فريد ورائع، حين بيَّن أن هذا الذي يستطيع أن يضرب رقاب قريش على الدين ليس ممن يرغب في شيء من حطام

الدنيا، وليس هو ممن يميِّزون أنفسهم عن الآخرين.. وهو إنسان لا يمدح بكثرة المال، ولا بشيء مما يمدح به الآخرون. ولا يحتاج في استحضار صورته إلى أي إطار تظهر عليه الألوان، والأشكال، والزخرفات، بل هو يظهر في صورته وهو يخصف نعلاً.. وهي صورة لا يتوقعون ظهور الحاكم والرئيس فيها في أي من الظروف والأحوال.

واللافت: أن هذا النعل الذي يخصفه ليس له، وإنما هو لغيره، إنه لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. الأمر الذي يشير إلى طبيعة نظرته لنفسه، ويؤكد صحة ما يلهج به، حيث يقول: أنا عبد من عبيد محمد[1].

٦ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله»: «هم عتقاء الله» يستبطن أمرين:

أحدهما: أنه ليس هو المسؤول عنهم، ولا المطالب بهم، بل هم الذين خرجوا وفروا من سلطان قريش، وليس لقريش أن تطالبه بأن يبسط سلطتها على أرقائها، ولا استنابته بملاحقتهم كلما هربوا منها.

وبنود صلح الحديبية لا تشمل هؤلاء؛ لأنهم قد هربوا من قريش قبل عقده، والصلح إنما يعالج الحالات التي تحدث بعد توقيعه.

الثاني: أن إسلامهم هو الذي أعتقهم، فإن العبد إذا أسلم في دار الحرب قبل مولاه، فالمروي: أن ذلك من أسباب عتقه. خصوصاً إذا خرج

---

(١) الكافي ج١ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ والإحتجاج ج١ ص٣١٣ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ والفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص١٦٨ والبحار ج٣ ص٢٨٣ ونور البراهين ج١ ص٤٣٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٦٤ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٤ وج٤ ص٣٢٠٧ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٢٣٣.

إلى دار الإسلام قبله[1].

وهؤلاء قد أسلموا وخرجوا إلى دار الإسلام قبل أسيادهم، وهذا معناه: أنه لا سلطة لقريش عليهم لأنهم خرجوا عن صفة الرق. فلا يجوز لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرجعهم إليه، أو أن يساعد على ذلك؛ لأن ذلك عدوان عليهم ومصادرة لحرياتهم، بل أصبح من واجبه «صلى الله عليه وآله» الدفاع عنهم والمنع من ظلمهم ومن استعبادهم.

مبرر الإعلان عن بيعة الرضوان:

وبعدما تقدم نقول:

إن المبرر المعقول والمقبول هو: أن يكون السبب القريب في الدعوة إلى بيعة الرضوان:

١ ـ أخذ قريش لعشرة من المسلمين دخلوا مكة..

٢ ـ إرسال جماعات ليلية تسعى لاختطاف أشخاص، أو القيام باغتيالات، قد يكون بعضها بالغ الخطورة، وقد أخذ المسلمون منهم خمسين رجلاً.

٣ ـ حصول مناوشات وصدامات بين جماعة من المشركين والمسلمين، انتهت بأسر اثني عشر رجلاً من المشركين..

---

(١) سنن البيهقي ج٩ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وراجع: تهذيب الأحكام ج٦ ص١٥٢ والنهاية للطوسي ص٢٩٥ والوسائل كتاب الجهاد ج١١ ص٨٩ والتنقيح الرائع ج٣ ص٢٥٦ والسرائر ج٢ ص١٠ و ١١ ومسالك الأفهام ج١٠ ص٣٥٧ و ٣٥٨ وشرائع الإسلام كتاب العتق وكتاب الجهاد، وكنز العرفان (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٢٩ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٨٧.

٤ ـ قتل ابن زنيم، الذي اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون فقتلوه. ثم إصرار قريش: على أنها لن تمكِّن المسلمين من دخول مكة..

٥ ـ إصرارها على استعادة هؤلاء الأرقاء الذين أسلموا والتحقوا بالمسلمين، حيث أراد «صلى الله عليه وآله» أن يفهم قريشاً: أنه على استعداد للدخول في الحرب من أجل هؤلاء.

٦ ـ الضغط على قريش لتستجيب إما لتمكينهم من زيارة بيت ربهم، أو ترضى بإعطاء العهد، والوعد لهم بذلك في السنة القادمة.

فمن أجل كل ذلك جاءت الدعوة إلى بيعة الرضوان، التي تعطي الانطباع لقريش عن أن المسلمين يد واحدة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعن غير ذلك من أمور.

النساء.. والبيعة:

ولا ندري كم كان عدد النساء اللاتي حضرن في الحديبية، غير أن مما لا شك فيه، هو: أن أخذ النبي «صلى الله عليه وآله» البيعة منهن له العديد من الدلالات.. وهي التالية:

١ ـ إنه يؤكد على حقيقة: أن الحرب حين تكون مصيرية، فإن مشاركة النساء، وحتى الأطفال تصبح أمراً لا بد منه، ولا غنى عنه.

٢ ـ إنه عدا عن أن ذلك يتضمن تكريماً لعنصر المرأة، فإنه يعد إعلاناً بأن عليها أن تشارك في حماية المجتمع الإيماني، بما تقدر عليه مما يتناسب مع طبيعة تكوينها وقدراتها، ولا تخرج عما قرره الشارع لها من طريقة حياة، وما شرعه لسلوكها من أحكام..

٣ ـ إن ذلك يظهر تصميم المجتمع الإيماني على الحصول على حقوقه، ويشير إلى قريش بحقيقة: أن الأمر ليس صراعاً على النفوذ، بهدف الحصول على مكاسب لفريق يريد أن يجعل من نفسه حاكماً ومهيمناً..

بل القضية أكبر من ذلك، وأخطر، فإن المجتمع الإيماني يرى: أنه إنما يطالب بحقوقه من حيث إن عناصره يحملون صفة الإنسانية، فكل من له هذه الصفة فلابد من أن ينال حقوقه بغض النظر عن خصوصياته الفردية، مثل اللون، أو العرق، أو السن، أو غير ذلك.

وقد عبَّر عن ذلك عروة بن مسعود، حين قال لقريش: «والله لقد رأيت معه نساء ما كنَّ ليسلمنه على حال»[1].

وهذا يفسر لنا: أخذه «صلى الله عليه وآله» البيعة منهن بالطريقة التي تناسب حالهن، وتراعي الأحكام الشرعية معهن، فقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

«وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» المبايع للنساء عن النبي «عليه السلام». وكانت بيعته لهن يومئذٍ: أن طرح ثوباً بينه وبينهن، ثم مسحه بيده. فكانت مبايعتهن للنبي «صلى الله عليه وآله» بمسح الثوب، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يمسح ثوب علي بن أبي طالب «عليه السلام» مما يليه..»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٥.

(٢) الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١١٩ والبحار ج٢٠ ص٣٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٢.

النبي ﷺ يتفاءل بالاسم:

وقد قرأنا فيما سبق: أنه لما جاء سهيل بن عمرو ورآه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. قال لأصحابه: سهل أمركم.

وهذا يستبطن أحد أمرين، أو كليهما، وهما:

١ ـ أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أراد مجرد التفاؤل بالاسم، من حيث إن كلمة سهيل مأخوذة من السهولة، بغض النظر عن طبيعة سهيل بن عمرو في نفسه.

٢ ـ أن يكون سهيل بن عمرو بالذات سهلاً في تعامله مع الآخرين..

هذا، وقد جاء في النصوص: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة[1].

والفأل ضد الشؤم، وهو: أن يسمع كلاماً أو يرى أمراً فيستبشر به، ويتوقع لأجله أمراً حسناً، كما لو سمع كلمة يا سالم، فيتوقع السلامة، أو

---

(١) راجع: مكارم الأخلاق، الطبعة الأولى ج١ ص١٩١ والبحار ج٩٢ ص٢ و ٣ وفي ج٧٤ ص١٦٥: إن الله تعالى يحب الفأل الحسن، وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩١ وميزان الحكمة ج٢ ص١٧٦٠ وج٣ ص٢٣٤٨ ومسند أحمد ج٢ ص٣٣٢ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٢٢٥ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٤٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٠ وموارد الظمآن ص٣٤٦ والجامع الصغير ج٥ ص٢٩٤ وكنز العمال ج٧ ص١٣٦ وج١٠ ص١١٥ وفيض القدير ج٥ ص٢٩٤ وكشف الخفاء ج١ ص٦٦ ومعجم البلدان ج٥ ص١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١٧ والكنى والألقاب ج١ ص٢٩٣.

رأى ما يسر، فيتوقع السرور فيها يتوجه إليه، ويسعى له.

وقد روي عن علي «عليه السلام» قوله: «تفأل بالخير تنجح»[1].

وعنه «عليه السلام»: العين حق، والرقى حق، والسحر حق، والفأل حق، والطيرة ليست بحق[2].

وقد تفأل عبد المطلب بحليمة السعدية، بالحلم والسعد، وقال: بخٍ بخٍ، خلتان حسنتان: حلم وسعد[3].

وتفأل الإمام السجاد «عليه السلام» بالقرآن الكريم لتعيين اسم زيد، حين اختلاف أصحابه في تعيين اسم ولده[4].

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» كثير التفأل، وقد تفاءل في الحديبية بسهولة الأمر، حين جاءه سهيل بن عمرو كما تقدم[5].

وعن أنس: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: رأيت ذات ليلة فيما

---

(١) غرر الحكم رقم ٤٤٦٦ وعيون الحكم والمواعظ ص١٩٩ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٤٧٢ ونهج البلاغة، قسم الحكم، الحكمة رقم ٤٠٠.

(٣) البحار ج١٥ ص٣٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٠٤.

(٤) البحار ج٤٦ ص١٩١ وج٨٨ ص٢٤٣ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٧١ و ج٨ ص١٠٤ والسرائر ج٣ ص٦٣٨ ومستدرك الوسائل ج٤ ص٣٠٥ ومستطرفات السرائر ص٦٣٨.

(٥) راجع: البحار ج٢٠ ص٣٣٣ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٧٧.

يرى النائم، كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب. فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب[1].

كما أنه «صلى الله عليه وآله» كتب إلى خسرو أبرويز، يدعوه إلى الإسلام، فمزق كتابه، وأرسل إليه قبضة من تراب، فتفاءل «صلى الله عليه وآله» بتمزق ملك كسرى، وبأن المسلمين يملكون أرضهم[2].

وفي مقابل التفأل التطير، الذي ذُكِرَ في القرآن أيضاً في سورة الأعراف، الآية ١٣١ وفي سورة النمل الآية ٤٧ وفي سورة يس الآية ١٨: حين كانت بعض الناس في الأمم السالفة يزعمون لأنبيائهم أنهم تطيروا بهم، من أجل إسقاط دعوتهم.

فكان جواب الأنبياء: أن هذا التطير، لا يجعل الحق باطلاً، ولا يصلح عذراً لعدم الإيمان، وأن أعمالهم هي التي توجب لهم الشقاء والعذاب عند الله تعالى وتجر الشر إليهم، وليس هو ما يتطيرون به.

وقد أمرت الأخبار الكثيرة بدفع شؤم التطير بالتوكل، وبالدعاء.

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله: الطيرة على ما

---

(١) البحار ج١٨ ص١٢٢ عن إعلام الورى وج٥٨ ص٢٢١ ومسند أحمد ج٣ ص٢١٣ و ٢٨٦ وصحيح مسلم ج٧ ص٥٧ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٨٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٢٣٩ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٣٩١ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٣٨٨ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٣٦ وكنز العمال ج١٥ ص٣٨٥ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٨٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٠ ص٥٢٧ وعن الإصابة ج٤ ص٤٢٨ وعن إعلام الورى ج١ ص٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٥٥ وفي طبعة أخرى ج١ ص٧٩.

تجعلها، إن هونتها تهونت، وإن شددتها تشددت، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً[1].

وعنه «عليه السلام»: كفارة الطيرة التوكل[2].

وهناك حديث عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، عدَّ فيه موارد الطيرة للمسافر، وأنها سبعة، وقال في آخره: فمن أوجس في نفسه منهن شيئاً، فليقل: اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي، فاعصمني. فيعصم من ذلك[3].

ويمكن أن يستفاد من ذلك: أن للحالات النفسية تأثيراتها في الأمور

---

(١) الكافي ج٨ ص١٩٧ الخبر رقم ٢٣٤ والوسائل ج٨ ص٢٦٢ وج١٥ ص٥٨٥ والبحار ج٥٥ ص٣١٠ و ٣٢٢ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٢٦٢ والفصول المهمة ج٣ ص٢٨٢ ونور البراهين ج٢ ص٢٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٦١٩ وتفسير الميزان ج١١ ص٧٨ وميزان الحكمة ج٢ ص١٧٦٠ وج٣ ص٢٣٥٤ ونور الثقلين ج٤ ص٣٨٢.

(٢) الكافي ج٨ ص١٩٨ والوسائل ج٨ ص٢٦٢ وج١٥ ص٥٨٤ ونور الثقلين ج٤ ص٣٨٢ والميزان (تفسير) ج١٩ ص٧٨ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٢٦٢ والفصول المهمة ج١ ص٥٣٧ ونور البراهين ج٢ ص٢٧٧ وميزان الحكمة ج٢ ص١٧٦٠ وج٣ ص٢٣٥٤ و ٢٧١٦ والكنى والألقاب ج١ ص٢٩٣.

(٣) المحاسن ج٢ ص٣٤٨ والكافي ج٨ ص٣١٥ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٢٦٩ والوسائل ج٨ ص٢٦٣ ومكارم الأخلاق ص٢٤٢ والبحار ج٥٥ ص٣٢٦ وج٧٣ ص٢٢٥ والجواهر ج١٨ ص١٥٢ والكنى والألقاب ج١ ص٢٩٣ والخصال ص٢٧٢ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٣٩ ونور البراهين ج٢ ص٢٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٦٢٠ وميزان الحكمة ج٣ ص٢٣٥٤ ونور الثقلين ج٤ ص٣٨٣.

فإن من يتفأل بالخير، يتعامل مع الأمور بروح منشرحة، ونفس مطمئنة وواثقة، ويعيش السكينة، والثقة بالله سبحانه بما قسمه له واعتباره خيراً، حتى وإن كان الناس يجدون فيه مرارة وألماً، فيرضى بهذا الألم. ويتمثل له فيه الرضا الإلهي، ويجد فيه الخير والمثوبة، ورفعة الدرجة والزيادة. فهو لا ينظر إليه بعين المقت والرفض، والوجل والخوف..

بل يراه على أنه باب للخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

أما المتشائم المتطير فهو يرى: أن الأشياء من حوله ضده، ولها دور في تقويض سعادته، وهدم كيانه، فهو لا يأنس بها، بل يعاديها، ويمقتها، ولا يرى أن الله تعالى هو المؤثِّر والمبدِّل والمغيِّر، بل يرى أنها هي الأقوى.

وبعد.. فإن لانشراح الروح والشعور بالسكينة والبهجة والرضا تأثيره في الأشياء التي تحيط بالإنسان، حتى في الهواء، والشجر، والنبات، وغيرها، وكذلك الحال بالنسبة للكآبة والحزن، والتردد والخوف، وما إلى ذلك.

وقد يمكن تأييد ذلك: بما دلت عليه الآيات والروايات الكثيرة، من أن للمعاصي والطاعات تأثيراتها في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، وفي كثير من الأشياء حوله، ومن ذلك ما دل على ظهور الأسواء، والمفاسد، مثل قوله: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**..﴾[1].

وروي: إذا كثر الزنى كثر موت الفجأة[2]. وغير ذلك كثير.

---

(١) الآية ٤١ من سورة الروم.

(٢) المحاسن ج١ ص١٠٧ والكافي ج٢ ص٣٧٤ وج٥ ص٥٤١ وعلل الشرايع ج٢ ص٥٨٤ وأمالي الصدوق ص٣٨٥ وثواب الأعمال ص٢٥٢ وتحف العقول ص٥١ وروضة الواعظين ص٤٢٠ و ٤٦٣ وشرح أصول الكافي ج١٠ =

ومن ذلك **أيضاً**: ما دل على زيادة النماء والبركات، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

تبادل الأسرى:

وقد ادَّعى سهيل بن عمرو ـ فيما يمكن أن يعتبر اعتذاراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو هو تنصل من المسؤولية ـ: أن قتال بعض المشركين للمسلمين، وحبس الذين حبسوا في مكة، قد كان بغير علم زعماء قريش. ولم يكن عن رأي ذوي الرأي فيها. بل هو قد ادَّعى أنهم كانوا كارهين لذلك كله، وأن السفهاء هم الذين أقدموا عليه..

ثم طلب سهيل إطلاق سراح من أسرهم المسلمون أول مرة، ومن أسروهم في المرة الثانية، ولم يشر بشيء إلى مصير المحبوسين في مكة.

فجاء الرد ليؤكد على ضرورة إطلاق سراح من حبستهم قريش أيضاً.. وأن على قريش أن تكون هي البادئة بإطلاق سراح من احتجزتهم..

وذلك يتضمن أمرين:

أحدهما: التعبير عن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في موقع

= ص٤٠ والوسائل ج١١ ص٥١٣ وج١٤ ص٢٣١ ومستدرك الوسائل ج٩ ص١٠٧ وعن البحار ج٧٠ ص٣٦٩ و ٣٧٢ وج٧٦ ص٢٧ وج٨٨ ص٣٢٨ وج٩٧ ص٤٦ و ٧٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٣٠ وج٩ ص٢٠٨ ومكاتيب الرسول ج٢ ص١٣٥ وج٣ ص٥٧٠ وميزان الحكمة ج٢ ص١١٦١.

(١) الآية ٩٦ من سورة الأعراف.

القوة، وهو يملي إرادته على عدوه.

الثاني: إرغام قريش على الاعتراف ـ ولو ضمناً ـ: بأنها معتدية وظالمة.. وأن ما كان من المسلمين إنما هو مجرد دفاع ورد اعتداء..

وكان ما أراده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث بدأت قريش بإرسال من كان عندها أولاً.. لأن سهيلاً أرسل الشييم بن عبد مناف التيمي وحده إلى قريش، ولم يطلق سراح أحد معه، فبعثت قريش بمن كان عندها..

وثبت بذلك ما أراده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى..

موقف كريم لسهيل بن عمرو:

وكان سهيل بن عمرو من أشراف قريش، وقد أسر يوم بدر، وكان أعلم الشفة العليا، أي مشقوقها، فقال عمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، انزع ثنيتيه، فلا يقوم خطيباً عليك أبداً.

فقال: دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقاماً نحمده عليه[1].

فكان ذلك المقام هو: أنه لما توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ارتجت مكة، وأراد أهلها أن يعودوا إلى الشرك، فقام سهيل بن عمرو

---

(١) أسد الغابة ج٢ ص٣٧١ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٢ وعن الإصابة ج٢ ص٩٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص١٠٩ و ١١٠ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٨٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٧٢ وراجع: كنز العمال ج٥ ص٤٠٩ وكتاب المنمق ص٢١٨.

خطيباً، فقال: «يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من ارتد، والله، إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر، من طلوعهما إلى غروبهما الخ..»(١).

فتراجع أهل مكة عما كانوا قد هموا به.

ونسجل هنا الملاحظات التالية:

١ ـ إنه حين يعرض عمر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما عرضه إنما يُفهم الآخرين: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ بنظره ـ كغيره من الطغاة والجبابرة، الذين يمارسون الانتقام من خصومهم بقسوة بالغة، وبوحشية ظاهرة.. فهو لا يرى: أنه «صلى الله عليه وآله» مبعوث رحمة للعالمين، وقد كانت نفسه تذهب حسرات حتى على من كانوا يحاربونه، ويسعون في سفك دمه..

فما هذه النظرة العمرية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ومتى تخلص منها صاحبها؟! أم بقيت تعيش في نفسه، وتتغلغل في أعماقه؟!

لا ندري.. ولابد لمن يريد أن يدري أن يتتبع حياة هذا الرجل ليجد من الشواهد والدلائل ما يفيد في استخلاص الحقيقة، ووضوح الأمر..

٢ ـ إن عمر بن الخطاب قد طالب بقلع ثنيتي سهيل، لأنه كان أعلماً،

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٨٢ وأسد الغابة ج٢ ص٣٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص١٧٢.

أي: مشقوق الشفة العليا[1].

والأعلم إذا قلعت ثنيتاه، فإنه يصبح عاجزاً عن النطق.

٣ ـ إننا لم نفهم سر مطالبته بهذه العقوبة لسهيل، ولم يطالب بعقوبات مماثلة أو متنوعة لغيره من أسرى بدر، فهل كانت له على سهيل ثارات قديمة، وقد أراد أن يأخذها منه بهذه الطريقة؟ أم كان لدى سهيل شيء من الفصاحة، فأراد أن يسلبه ذلك حسداً منه له؟!..

إن التاريخ لم يفصح عن شيء يفيد في تحديد الداعي لهذا الطلب الغريب والعجيب.

٤ ـ إن سهيل بن عمرو لم يقم خطيباً على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما معنى تعليل عمر لطلبه هذا بقوله: فلا يقوم عليك خطيباً أبداً؟!

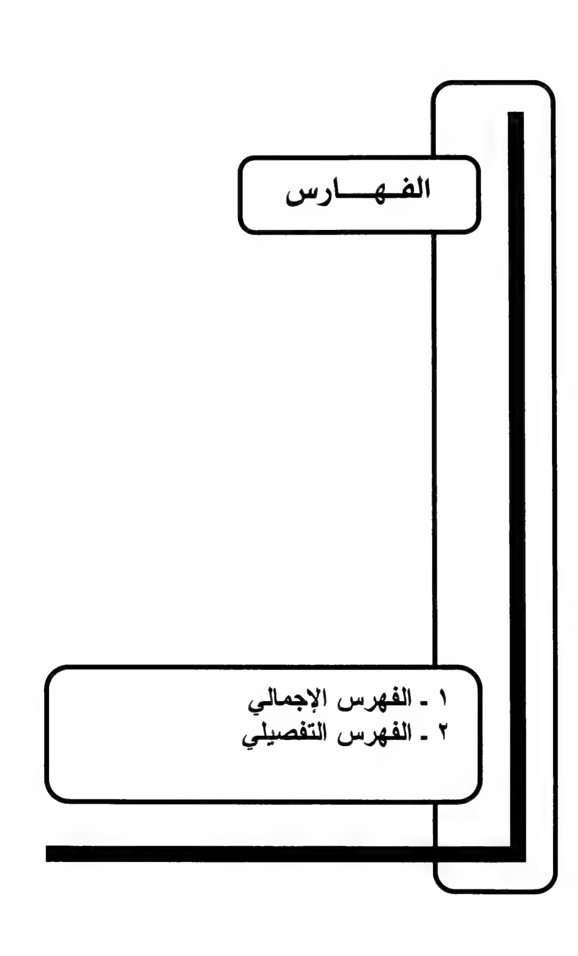
٥ ـ لماذا يقدم عمر الاقتراحات على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من دون أن يطلب الرسول «صلى الله عليه وآله» منه ذلك، ومن دون أن يستأذنه بالكلام في محضره.. فضلاً عن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أذن له بالاقتراح، أو طلب المشورة منه في هذا الأمر بأي شيء آخر!!

٦ ـ إن هذا الحديث لابد أن يعتبر من دلائل نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث أخبر بما يكون من سهيل قبل أن يسلم سهيل، وقبل أن تظهر أية بادرة منه تشير إلى أن لديه شيئاً من الميل إلى الإسلام، بل كان يخوض أخطر حرب ضد هذا الدين وأهله، وكل واقعه وما هو فيه يشير إلى المزيد من اللجاج والعناد..

---

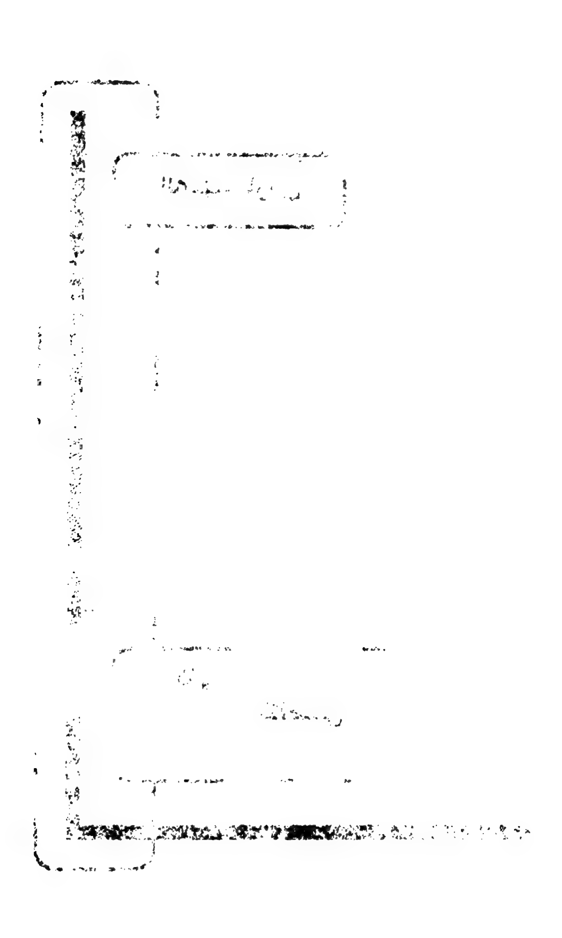
(١) يقابله الأملح، وهو مشقوق الشفة السفلى.

يضاف إلى ذلك: أن ما أشار إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما تحقق بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، فليس له صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، أية مشاركة في صنع المناسبة، لا من قريب ولا من بعيد.. فهو إخبار غيبي بكل ما لهذه الكلمة من معنى..



الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي



١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الخامس: بعوث وسرايا (قبل خيبر)

الفصل السادس: حديث الاستسقاء..

القسم الثامن: من الحديبية إلى فتح مكة..

الباب الأول: حتى بيعة الرضوان

الفصل الأول: من المدينة.. إلى عسفان..

الفصل الثاني: من عسفان.. إلى الحديبية..

الفصل الثالث: حابس الفيل.. وحقوق الحيوانات

الفصل الرابع: تعمد صنع المعجزة

الفصل الخامس: إتصالات.. ومداولات..

الفصل السادس: عثمان في مكة..

الفهارس: